طغاة من التاريخ

الجزء الثاني

رائد قاسم

طفـــاة مـــن التـاريـــخ

الجـــزء الثانـــي

اسم الكاتب: رائد قاسم.
التدقيق اللغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم.
رقم الإيداع: ١٤٠٩٧ / ٢٠١٨
طبعت بمطبعة الشروق

حقوق التوزيع

Facebook.com/arabiclibrary2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحلة الرابعة:
سياحة في سير أعتى طغاة
القرنين العشرين والحادي والعشرين.

على الرغم من التطور النوعي في الحياة السياسية خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين، الذين أدّيا إلى ابتكار نظام التداول السلمي على السلطة، و إيقاف مسلسل الصراع الدموي على الحكم في العديد من بقاع العالم، ما يعد أعظم وأهم إنجاز بشري خلال المائتي عام الماضية، إلا أن العالم لا يزال يعاني من وجود أنظمة سياسة تسلطية في العديد من أنحائه، والإحصائيات الأخيرة تشير إلى أن ٥١% تقريبا من دول العالم غير ديمقراطية (ما بين تسلطية وهجينة)، علاوة على أن ٥٤% من الدول الديمقراطية نظم ديمقرطية معيبة وغير نموذجة، وعلى الرغم من التطور الفكري والثقافي والمعرفي الواسع النطاق في المجتمعات الإنسانية، والتطور التكنلوجي الهائل، الذي أتاح فرصا كبيرة لتداول الأفكار وتبدالها و انفتاح الثقافات على بعضها البعض، وحوار النظم والنماذج الفكرية والدينية، إلا أنه على الرغم من ذلك لا تزال العديد من الشعوب تعاني من تسلط أنظمة حكم غاية في الطاغوتية و آية في الديكتاتورية، بل إن العديد منها لا يزال نموذجا لأنظمة الحكم في القرون الوسطى بكل ما يحمله من تقديس للحكام واستعباد للشعوب واستهانة بحقها في تقرير مصيرها والتمتع بحرياتها وحقوقها وثرواتها.

في هذا الصدد نشير إلى ادعاء البروفيسير الألماني "غيرهارد روث" أستاذ طب الأعصاب بجامعة بريمن الألمانية، والمتخصص بأبحاثه في جينات الدماغ، أنه عثر على موضع وسوسة الشيطان في مخ الإنسان، وقال: إنه بقعة سوداء تقع في وسط مقدمة المخ؛ أي: الجبهة، وادعى أن تلك البقعة هي المسئولة عن الوسوسة وهي التي تدفع بردات فعل عنيفة، وأنها الوكر الكامن الذي يتربص شرا بالآخرين وينشط عند أول إشارة سلبية، ومع زيادة نشاطه

إلى درجات عالية تنبع منه محرضات على ممارسة العنف الدموي ضد الآخرين.

ويشرح البروفيسير طريقة بحثه قائلا إنه عرض شرائط فيديو تتضمن لقطات عنف وحشية على مرتكبي جرائم متنوعة، ثم قام بقياس نشاط أدمغتهم، ولاحظ أن كل أقسامها تتفاعل مع ما ترى إلا منطقة ظلت بلا أي رد فعل، وهي وسط مقدمة الدماغ التي تسبب جيناتها الشعور بالحزن والشفقة والرحمة.

وقسم روث حملة الجين الشيطاني إلى ثلاث أنواع، الأقل شرا هو من نشأ في جو من العنف مع صحة جسدية جيدة، أي: إنه مريض العقل سليم الجسم، وهذا تتكون لديه رغبات و أفعال السرقة أو القتل من دون أن يشعر بتأنيب الضمير.

أما التلقائي المتهور، فهو غير متسامح ولا يتحمل حتى المزاح، وتكون ردات فعله سريعة وعنيفة ومدمرة تجاه الآخرين.

أما الصنف الأخطر من حملة الجينات الشيطانية –برأي البروفيسير غيرهارد روث- فهم الطغاة والديكتاتوريين، ويتميزون بالجمال والجاذبية والفصاحة من جهة، ولكنهم في نفس الوقت يحملون صفات مقيتة كالكذب والمكر وسوء السمعة والحقد والعديد من الرذائل، وهؤلاء لا يشعرون عادة بتأنيب ضمير أو أية مسئولية أخلاقية أو أدبية تجاه الآخرين، وغالبيتهم العظمى مصاب بجنون العظمة.

في نهاية طرحه يقول "روث": إن بحثه وسائر البحوث المماثلة لن تتضمن حلولا جذرية لمنع مجيء طغاة جدد، وإن حماية المجتمع البشري من حملة الجين الشيطاني تبدأ برياض الأطفال، وذلك بتنشيط الجوانب

الروحية والأبعاد الأخلاقية والقيم الإنسانية وترسيخها في نفوسهم، والتنسيق مع أولياء أمورهم قبل أن يصبح أحدهم لصا أو مجرما أو طاغية.

ولقد أنجبت البشرية خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين المئات من حملة الصنف الثالث، وهم الطغاة الذين سفكوا دم البشرية، وحتى هذا اليوم يوجد العشرات منهم يحكمون أجزاء واسعة من كرتنا الأرضية، في الصفحات التالية سنقوم برحلة في أبرزهم وأخطرهم وأكثرهم طغيانا ودكتاتورية واستبدادا، ونشاهد ما ارتكبوه من جرائم بحق شعوبهم وبحق البشرية، وما آل إليه مصيرهم بعد حياتهم المليئة بالدم والبطش والإرهاب.

أدولف هتلر (١٨٩٩ـ ١٩٤٥).

الشخصية التي يعرفها القاصي والداني منذ استلامه حكم ألمانيا عام ١٩٣٣ وحتى استسلام ألمانيا في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ وحتى يومنا هذا.

ولد عام ١٨٩٩ في مدينة برونو في النمسا، وكان الابن الرابع من ستة أبناء، كان والده رجلا قاسيا يعامله وإخوته وأمه معاملة عنيفة، يقول هتلر في هذا الصدد في كتابه الخالد "كفاحي": (عقدت -حينئذ- العزم على ألا أبكي مرة أخرى عندما ينهال علي والدي بالسوط، وبعد ذلك بأيام سنحت لي الفرصة كي أضع إرادتي موضع الاختبار، أما والدتي فقد وقفت في رعب تحتمي وراء الباب، أما أنا فأخذت أحصي في صمت عدد الضربات التي كانت تنهال علي مؤخرتي).

كان هتلر متفوقا في دراسته، إلا أنه ترك الدراسة في المرحلة الثانوية والتحق بالجيش.

في عام ١٩١٩ تم تعيين هتلر في منصب جاسوس للشرطة تحت إدارة قيادة الاستخبارات الألمانية، والتحق بحزب العمال الألماني الذي أعجبته أفكاره التي تأثر بها بشدة، حيث كان الحزب معاديا للسامية ومناهضا للرأسمالية وكان يدعو إلى وجود حكومة قوية ونشيطة، والإيمان بضرورة وجود تكافل اجتماعي إيجابي وحيوي، ونالت مهارات هتلر الخطابية إعجاب قيادة الحزب فتم تعيينه عضو سابعا في اللجنة التنفيذية للحزب، وعمق علاقته مع "ديتريش ايكارت"، أبرز مؤسسي الحزب الذي أصبح بمثابة معلمه الخاص، وقد ساعد كثيرا على تبلور شخصيته، حيث قدمه لنطاق عريض من الناس وعلمه الطريقة التي يتعامل معهم بها وكيفية تكوينه لشخصية اجتماعية جاذبة.

ثم إن الحزب في إطار سعيه لزيادة شعبيته غير اسمه إلى حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، ولما كان هتلر عضوا نشيطا فيه إضافة إلى كونه جنديا في الجيش، فقد صدرت الأوامر بتسريحه من الخدمة بسبب أنشطته السياسية.

في عام ١٩٢١ بدأ هتلر بالتحدث أمام الجماهير المحتشدة بطلاقة وكاريزما مؤثرة، إلا أنه في نفس الوقت اكتسب سمعة خارج الحزب بسبب شخصيته الفظة وخطاباته الجدلية العنيفة، علاوة على خطاباته المناهضة للماركسيين واليهود.

ثم إن حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني قرر أن يتخذ من ميونيخ مقرا له، لكونها أرضا خصبة لمناصري القومية الألمانية، خاصة وأنها كانت تضم ضباطا في الجيش الألماني مستعدين للقتال من أجل القضاء على الماركسية وسحق جمهورية فايمار (جمهورية نشأت في ألمانيا في عام ١٩١٩

نتيجة لخسارة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، استمرت حتى عام ١٩٣٣، حيث انتهت رسميا وعادت جمهورية ألمانيا للظهور مرة أخرى).

في يوم ما سافر هتلر إلى برلين لزيارة بعض الجماعات القومية وفي فترة غيابه حدث انقلاب في الحزب، جاء بأعضاء إدارة تنفيذية جدد قرروا بالإجماع استبعاده من عضويتها، لكونه شخصية متغطرسة ومستبدة، عاد هتلر بسرعة وحاول إعادة الأمور إلى نصابها ولكنه فشل، مما دفعه إلى تقديم استقالاته، إلا أن كبار شخصيات الحزب رفضوا استقالته ودعوه إلى العودة لصفوف الحزب، فانتهز هتلر الفرصة وقبل دعوتهم على شرط أن يكون الزعيم المطلق للحزب، وبعد أن تم التصويت على طلب هتلر حصل على الأغلبية اللازمة لتعيينه رئيسا للحزب.

وبشغله منصب رئيس حزب العمال الألماني، وبما يملك من مهارات خطابية وتأثير وجاذبية، تمكن بخطبه التي هاجم فيها اليهود، والديمقراطيين الاشتراكيين، والليبراليين، والملكيين، والرأسماليين، والشيوعيين، من اكتساب أنصار جدد من مختلف طبقات وفئات المجتمع الألماني لا سيما من الجيش.

كما تمكن هتلر من اكتساب عضوية عدد من اللجان والدوائر المحلية في عدد من المدن الألمانية، خاصة تلك التي تضم ذو السلطة والنفوذ. في الفترة من ١٩٢١-١٩٢٢ أسس هتلر كتائب "النخبة النازية" التابعة لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، وفي عام ١٩٢٣ قرر تنفيذ انقلاب بهدف الاستيلاء على السلطة في ألمانيا، وفي الوقت المحدد قامت وحدات النخبة النازية باقتحام أحد الاجتماعات الحكومية الكبرى التي كان يحضرها الآلاف من المواطنين الألمان الذين كانوا يتباحثون في شئونهم الاجتماعية والسياسية، حيث تمت محاصرة الاجتماع وإيقافه ثم تقدم هتلر أمامهم

وهو محاط بمسلحي الحزب وأعلن عن إقامة حكومة جديدة في بافاريا ودعا المؤسسة العسكرية لدعمه، ثم غادر الاجتماع، وفي اليوم التالي زحف هتلر ومسلحيه نحو وزارة الحرب البافارية بهدف الإطاحة بالحكومة، ولكن الشرطة نجحت في تشتيتهم وقتل ستة عشر عنصرا منهم، وقد تمكن هتلر من الفرار وفكر في الانتحار ولكن الشرطة تمكنت من القبض عليه ووجهت له تهمة الخيانة العظمى وحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، فترأس الحزب"الفريد روزنبرج"، إلا أن السلطات الألمانية قررت حظره.

وبينما كان هتلر في السجن كانت شعبيته في الخارج تزداد وكان يتلقى العديد من خطابات الإعجاب بشخصيته و أفكاره، وبدأ بكتابة كتابه الشهير "كفاحي"، وبعد أقل من سنة من مدة محكوميته صدر أمر من المحكمة البافارية العليا بالإفراج عنه.

عاد هتلر إلى رئاسة حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، بعد أن تمكن من إقناع السلطات في بارفيا بأن الحزب لن يحاول الوصول للسلطة إلا عبر الانتخابات والقنوات المشروعة، إلا أن تحسن الوضع الاقتصادي في ألمانيا أدى إلى ركود الصخب السياسي، مما حد من قدرة هتلر على الحركة باتجاه تحقيق هدفه في الوصول إلى رأس الحكم، فعمل على تنظيم شئون الحزب و إقصاء المناوئين له و إقامة نظام سلطوي مركزي في الحزب يكون هو المتحكم فيه والمسيطر عليه، وأصبح بذلك الحزب حزبا سلطويا قائما على تعيين القيادات العليا للسفلى، وألغى نظام الانتخابات والتصويت إلا أن تكون بين قادة الحزب فقط، وأن تطيع القيادات السفلى القيادات الأعلى طاعة مطلقة، انتهاء بطاعته المطلقة هو باعتباره رئيس الحزب، وذلك تماشيا مع أفكار هتلر المعادية للديمقراطية.

في عام ١٩٣٠ تدهورت سلطة الأحزاب الحاكمة في جمهورية فابريا، مما أتاح لحزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني الحصول على نسبة كبيرة من مقاعد البرلمان، وارتفعت أسهمه السياسية وزاد رصيده الشعبي، وقد تمكن هتلر كذلك من الحصول على شعبية كبيرة في أوساط الجيش الألماني، ففي أكتوبر من عام ١٩٣٠ جرت محاكمة ضباط صغار بتهمة الانتساب لحزب هتلر، إذ إن القانون لا يسمح للعسكريين الألمان المشاركة في الحياة السياسية، إلا أن بعض الضبط اعترفوا علانية بانتمائهم للحزب وطالبوا بإلغاء قانون تجريم العسكريين الذين ينتمون للأحزاب السياسية، بينما قال الادعاء العام: إن حزب العمال قوة خطيرة تهدد وحدة البلاد وكيانها السياسي والديمغرافي، حينها طلب الدفاع حضور هتلر ليدلي بشهادته، وعندما وقف على منصة الشهود قال بكل وضوح وجلاء بأن حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني يحترم القانون بشكل تام وأنه يسعى لتسلم زمام السلطة من خلاله وأن عبارة "ثورة وطنية" لا يمكن تفسيرها إلا من خلال المنظور السياسي السلمي والقانوني، وأن حزبه ليس عدوا للقوات المسلحة الألمانية بل إنه صديق وفي لها لأنها تشكل الضمان الأكبر لوحدة البلاد.
وقد أثار هتلر إعجاب الأوساط العسكرية بشهادته تلك وزاد نفوذه بينهم.

استمرت الأوضاع الاقتصادية في ألمانيا بالتدهور في ظل عجز الحكومة وعدم قدرتها على تنفيذ المزيد من برامج الإنعاش الاقتصادي لإنقاذ البلاد من الكساد، انتهز هتلر ذلك وعقد على ترشيح نفسه أمام الرئيس "باول فون هيندنبرج"، الذي كان طاعنا في السن، وفرص فوزه بولاية جديدة تبدو ضئيلة أمام إخفاقات حكومته الاقتصادية، وقد نال هتلر دعما من قطاعات واسعة من الألمان خاصة في أوساط القوميين، وأنصار الحكم

الجمهوري والأحزاب الديمقراطية والاجتماعية، ودشن هتلر حملته الانتخابية تحت اسم "هتلر فوق ألمانيا"، حيث جاب ألمانيا غربا وشرقا لشرح برنامجه الانتخابي، إلا أن بعض المؤرخين يقول: إن هذا الشعار كان إشارة إلى نزعات هتلر الديكتاتورية، ولكن هتلر لم يتمكن من الفوز ، إلا أنه جاء في المرتبة الثانية من حيث عدد الأصوات.

في مايو ١٩٣٢ أجريت انتخابات برلمانية وقد تمكن حزب هتلر من اكتساح مقاعد البرلمان بالفوز بمائتين وثلاثين مقعدا ليصبح أكبر كتلة برلمانية على الإطلاق، مما أهل هتلر لأن يشغل منصبا رفيعا في الدولة، حيث حاول "بابن" رئيس الحكومة أن يقنعه لأن يكون نائبا له كمستشار، إلا أنه رفض فقد كان يطمح لأن يكون هو المستشار، إلا أن "باول" رفض طلب هتلر رفضا قاطعا وبعد سلسلة من المعارك السياسية تم حل البرلمان وأجريت انتخابات جديدة، خسر بموجبها حزب هتلر بعضا من المقاعد إلا أنه احتفظ بنسبته كأكبر كتلة برلمانية.

حاول "بابن" حل البرلمان مرة أخرى مع عدم إجراء أية انتخابات رئاسية إلى أجل غير مسمى، إلا أنه فشل بعد أن هدد الجيش بسحب تأييده لحكومة المستشار إذا استمرت في صخبها السياسي ولم تحقق الاستقرار للبلاد، الأمر الذي دفع بالرئيس "باول فون هيندنبرج" إلى إقصاء "بابن" عن رئاسة الحكومة وتعيين "شلايخر" بدلا عنه.

وعد رئيس الحكومة الجديد بأن يحصل على أغلبية برلمانية تمكنه من تحقيق انسجام ما بين الحكومة والبرلمان، و إقصاء حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني الذي يتزعمه هتلر، إلا أنه فشل فشلا ذريعا مما دفعه لتقديم استقالته.

وبعد سلسلة من الصراعات السياسية بين الأحزاب المتنافسة انتصر حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، الذي أصبح يعرف بالحزب النازي (النازية حركة يسارية نشأت في ألمانيا على يد هتلر تستند على ايديلوجيا متعصبة ومتطرفة تقول بعلو العرق الألماني على بقية الأعراق البشرية، وأنه العرق الأسمى والأعلى، ويجب الحفاظ عليه وتسخير بقية الأعراق لخدمته، كما تقوم النازية كغيرها من الحركات اليسارية المتطرفة على القول بتحكم الدولة بالاقتصاد وذوبان الشعب في مؤسساتها، ومركزية الثقافة وحديدية التنظيمات المدنية والسياسة والاقتصادية، وتسخيرها من أجل خدمة أهداف الدولة) بزعامة هتلر حيث تم تعيينه رئيسا للحكومة، علاوة على كونه أكبر كتلة برلمانية، إلا أن الصراع بين الحزب النازي والأحزاب الأخرى استمر وبوتيرة اتخذت طابعا عنفيا دمويا، حيث أحرق مبنى البرلمان، واتهم الحزب الشيوعي بتنفيذ ذلك، الأمر الذي دفع بالسلطات إلى إصدار قانون يتضمن حظر الحزب الشيوعي، ونفذ القانون بتنفيذ اعتقالات بالجملة في صفوف الشيوعيين وإنهاء شرعية وجودهم في ألمانيا.

تم إعادة بناء مبنى البرلمان وأجريت انتخابات برلمانية جديدة، حصل فيها الحزب النازي على أغلبية شبه مطلقة، أرغمته على الدخول في تحالف حكومي مع حزب الشعب الوطني الألماني، إلا أن هتلر لم يستسلم فقد كانت غايته هي الوصول إلى السلطة المطلقة في ألمانيا بأي ثمن، فتوجهت حكومته إلى إصدار قانون يسمى بـ"قانون التمكين"، بناء عليه يمكن منح مجلس الوزراء سلطات تشريعية لمدة أربع سنوات، ويحق له إصدار القوانين حتى لو كانت غير متوافقة مع الدستور، وقد تمكن هتلر من تمريره في البرلمان والحصول على موافقته، مما منح حكومته سلطات واسعة النطاق، مكنته من القيام بالمزيد من سياسات القمع لمعارضيه السياسيين، وحظر المزيد من

الأحزاب المناوئة للحزب النازي، كالحزب الديمقراطي أو إجبارها على حل نفسها، حتى لم يبقى على الساحة السياسية الألمانية سوى الحزب النازي بقيادة هتلر وتم دمج اتحادات العمال مع الاتحادات الفيدرالية للموظفين في منظمة يرأسها هتلر، وألغي الحكم الذاتي الذي كانت تدار بموجبه الولايات الألمانية، وفي النهاية لم يتبق للرئيس الألماني هوجنبرج أي سلطات فعلية، بعد أن استأثر هتلر والحزب النازي بكافة سلطات الدولة التنفيذية والتشريعية والمؤسساتية، وأصبح هتلر الحاكم الحقيقي لألمانيا، وفي ١٩٣٤ توفي "هوجنبرج"، وبدلا من إجراء انتخابات رئاسية عين مجلس الوزراء هتلر رئيسا للدولة، باعتباره رئيسا للوزراء ورئيس أكبر كتلة برلمانية ومستشارا، وأصبح بذلك أيضا القائد الأعلى للقوات المسلحة الألمانية.

بدأ هتلر في التخلص من المعارضين لشخصه ونظامه لكي يصبح الحاكم المطلق ذا السيادة الكاملة على الدولة الألمانية، فقد تمكن من التخلص من بعض الشخصيات السياسية والعسكرية، وأصدر قرارا بأن يكون يمين الولاء له شخصيا باعتباره قائد الدولة، وتمكن هتلر من إزاحة ما تبقى من قيادات عسكرية وسياسية وأمنية قد تشكل تهديدا مباشرا لسلطته.

أصبح هتلر زعيم ألمانيا الأوحد، وبدأ بتنفيذ مخططاته وأحلامه وغاياته داخل ألمانيا وخارجها، ففي الداخل الألماني افتتح عهده بتصفية العديد من المعارضين أو من يشك في ولائهم له، ولم يكن يهتم بمحاكمتهم، فقد سعى إلى التخلص منهم بالتصفية الجسدية الفورية، فأمر بإعدام جوستاف فون كار، وهو ضابط كلف بسجن هتلر أثناء اعتقاله في أحداث الانقلاب التي قام بها حزب العمال العمال الألماني الاشتراكي الوطني، وأعدم إرنست رويم، الذي كان صديقا له لمدة خمسة عشر عاما، والسبب في

إعدامه أنه أراد دمج قوات العاصفة في الجيش الوطني الألماني ولكن قادة الجيش عارضوا ذلك بشدة، ولكن رويم أصر على موقفه، وكادت تحدث أزمة كبيرة، فأمر هتلر بإعدامه وإعدام خمسين من أفراد قوات العاصفة كانوا يشاركونه في الموقف.

كما أرسل هتلر للمستشار الألماني السابق كورت فون شلايخر قتلة محترفين قتلوه وزوجته.

في عام ١٩٣٥ صدر قانون يحرم يهود ألمانيا من حق المواطنة وفصلهم من كافة الوظائف الحكومية و إقفال متاجرهم، كما فرض على اليهود ارتداء نجمة صفراء على ملابسهم أثناء وجودهم في الأماكن العامة، وبسبب هذا القانون غادر ألمانيا أكثر من مائة وثمانين ألف.

كما أصدر هتلر مراسيم بحظر تكوين الأحزاب السياسية وإلغاء القائم منها، ما عدا حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني المعروف بالحزب النازي، الذي أصبح الحزب الوحيد في البلاد.

وكان هتلر متعصبا للعرق الآري وكان يكره اليهود كرها منقطع النظير، وقد جعل أهم أهدافه القضاء عليهم في ألمانيا وكافة أنحاء العالم، ومن هذا المنطلق بدأ بتنفيذ مخططه الجهنمي المعروف بالحل النهائي، أو الهولوكست في الأدبيات اليهودية والأوربية المعاصرة، والتي راح ضحيتها أكثر من ستة ملايين يهودي، بينهم مليون ونصف طفل، أي: ثلثا يهود أوربا وثلث يهود العالم، والتي استمرت منذ عام ١٩٣٥ حتى ١٩٤٥، أي: حتى انهيار حكم هتلر بعد هزيمته في الحرب العالمية الثانية.

كان هتلر يعتقد بأن اليهود يتوارثون دما شريرا، وكانت صحيفة "دير شتيرمر" التابعة للحزب النازي تنفذ حملة متوالية ضد اليهود، وكانت تنشر عناوين معادية لهم، علاوة على الرسوم الكاركتايرية التي تظهر اليهود في صور وأوضاع قبيحة، كتصويرهم وكأنهم قرود أو معقوفي الأنوف، وشنت الحكومة النازية الهتلرية من جانبها حملات مكثفة ضد اليهود، حيث صرح وزراؤها ومسئولوها بأن اليهود أفسدوا الثقافة الألمانية لكونهم أجانب، وأنهم يسعون إلى إضعاف الاقتصاد والثقافة الألمانية، وأنهم عنصر شرير وجبان، ودخلاء على العنصر الألماني النقي والشجاع والشريف، وقام مفكرو النازية ومثقفوها بمزج ثقافتهم المعادية لليهود بنظرية النشوء والارتقاء لداروين لتبرير عدائهم لليهود، وفي هذا الإطار أمر هتلر بإحراق الكتب التي ألفها اليهود، وطرد المدرسين اليهود، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وعزلهم عن النشاطات الشعبية، وكردة فعل على هذه السياسات العدائية حاول يهود ألمانيا الهجرة منها إلا أنهم واجهوا صعوبات جمة في الخروج بسبب قوانين الهجرة السائدة في تلك الفترة، الأمر الذي ساعد هتلر في تنفيذ خططه الدموية ضدهم.

ففي عام ١٩٣٨ ازدادت الهجمات ضد اليهود وحشية، وقام مراهق يهودي في السابعة عشرة من عمره يقيم في باريس إثر طرده وعائلته من ألمانيا بإطلاق النار على أحد الدبلوماسيين الألمان، توفي على إثرها بعد عدة أيام، وكردة فعل على هذه الحادثة قام مجموعة من النازيين بالهجوم على مساكن اليهود وأماكن عملهم ودور عبادتهم، وضرب وقتل العشرات منهم والقبض على أكثر من ثلاثين ألف يهودي وإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال، وقد عرفت هذه الهجمات الرهيبة بعملية الزجاج المهشم.

وعندما احتل النازيون بولندا قاموا بعزل اليهود في أحياء منفصلة (١٠% من سكان بولندا يهود بعدد ثلاث ملايين نسمة) وأجبروا على ارتداء ملابس تعرف بهويتهم الدينية وتدل على كونهم الأكثر انحطاطا بين السكان، ونظرا لسوء الخدمات في أحياء اليهود المعزولة والموحشة فقد توفي الآلاف منهم نتيجة قلة الغذاء وانعدام الرعاية الصحية وتفشي الأوبئة والأمراض المعدية.

في عام ١٩٤١ بدأ هتلر بتنفيذ عملية "الحل النهائي" الدموية، حيث أمر بتجميع اليهود في المدن الألمانية وغيرها من مدن الدول التي احتلتها القوات الألمانية في بولندا والاتحاد السوفييتي وفرنسا، فقام الجنود النازيون الإرهابيون بحفر حفر هائلة العمق، وأمروا اليهود بنزع ثيابهم والوقوف في صفوف، وأطلقوا النار عليهم من أسلحتهم الأتوماتيكية، فتساقط القتلى في الحفر التي تحولت إلى قبور جماعية، في إحدى مذابح الحل النهائي تم قتل ما بين ٣٠ إلى ٣٥ ألف يهودي، عرفت بمذبجة "بابي يار الرهيبة"، وحتى نهاية عام ١٩٤٢ قتل النازيون أكثر من ١و٣ مليون يهودي.

في عام ١٩٤٢ أمر هتلر بعقد اجتماع لكبار مسئولي الحكومة بغرض تنسيق الجهود وتفعيل عمليات الحل النهائي لتحقيق هدف القضاء على اليهود في أوربا وتصفية وجودهم برمته، وكانت نتيجة الاجتماع الذي عرف بمؤتمر فانزيه، هو اتخاذ قرار بتصفية اليهود بالغاز السام لقتل أكبر عدد منهم في مدد قصيرة جدا، وعلى إثر ذلك تم تأسيس ستة مراكز لإبادة اليهود في بولندا، علاوة على مجموعة من المعسكرات الداعمة لها، وأصبح يتم نقل اليهود إليها كل يوم بواسطة قطارات كانت تستخدم لنقل الأبقار! وعند وصول الدفعة من المعتقلين يتم تجريدهم من كل ما يمتلكونه ومن ثم يتم

تسميمهم بالغاز، وبعد موتهم يحرقون في محارق صممت لهذا الغرض، وفي هذه المعسكرات الرهيبة قتل ما يناهز خمسة مليون يهودي.

وقد لاحظ قادة معسكرات الاعتقال أن هناك شبابا يهودا أقوياء، وأنهم بحاجة إليهم، فقرروا عدم إعدامهم واستخدامهم للعمل في مصانع الذخيرة الألمانية، فكانوا يعملون من طلوع الشمس حتى حلول الظلام، وفي ظروف عمل بالغة القسوة، كقلة الغذاء والماء والدواء، مما أدى إلى موت الآلاف منهم، وعندما هزمت القوات الألمانية في الحرب سيق الآلاف من اليهود إلى معسكرات الاعتقال التي لا تزال تحت سيطرتها فيما عرف بمسيرات الموت، حيث مات أغلبهم في الطريق نتيجة الأمراض والإرهاق القاتل أو بسبب إطلاق النار عليهم من قبل الجنود الألمان، وقضى في هذه المسيرات حوالي ربع مليون يهودي بريء.

وقد قام اليهود بمقاومة حكومة هتلر إلا أن القوات الألمانية كانت تقضي على كل المجموعات التي تحمل السلاح في وجهها، وتدمر كافة الأحياء والمناطق التي يسكنها اليهود الذين يتلكئون في الخضوع للسلطات الألمانية الهتلرية.

وبالتزامن مع عمليات الحل النهائي، ولما كان هتلر يعتقد بأن العرق الآري، هو أفضل أعراق البشرية قاطبة، فقد كان يطمح إلى نقائه وضمان تفوقه، فاهتدى إلى ضرورة التخلص من كافة المرضى والمتخلفين عقليا، لأنهم يشكلون خطرا على ضمان بقاء تفوق العرق ولكونهم يشكلون عبئا على الدولة والاقتصاد من دون أي أمل في شفائهم والاستفادة منهم، وهم بذلك لا يستحقون الحياة، وعلى إثر اجتماع موسع لهتلر مع أقطاب حكومته أمرت الحكومة بتنفيذ برنامج أطلق عليه "القتل الرحيم" يهدف إلى التخلص من كافة المرضى الذي لا أمل في شفائهم، والمرضى العقليين، وذوي الإعاقة، في

البداية أمر هتلر بإهمال معالجة المرضى من ذوي الإعاقة والذين لا أمل في شفائهم وتركهم ليواجهوا مصيرهم، فمات المئات منهم، وبعد ذلك بدأت لجنة حكومية بمراجعة سجلات المواطنين الطبية، وزيارة المستشفيات وإعداد سجلات بأسماء المرضى المقرر إعدامهم، وعقب إعداد البنى التحتية اللازمة للمشروع، واستقدام مئات الأطباء والكوادر الطبية، تم نقل الآلاف من المرضى وذوي الإعاقة البدنية والعقلية من الذين حكم عليهم بالإعدام إلى معسكرات الاعتقال في ألمانيا والنمسا، حيث تم قتلهم في غرف الغاز ولم يسلم من الإعدام حتى المعاقين من الرضع والأطفال الصغار، حيث قتلوا عن طريق حقنهم بجرعات مميتة من الأدوية أو من خلال تجويعهم، وتم إحراق جثث القتلى في أفران كبيرة سميت بأفران الحرق.

ونتيجة للاعتراضات الدينية والشعبية الشديدة فقد توقف البرنامج رسميا، إلا أن هتلر واصله سرا على نطاق ضيق، وكانت حصيلته النهائية ما يقارب المائتي ألف معاق في الفترة ما بين ١٩٤٠- ١٩٤٥.

في عام ١٩٣٨ تمكن هتلر من إيصال حكومة موالية له في النمسا، وقد سارعت إلى الانضمام لألمانيا، وأصبحت بذلك جزء من الجمهورية النازية الألمانية، ونتيجة لتهديده بالحرب الشاملة على تشيكوسلوفاكيا منح إقليم السوديت، إلا أن قواته استولت دون مقاومة فيما بعد على أراضي التشيك في حين تولى الحكم في سلوفاكيا نظام موالٍ له.

وفي عام ١٩٣٩ هاجم بالتعاون مع الاتحاد السوفييتي بولندا، وتمكن من احتلالها، وضم نصفها إلى ألمانيا والنصف الآخر إلى الاتحاد السوفييتي.

في عام ١٩٤٠ غزا هتلر الدنمرك والنرويج وفرنسا هولندا وبلجيكا ولوكسمبورج واحتل أجزاء واسعة منها.

ثم هاجمت القوات الألمانية بريطانيا وشنت عليها هجوما مدمرا إلا أنه لم يتمكن من تدمير الدولة البريطانية.

في عام ١٩٤١ قام ثلاثة ملايين جندي ألماني بمهاجمة الاتحاد السوفييتي، في إلغاء من جانب هتلر لمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها مع ستالين، في إطار خطة واسعة لفرض هيمنة ألمانيا على العالم،على أقوال بعض المؤرخين، وبعضهم الآخر يعتقد أن هتلر غزا الاتحاد السوفييتي لتحقيق أهداف معينة ليس إلا، بينما بعضهم الآخر يرى أن هتلر غزا الاتحاد السوفييتي لمنعه من التحالف مع قادة الحلفاء في الحرب ضد ألمانيا، ويرى آخرون أن كل من ستالين وهتلر كان يخطط كل منهما للهجوم على الآخر في عام ١٩٤١، وأن احتشاد القوات السوفييتية على الحدود دفعت هتلر إلى اتحاد قرار الفرار إلى الأمام، أي: الهجوم بدلا من الدفاع، ويرى آخرون أن هجوم هتلر على الاتحاد السوفييتي كان لا بد منه للقضاء على قوة الاتحاد السوفييتي، لكي لا يكون عقبة أمام تحقيق طموحاته التوسعية.

في بداية الهجوم تمكنت القوات الألمانية من الاستيلاء على أجزاء واسعة من الأراضي السوفيتية، شملت جمهوريات البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا، وحاصر الألمان الكثير من القوات السوفييتية ودمروها.

الا أن هتلر تحالف ضده كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا، وبدأ بذلك مسلسل هزائمه العسكرية، حيث لحقته هزيمة مدمرة في الجيش السادس الألماني في معركة "ستالينجراد" عام ١٩٤٣، وبأن شبح الهزيمة يطارد القيادة الألمانية، وتدهور صحة هتلر كثيرا.
في نفس العام سقط حكم "ميسوليني" في إيطاليا، في حين كانت القوات السوفييتية تجبر قوات هتلر على الانسحاب من الأراضي السوفييتي وغيرها، ثم اتجهت قوات الحلفاء إلى فرنسا لتحررها من القوات الألمانية.

ونتيجة للهزائم المدمرة التي مني بها هتلر حاول بعض قادة الجيش الألماني اغتياله ولكن هتلر نجا منها بأعجوبة، وكان رده انتقاميا وحشيا حيث تم تنفيذ حكم الإعدام في أكثر من ٤٩٠٠ شخص.

بيد أن قوات الحلفاء واصلت انتصارتها بينما اندحرت القوات الألمانية وحلفائها في معظم جبهات الحرب العالمية الثانية، وفي نهاية عام ١٩٤٤ كانت قوات الحلفاء تتجه نحو ألمانيا، وكان هتلر يعي تماما بأن ألمانيا خسرت الحرب، فأصدر أوامره بتدمير البنية التحتية الصناعية الألمانية قبل أن تقع بأيدي الأعداء، تنفيذا لسياسة الأرض المحروقة، أي: تدمير كل ما يمكن أن ينفع العدو في حال احتلاله للدولة، إلا أن بعض القادة العسكريين رفض تنفيذ هذا الأمر.

في إبريل ١٩٤٥ دخلت القوات السوفييتية ألمانيا وتوجهت نحو برلين وعلى الفور تقدمت الفرق العسكرية إلى مقر هتلر للقبض عليه، أمر هتلر بشن هجوم على القوات الغازية بواسطة ما تبقى من الجيش الألماني التي سلمت من التدمير والتي لا تزال على اتصال بالقيادات العسكرية، إلا أن الضباط الميدانيين أرسلوا له رسالة تفيد بأن أمره هذا غير قابل للتنفيذ.

وحاول هتلر عبثا فك الحصار عن برلين وطرد قوات الحلفاء منها ومن كافة الأراضي الألمانية، وحث السكان على المقاومة وسعى إلى استثمار ما تبقى من قواته العاملة لإدامة الحرب ودحر الاعداء، إلا أن كافة محاولاته لم تنجح، ومع مرور الوقت أصبحت برلين مدينة معزولة عن باقي ألمانيا التي تم احتلالها من قبل قوات الحلفاء وأبلغت قيادات القوات الألمانية المتبقية هتلر بأنها لم تعد تستطيع القيام بأي مجهود حربي أو تنفيذ أي أمر عسكري بعد الآن.

ووصلت إلى مسامع هتلر أن موسوليني أعدم من قبل أعدائه الذين تعاونوا مع قوات الحلفاء، الأمر الذي زاد من تصميه على تجنب الوقوع في الأسر.

بدأت الاشتباكات العنيفة تدور في شوارع برلين بين قوات الحلفاء والنازيين، وبينما كانت قوات الحلفاء قريبة جدا من مقره السري، وضع هتلر حدا لحياته بإطلاق النار داخل فمه، ليموت منتحرا، كما انتحرت عشيقته التي تزوجها قبل انتحاره بيوم، وبناء على وصيته قام مر افقو هتلر بسكب البنزين على جثثيهما وأشعلا فيهما النيران، وبعد عدة أيام استسلمت ألمانيا دون شرط أو قيد لقوات الحلفاء، ليسقط بذلك النظام النازي الهتلري إلى الأبد، وتنتهي به حياة هتلر كطاغية من عتاة طغاة القرن العشرين.

لقد كان هتلر يكره الديمقراطية ولكنه استغلها للوصول إلى الحكم ولما تم له ذلك ألغى الديمقراطية نهائيا من الحياة السياسية الألمانية، فحظر تأسيس الأحزاب وقيد الصحافة والحريات المدنية، و أقام حكما نازيا دكتاتوريا شموليا متعلقا تعلقا تاما بشخصيته، بكل ما تحمله من نزعات مدمرة أسقطت على الدولة، الأمر الذي دمر ألمانيا في النهاية.

كان هتلر يطمح إلى إخضاع العالم من خلال الاستيلاء على مناطق شاسعة غرب وشرق ألمانيا لتأمين الاقتصاد الألماني وضمان قوة ألمانيا السياسية والعسكرية والاقتصادية، لذا دخل في حرب واسعة النطاق ضد دول الجوار وتمكن من احتلال أجزاء كبيرة منها، إلا أن الغلبة كانت في النهاية لدول الحلفاء، هتلر لم يستمع منذ البداية لنصائح مستشاريه التي كانت تؤكد على أن ألمانيا ليست مستعدة للدخول في حرب عالمية، كما أن عددا من الدول الحليفة كإيطاليا واليابان والمجر لم تكن متحمسة للدخول في الحرب، بل إن رئيس أركان الحرب الألماني اعترض على خطط هتلر العسكرية

وحذره من أنها ستؤدي إلى إشعال فتيل حرب عالمية كبرى ستهزم فيها ألمانيا، وكان الرأي العام الألماني غير مرحب بها، إلا أن هتلر لم يسمع كلام أحد واتخذ قرارات دكتاتورية متسرعة وغير حكيمة دمرت ألمانيا وسحقت جيشها.

كانت ألمانيا غير مستعدة للحرب، فقد كانت المصانع الحربية الداعمة للمجهود الحربي غير موجودة بالخدمة، كما أن سلاح البحرية لم يكن مهيأة للدخول في حرب مع بريطانيا التي تمتلك سلاحا بحري متفوقا، وكان المخزون من النفط غير كافٍ، وهو سبب يكفي لخسارة ألمانيا الحرب، علاوة على ذلك فقد فرضت بريطانيا وحلفائها حصارا جزئيا على ألمانيا ساهم في تقليص قدراتها العسكرية، على الرغم من ذلك فرض هتلر إرادته وقرر دخول ألمانيا في أتون الحرب المدمرة، واعتبر أن آراء المعترضين على الحرب ما هي إلا حسابات طفولية!

ولقد كان هتلر يعتقد أن العنصر الألماني هو أفضل عنصر في العالم! وأنه سينتصر على بقية الشعوب بسب تفوقه هذا، فزينت له نفسه الاستمرار في الحرب المجنونة ومحاربة أعتى قوى الأرض دفعة واحدة، الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والولايات المتحدة، بعض الخبراء يرى أن هتلر لو استفرد بالاتحاد السوفييتي فقط وتمكن من إسقاطه لكانت ألمانيا اليوم أقوى دولة في العالم.

يعتبر هتلر اليوم مثالا على الوحشية والدموية والطغيان بشكل عام، على الرغم من كونه مثار إعجاب الكثيرين، ولا ينكر أحد ما لشخصيته من جاذبية وتأثير وتميز، حتى أن مجلة التايمز الأمريكية اختارته من بين مائة شخصية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين.

إلا أنه يبقى أحد طغاة القرن العشرين الذي تسبب بمقتل الملايين من البشر.

من أقواله: لن أرحم الضعفاء حتى يصبحوا أقوياء وإن أصبحوا أقوياء فلا تجوز عليهم الرحمة.

- لا نريد إلهًا آخر غير ألمانيا نفسها. ومن الضروري أن نتحلى بإيمان وأمل وحب يتصفون بالتعصب لألمانيا ولصالح ألمانيا.

فلاديمير لينين (١٨٧٠ـ ١٩٢٤).

قائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية ضد النظام القيصري في روسيا، وأول رئيس للاتحاد السوفييتي

ولد عام ١٨٧٠ في مدينة أوليانوفسك الروسية، وفيها عاش وتربي في كنف والده الموظف في القطاع العام، الذي كان يؤمن بالديمقراطية والرأسمالية، بينما كان أحد أشقائه يمارس نشاطا ثوريا ضد النظام القيصري، أدى به إلى إعدامه بتهمة تورطه في محاولة اغتيال القيصر الكسندر الثالث، وكان لهذا الحدث أثر كبير في فكر وثقافة لينين، حيث أصبح يحمل أفكارا متطرفة ضد النظام الملكي والملكية الفردية التي يمثلها أعضاء العائلة المالكة، وبسبب مشاركته في أنشطة طلابية معارضة للنظام فقد طرد من الجامعة واعتقل، إلا أنه واصل دراسته على حسابه الخاص وحصل على درجة المحاماة عام ١٨٩١.

إلا إن لينين انصرف عن العمل كمحام إلى النشاط الثوري ضد النظام الملكي، مما أدى إلى اعتقاله مجددا، وحكم عليه بالسجن لمدة سنة ومن ثم النفي إلى صحراء سيبيريا وذلك عام ١٨٩٥.

أثناء نفيه تزوج وأصدر كتابه الأول "تطور الرأسمالية في روسيا" وعند عودته من المنفى أصدر صحيفة "اسكرا" الاشتراكية ونشر مجموعة من الكتب الثورية، وانضم إلى الحزب الاشتراكي الاجتماعي، ثم أصبح رئيسا للحزب البلشفي، ونظرا لخطورة أنشطته، فقد توجه للعيش في فنلندا عام ١٩٠٧.

وعقب الإطاحة بالنظام القيصري عام ١٩١٧ عاد إلى روسيا وأصبح من قياديي الثور العمالية ضد الحكومة المؤقتة التي نشأت عقب انهيار الملكية القيصرية، ولكنها فشلت، مما اضطره إلى مغادرة روسيا مرة أخرى، إلا أنه عاد إليها مجددا وتمكن من إسقاط الحكومة المؤقتة والاستيلاء على الحكم في روسيا.

تزعم فلاديمير لينين الدولة الروسية والحزب البلشفي وكان يواجه معارضة خطيرة ومؤثرة، فتصدى لها من خلال تأسيسه للجيش الأحمر والأجهزة الأمنية والعسكرية الفتاكة، حيث قامت بإدارة عمليات اغتيال وقتل ضد كافة أنصار النظام القيصري، وتولت قتل القيصر نيكولا الثاني وعائلته باجمعها، كما أقدمت على تدمير كافة المدن التي لم تعلن ولاءها للدولة الشيوعية البلشفية، وأصدر لينين أوامر بإعدام كل شخص يعارض الحكم الشيوعي على الفور ومن دون محاكمة، فتعرض عشرات الآلاف للاعتقال والتعذيب المميت والإعدام.

في عام ١٩١٨ أصدر لينين مرسومه الشهير القاضي بنزع الملكية الفردية، وتحويل الممتلكات الخاصة إلى ملكية الدولة، فكان أن أصبحت الأراضي ومحاصيلها ملكا للدولة بعد أن كانت أملاكا خاصة، وقد كان هذا المرسوم كارثيا بالنسبة للفلاحين القرويين البسطاء، حيث أغارت شرطة "الجاكا" المعروفة بغلظتها وقسوتها على القرى والأرياف، لجمع المحاصيل والحيوانات من الحقول والمزارع والبساتين بنسبة ١٠٠%، وكان كل من يقاوم يتهم بالخيانة ويساق للمحاكمة، يصف أحد موظفي الإحصاء العاملين مع شرطة الجاكا ما كان يمارسه جنودها من عسف وقسوة: (لقد بلغت أعمال القوات الخاصة المغتصبة درجة لا يتخيلها العقل، كان القرويون المعتقلون يحشدون في حظائر للحيوانات باردة مغلقة ويضربون بالسياط ويهددون بالموت، وكل فلاح يقصر في إعطاء ما لديه تربط يداه وذراعاه ويؤمر أن يركض في القرية وهو عار ثم يضرب بالسياط حتى الإغماء).

وأصدر لينين مرسوما يقضي بحرمان الفلاحين المعترضين على إلغاء الملكية الخاصة من البذور، وكان مرسوما كارثيا، حيث نتج عنه قحط شديد عام ١٩٢١ دام سنة كاملة، تسبب بتشريد أكثر من تسعة وعشرين مليون مواطن روسي وموت خمسة ملايين آخرين، وينقل عن لينين أنه كان سعيد بهذه الكارثة لأنها سوف تساهم في زعزعة الإيمان بالأديان التوحيدية والروحية، ونشر الشيوعية الإلحادية بين مختلف طبقات وشرائح المجتمع الروسي، وينقل عنه قوله: (إن الجوع سيقربنا إلى أهدافنا ويوصلنا إلى الاشتراكية التي هي عهد ما بعد الرأسمالية، فالجوع لا ينهي اعتقاد الناس بالقيصر فحسب بل سينهي اعتقادهم بالله أيضا).

وفي رسالة وجهها إلى بعض أعضاء الحزب عام ١٩٢٢: (إن الموقف لصالحنا ففي حال وجود مئات الآلاف من الجثث على الطرقات سيمكننا الاستيلاء على ممتلكات الكنيسة وأموال رجال الدين بقوة دون شفقة أو رحمة، ولهذا ينبغي أن نضع أيدينا على أملاكها وإن اليأس الناتج عن الجوع هو الأمل الذي سيجعل المجتمع يقابلنا بابتهاج، وعلى الأقل إنهم لن يعادونا فيبقون على الحياد).

ويقول بعض الكتاب: إن السجلات السوفييتية أظهرت أن لينين كان يسعى لإنهاء حياة خمسة ملايين إنسان بالقحط والجوع، بهدف نشر الشيوعية والاشتراكية والقضاء على الأديان، يقول المؤرخ ريتشارد بايبس: (لم يكن لينين يحمل أي شعور طيب للإنسانية إلا إحساس الإذلال والتحقير، وليس للإنسانية أي معنى عنده فقد عامل الشعوب كما يعامل الحداد الحديد).

نشرت صحيفة (البرافدا) عام ١٩٢٣ إحصائية جاء فيها: (إن أعضاء هيئة التشيكا الذين بلغوا مائة ألف عضو انتخبوا من أعظم المتحمسين للنظام البلشفي بزعامة لينين، وتغلغلوا في جميع مقاطعات روسيا، وقد قامت هيئة التشيكا في جميع الاتحاد السوفييتي بإعدام ٢٨ أسقفا و ٣٧١٥ كاهنا و٩٥٧٥ مدرسا و٨٨٠٠ طبيبا و١٠٥,٠٠٠ ضابط من ضباط البوليس و ٤٨٠٠٠ رجلا من رجال البوليس و٢٥٨٥٠ موظفا بالحكومة و ٢٦٠٠٠٠ ضابط).

إن استهانة لينين بالإنسان وعدم اكتراثه لموت الملايين من الناس يرجع إلى اعتقاده بأن الإنسان ليس مخلوقا مستقلا بذاته، وإنما نشا نتيجة لتطور الأنواع الحية، وإن تطور النوع البشري مرهون بنتائج صراع الطبقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إيمانًا منه بنظرية داروين الشهيرة

المعروفة بـ"أصل الأنواع" يقول أحد الكتاب: ("لينين" الذي كان تلميذ "بلانكوف" طبق الداروينية تماما على المجتمع، فقتل بقسوة الجماعات البشرية التي كان يراها قطيعا من الحيوان).

في عام ١٩٢٢ أصيب لينين بمرض أقعده عن الحراك، وأمضى بقية حياته على كرسي متحرك، بعدها أصيب بأزمة حادة أقعدته الفراش، وفي عام ١٩٢٤ توفي في الرابعة والخمسين من عمره.

خلف عددا من المؤلفات في الثورة البيروتارية ونقد الرأسمالية منها:

الدولة والثورة و*أطروحات أبريل* وتنسب له الكثير من الأفكار والأقوال المأثورة منها:

- إذا وجدت دولة لا يمكن أن تجد حرية، أما إذا وجدت حرية فلن تجد دولة.
- أعطنا الطفل لمدة ثماني سنوات وسيصبح بلشفياً للأبد.
- البرجوازية تخاف من حركة الجماهير أكثر مما تخاف من الرجعية.

جوزيف ستالين (١٨٧٨ـ ١٩٥٣).

الزعيم الثاني من زعماء الاتحاد السوفييتي، ولد في مدينة جورى الجورجية، كان والده عاملا بسيطا دائم السكر، وعندما ساءت أوضاع الأسرة الاقتصادية هاجرت إلى العاصمة تفليسي، وفيها التحق جوزيف بالمدرسة الابتدائية، التي مارس فيها أول أنشطته المتأثرة بالاشتراكية والشيوعية والمناوئة للرأسمالية والبرجوازية، ففي المدرسة أصبح داعيا ومروجا للاشتراكية، مما دفع بإدارة المدرسة إلى اتخاذ قرار بفصله ومعاقبة كل الطلاب الذين اشتركوا معه في اجتماعات الدعوة للاشتراكية، يقول بعض المدونين لسيرة ستالين أن من وشى بهم هو ستالين نفسه! وكان يهدف من ذلك أن ينكشف أمرهم وتلتصق التهمة بهم ليتمسكوا بانتمائهم للشيوعية.

في خارج المدرسة راح جوزيف يمارس نشاطه المحموم ضد الحكومة القيصرية ويؤلب الجماهير ضدها، وأصبح في قائمة المطلوبين لأجهزة الأمن القيصرية، إلا أنه ظل طليقا ونجح في تنفيذ عدد من الاضطرابات العمالية التي زعزعت الحكومة، إلا أنها تمكنت من القبض عليه ونفيه إلى سيبيريا،

ولكنه كان يتمكن من الهرب فيعاد إلى المنفى ويعاود كرة الهروب، مما أكسبه شعبية كبيرة، وتمكن في المرة الأخيرة من الإفلات وعدم العودة إلى المنفى.

في عام ١٩٠٥ اشترك مع أحد الرفاق في محاولة اغتيال حاكم جورجيا إلا أن المحاولة لم تنجح وتمكن جوزيف من الفرار.

وفي إحدى المرات التي نجح فيها بالهروب من منفاه التقى بلينين، الذي أبدى إعجابه الشديد بنشاطه وإخلاصه للشيوعية، وأطلق عليه لقب "ستالين" أي: الرجل الفولاذي.

في عام ١٩١٣ عين ستالين عضو في اللجنة المركزية للحزب البلشفي، ويقال: إنه في فترة عضويته اختفى عدد من أعضاء الحزب ممن ثارت حولهم الشكوك أو وجهت إليهم تهمة الخيانة والتعاون مع النظام القيصري، وقد أكد الكثيرون أن ستالين كان وراء حالات الاختفاء هذه.

وبعد تسلم الشيوعيين الحكم تقلد ستالين منصب المفوض السياسي للجيش الروسي في فترة الحرب الأهلية الروسية والحرب الروسية البولندية، وفي عام ١٩٢٢ أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي، وعظمت سطوته وامتدت سلطته لأبعد مدى، ويقال: إن لينين الذي كان يحتضر لم يرق له أن يستولي ستالين على سلطاته فأمر بإبعاده وكتب أمرا بذلك، إلا أن وثيقة الأمر تمكن أنصار ستالين من إخفائها وظلت حبرا على ورق حتى وفاة لينين.

وبعد وفاة لينين تألفت رئاسة حكومة ثلاثية من ستالين ووكامينيف وزينوفيف، إلا أن ذلك لم يعجب ستالين فعمل على إقصاء شريكيه وتم له ذلك وأصبح القائد الأوحد وذلك عام ١٩٢٨.

إن الجرائم المروعة التي ارتكبت ضد الإنسانية في عهد ستالين لا يمكن وصفها إلا بأنها الأكثر وحشية في القرن العشرين، والتي تنم عن طغيان لا حدود له مشوب بحقد شيطاني على الجنس البشري، ففي عهد ستالين دخل معسكرات العمل الإجباري التي أنشئت منذ عهد لينين أكثر من عشرين مليون إنسان، وزاد عددها في عهد ستالين زيادة مرعبة، في إطار عرف بـ"حملة التطهير الكبير"، التي راح ضحيتها أكثر من خمسة مليون إنسان.

لقد كان ستالين يعتبرها وسيلة من وسائل تنظيف المجتمع من أدعياء الثورة البلشفية أو الأشخاص الغير موثوق فيهم، ولهذا سميت بهذا الاسم، وبفضل هذه المعسكرات تمكنت حكومة ستالين من الحصول على جيش ضخم وهائل من العمال الذي يعملون من دون مقابل، وتم تسخيرهم لتنفيذ خطط ستالين الطموحة لبناء دولة سوفييتية شيوعية قوية. (لقد كان عدد معتقلي المعسكرات بالملايين وجميعهم سخروا للعمل من أجل إنشاء المشاريع الضخمة، كالسكك الحديدية وتعبيد الطرق وبناء المصانع والمدن الجديدة من دون مقابل يذكر).

بدأت الحملة باغتيال سيرجي كيروف، سكرتير منظمة الحزب الشيوعي في لينينغراد، حينها أصدر ستالين قانون مكافحة الإرهاب السيئ الصيت الذي صادق عليه المكتب السياسي من دون نقاش.

نفذ القانون على الفور من دون أية مراعاة لأي مضمون من مضامين العدالة والشرعية، إذ كان يهدف إلى احتفاظ الشيوعيين بالسلطة وسحق معارضيهم، فكان وصفة خاصة بالدولة تنفذ من دون الالتزام بأي قيم إنسانية أو أخلاقية، وكان ينص على أن التحقيق في قضايا الإرهاب لا يزيد عن عشرة أيام، ومنع توكيل محامين عن المتهمين، وعدم حقهم في استئناف

الأحكام الصادرة بحقهم، ومن يحكم عليه بالإعدام ينفذ الحكم على الفور، ويحق للمحكمة إصدار أحكام الإعدام حتى من دون حضور المتهم!

إن حملة التطهير الكبير أغرقت الاتحاد السوفييتي في بحار من الدماء، فقد سيق الآلاف من البشر بالقوة من منازلهم وأُلقي بهم في غياهب السجون وأُرغموا على الاعتراف بجرائم نسبت إليهم، وقتل منهم من قتل وأرسل من أرسل لمعسكرات العمل القاتلة.

الملايين من الناس اختفوا إلى الأبد عن الأنظار، ومن بقي من المعتقلين ظهروا بعد وفاة ستالين بعدة سنوات، نسبة ضخمة من القيادات السياسية والعلمية والحزبية والعسكرية تم تصفيتها، حتى أصبح الاتحاد السوفييتي مختلفا تماما قبل حملة التطهير الكبير وما بعدها.

لم يسلم منها حتى من وصفهم ستالين بالطفيليين أو العناصر الضارة ولكنها ليست بالخطيرة.

كان يتعرض لخطر الاعتقال كل من يملك أكثر من منزل أو أكثر من أربعة بقرات من الفلاحين أو العمال الذين يأتون متأخرين، أو لاعبي كرة القدم الذين خسروا مبارياتهم المهمة أو المواطنين الذين لديهم اسم أجنبي.

وعند اعتقال عضو كبير في الحزب الشيوعي كان خطر الاعتقال يرافق عدد كبير ممن هم حوله، من طريف ما ينقل أن أحد مسئولي الحزب كان يهوى تسلق الجبال وعندما اعتقل ألقت الأجهزة الأمنية على عدد كبير من هواة تسلق الجبال في المنطقة التي كان يمارس فيها هوايته!

ومن طريف ما يروى أن البوليس السري يعتقل الصحفيين قبل تعليق أسمائهم على مكاتبهم الجديدة!

ولقد كان يكفي إطلاق مزحة عابرة صغيرة عن ستالين أو أحد كبار القادة السوفييت، أو وجود علاقة ولو محدودة أو بسيطة مع شخص معتقل ليكون المصير السجن، أو الإعدام أو معسكرات العمل القسري المرعبة.

كان المحكوم عليهم بالعمل في معسكرات السخرة المعروفة بمعسكرات إعادة التربية، يرسلون بواسطة عربات قطار مملوءة بالأقفاص الحديدة لكي يصبح الهروب ضربا من المستحيل،كما استخدمت عربات نقل الحيوانات لنقل المعتقلين إلى معسكراتهم التي كانوا ينقلون إليها في ظل ظروف صحية فضيعة، علاوة على نقص الغداء، إذ كان مؤلفا من قطعة خبز جافة وسمك مملح وجرعة ماء واحدة طوال اليوم، وكان هذا الغذاء لا يتغير في صيف أو شتاء، مما أدّى إلى موت الكثير منهم في الطريق جوعا وعطشا ومرضا، والكثير من المرضى كان الحراس يسارعون إلى قتلهم أثناء احتضارهم، وكانت نسبة كبيرة من الموتى من الأطفال الذين كانوا يصرخون حتى الموت في أحضان أمهاتهم.

عند وصول المعتقلين إلى المعسكر تستقبلهم لافتات كتب عليها "بيد من حديد نقود الإنسانية إلى السعادة" و"بالعمل تصل إلى الحرية"، ثم يجري فرزهم إلى مجموعات حسب فحوصات الأطباء، فمجموعة مناسبة للعمل القاسي، ومجموعة مناسب للعمل الخفيف، ومجموعة غير قادرة على العمل.

وكان السجناء يسكنون في مساحات بسيطة حيطانها غير معزولة، مما جعلهم يخوضون صراعا مع بعضهم البعض حولها غالبا، نتج عنه وقوع قتلى وجرحى بينهم، وكل ذلك من أجل عدم النوم على الأرض الطينية المتجمدة ليلا!، وكانت ساعات العمل تصل لستة عشر ساعة يوميا، دون

وقت الذهاب والإياب إلى مكان العمل، لذا كان النوم ليلا بمثابة حياة أو موت بالنسبة للمعتقلين.

يقول أحد معتقلي معسكرات إعادة التربية: (عندما سقطت على الأرض قفز فوقي المسئول كالثور الغاضب، وبدأ بركلي وضربي على وجهي حتى أصبحت نصف مشلول وغطى وجهي التراب مختلطا بالدم).

ويقول الكاتب والأديب الروسي فارلم شالاموف، الذي ذاق الحياة في معسكرات ستالين الرهيبة: (من أجل تحويل إنسان سليم إلى حطام إنسان نحتاج إلى أكثر من ٢٠-٣٠ يوم عمل، كل يوم من ١٦ ساعة عمل، بدون عطلة، يضاف إليهم تجويع ممنهج وملابس ممزقة وليالي بدرجة حرارة ٦٠ تحت الصفر في خيمة ممتلئة بالثقوب).

وقد رويت أحداث رهيبة في هذه المعسكرات المدمرة لإنسانية الإنسان، منها أن بعض المعتقلين من يأسهم قطعوا أقدامهم أو وضعوا حوامض في عيونهم من أجل تفادي الذهاب للعمل، والبعض الآخر ربطوا أقدامهم بقماش مبلول قبل الذهاب إلى أعمالهم وعند عودتهم تكون أقدامهم قد تجمدت لدرجة لا بد من قطعها.

جماعة من المعتقلين كلفوا بالعمل بتصنيف جذوع الخشب وكانوا يقضون الأيام مبللين والرياح الباردة تضرب أجسادهم دون هوادة، يقول الأديب والكاتب الروسي ايساك فيلشينيسكي: (بعد ٣٠-٤٠ دقيقة فقط يصبح الجسم بكامله مبلل والبخاريتصاعد منه.

الرقبة والشفايف ورموش العين تتغطى بطبقة من الجليد وتشعر بالتجمد يصل إلى نخاع العظام من خلال الملابس الخفيفة).

وجماعة أخرى كلفت بالعمل في مناطق قريبة جدا من القطب الشمالي في ظل ظروف البرودة الشديدة ، فكان المعتقلون يعانون من خطر الموت حال إصابتهم بالإسهال، وخطر التجمد الحتمي في بعض الأحيان، وعدم العثور على جثثهم إلا بعد ذوبان الجليد.

في عام ١٩٣٧ أصدر ستالين قوائم بعدد الأشخاص الذين يجب إعدامهم، ووفقا لهذه القوائم كان يتعين على الجمهوريات السوفييتية إعدام مجموعة من السجناء لديها، وإرسال المتبقي منهم إلى معسكرات الاعتقال.

ووفقا لبعض الإحصائيات الموثقة فإن حوالي أربعة مليون إنسان في الاتحاد السوفييتي أدينوا بجرائم ضد الدولة وحكم عليهم بعقوبات متفرقة من بينهم ثمانمائة ألف أُعدموا رميا بالرصاص، نسبة كبيرة منهم ينتمون للحزب الشيوعي، لتصبح بذلك عضوية الحزب والحصول على المناصب الكبرى في الحزب والدولة أو البقاء قرب منها خطروشيكا على أصحابها.

كل الكادر البلشفي القديم أيام لينين أبيد عن بكرة أبيه عدا حفنة قليلة، وخمسة من أعضاء المكتب السياسي و٩٨ من بين ١٣٩ من أعضاء اللجنة المركزية قتلوا في حملة التطهير الكبير، في جمهورية أوكرانيا ثلاثة فقط من بين ٢٠٠ أعضاء اللجنة المركزية بقوا على قيد الحياة!

٧٢ من بين ٩٣ من أعضاء اللجنة المركزية للكومسومول أبيدوا عن بكرة أبيهم.

١١٠٨ من بين ١٩٩٦ من مندوبي المؤتمر السابع عشر سجنوا أو قتلوا.

٣١٩ من بين ٣٨٥ من سكرتيري المناطق الحزبية، و ٢٢١٠ من بين ٢٧٥٠ من مسئولي المحافظات الحزبية قتلوا.

إضافة إلى ذلك فإن عشرات الآلاف من الشيوعيين ومؤيديهم من الشيوعيين الأجانب من الذين عملوا في مؤسسات الحزب والدولة اختفوا ولم يعد لهم أثر، مثل "بيلا كون" قائد الثورة الشيوعية في هنغاريا أرغم على الوقوف على رجل واحدة لعدة أيام حتى يعترف بأنه عميل فاشي ثم أعدم، والحزب الشيوعي الألماني فقد سبعة من أنصاره في الحملة، والحزب الشيوعي البولوني فقد كامل أعضاء لجنته المركزية وخمسة ألاف من أعضائه، وجميعهم قتلوا بتهم العمالة للمخابرات البولونية.

وشملت حملة التطهير حتى منسوبي الأجهزة الأمنية السوفيتية، حيث أمر ستالين بإعدام ٧٠٠ عنصر امني بتهمة التقصير في أداء الواجب.

يقول بعض الكتاب أن ستالين مسئول عن وفاة أكثر من خمسين مليون إنسان بين عامي١٩٢٧-١٩٥٣، وهذا العدد يزيد عن ضحايا هتلر بخمسة عشر مرة، وبأربع مرات على خسائر روسيا في الحرب العالمية الثانية، وأربعين مرة على خسائرها في الحرب العالمية الأولى، وفي تقدير للمخابرات الروسية صدر عام ١٩٨٩ قدر عدد ضحايا حكم ستالين بستة وثلاثين مليون، أما المؤرخ البريطاني "نورمان ديفيدز" فقدر ضحاياه بخمسة ومليون نسمة، والمؤرخة البريطانية "كاثرين ماريديل" قدرتهم بخمسين مليون، والأديب الروسي "الكسندر سولزنيتين" يعتقد بأن ضحاياه يزيدون عن ستة وستين مليون إنسان، والرقم المثبت في قسم التاريخ بجامعة موسكو يقدر بسبعة وخمسين مليون.

وجاء في بعض الإحصائيات الرقمية فرزا لضحايا ستالين وفقا لما يلي:

- حوالي ٢٠ مليون إنسان ضحايا معسكرات إعادة التربية وجميعهم ماتوا في أوقات مختلفة من اعتقالهم.

- تنفيذ حكم الإعدام بمليون نسمة بين الأعوام ١٩٣٥ - ١٩٣٨ والأعوام ١٩٤٥ – ١٩٥٠.

- في مارس ١٩٤٠ تم إعدام خمسة وعشرين ألف وسبعمائة بولندي، منهم أربعة عشر ألف وسبعمائة من أسرى الحرب.

- عام ١٩٤٠ تم إعدام ما بين ٣٠،٠٠٠ - ٤٠،٠٠٠ من السجناء فيما عرف "بمذبحة المساجين".

- ضحايا وثائق "أعداء الشعب" التي أصدرها ستالين، وصل عددهم المتداول ٧٢٩٥٠ تم إعدامهم.

- إعدام ٢٠٠٠ معتقل في أحد معسكرات إعادة التربية لعدم نفعهم ولتوفير أماكن لمعتقلين جدد.

- أجبار ٨٢% من المواطنين السوفييت من أصول ألمانية على الالتحاق ببرامج معسكرات إعادة التربية بعدد لا يقل عن مليون وربع إنسان.

- بلغ عدد المعتقلات عام ١٩٤٩ نصف مليون، منهن ٩٣٠٠ امرأة حامل، و٢٣٧٠٠ لديهن أطفال برفقتهن في المعتقل.

- زارت لجنة تفتيشية مجموعة من معسكرات الاعتقال عام ١٩٤٠ وأوضحت في تقريرها أن ١٠٠% من المعتقلين يعشعش القمل في شعورهم وملابسهم.

- في الثامن من ديسمبر ١٩٣٨ وقع ستالين قائمة بإعدام ثلاثين ألف رجل، ثم قام لمشاهدة فيلم "لرجال السعداء"!

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أمر ستالين بترحيل مليون ونصف مواطن إلى سيبيريا وجمهوريات آسيا الوسطى بتهمة تعاونهم مع القوات النازية ومعاداتهم للمبادئ السوفييتية، وتشير التقديرات والإحصائيات المؤرخة لفترة حكم ستالين أن المجتمع الروسي عانى في فترة حكمه من نقص حاد في الذكور وزيادة في عدد الأيتام.

لقد كان ستالين شيطانا في صورة بشرية، فحقده على الكائن البشري لا يقل عن حقد الشياطين عليه! يذكر المؤرخون أن ستالين عندما يلقي خطابا لم تكن الجماهير تتجرأ على وقف تصفيقها له حتى عندما يعطي إشارة بذلك!

في ١٩٤٢ صرح ستالين أمام "تشرسل" رئيس وزراء بريطانيا أن عشرة ملايين فلاح تم تصفيتهم لرفضهم ضم مزارعهم إلى التعاونيات الاشتراكية!

ولا أظن أن أحدا في التاريخ بلغت ضحاياه بهذا العدد المهول الذي ليس له نظير طوال بين الطغاة الذين ابتليت بهم الشعوب والأمم ، إنه أعظم جزار في تاريخ الإنسانية (من حيث عدد ضحاياه) دون شك أو ريب، وما يضحك ويبكي أن الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين كانت من ضمن دول الحلفاء التي حاربت دول المحور التي كان بزعامة ألمانيا، وأن الحكومة السوفيتيية كانت من ضمن الحكومات التي شكلت محكمة "نورنبرج" لمعاقبة مجرمي الحرب من ألمانيا!

في الخامس من مارس سنة ١٩٥٣ أعلن راديو موسكو وفاة جوزيف ستالين رئيس روسيا (تشير بعض المصادر التاريخية أن صحة ستالين تدهورت فجأة بعد حضوره مأدبة عشاء بحضور وزير الداخلية السوفييتي "بيريا وخروشوف" ورفاق آخرين، مات بعضهم بعد أربعة أيام، وأن "بيريا" وضع له سم في الطعام توفي على أثره) حينها انتشر الخبر في معسكرات الاعتقال التي انطلقت فيها هتافات الفرح وغمرت المعتقلين مشاعر البهجة والأمل، وكانوا يلقون قبعاتهم في الهواء، وأجهش الكثير منهم بالبكاء، وهنأ بعضهم بعضا بمناسبة خلاصهم من أبشع طاغية على وجه الأرض.

وتحقق أمل الملايين من شعوب الاتحاد السوفييتي، فبعد عدة أسابيع فقط جرى أغلاق معظم معسكرات الاعتقال وأطلق سراح معتقليها البالغ عددهم مليون إنسان، وذلك بعد أن توفي منهم أربعة ونصف مليون شخص أثناء سنوات اعتقالهم الطويلة المظلمة.

لقد كان ستالين ديكتاتور منقطع النظير، يصدر قراراته بفردية ومزاجية، صاحب قلب متحجر مليء بالحقد على الكائن البشري ولا يفرق بين موت فرد أو سكان مدينة بأكملها.

من ناحية أخرى لا شك أن ستالين يعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفييتي ونجح في إعادة بنائه وتحويله إلى دولة صناعية قوية، وأسس جيشه الذي أصبح به قوة عسكرية عظمى، حققت نصرا مؤزرا في الحرب العالمية الثانية، وساهمت في رسم خريطة العالم في القرن العشرين.

إلا أن هذه الانجازات كانت على حساب أرواح الملايين من أبناء الشعوب السوفييتية، الذين تسبب بقتلهم أو موتهم، لذا يعتبر "مايكل هارت " المؤرخ الأمريكي المعروف أن ستالين أحد العبقريات التي عرفها العالم ولكنها عبقرية شريرة!

مما ينسب له من أقوال:

- الموت هو الحل لجميع المشاكل، لا يوجد إنسان = لا توجد مشكلة.

- أنا لا أثق بأحد، ولا حتى بنفسي.

- التاريخ يبين أنه لا توجد جيوش لا تقهر.

- أعتقد في شيء واحد فقط، قوة الإرادة البشرية.

- القوة الحقيقية الوحيدة تخرج من بندقية طويلة.

- موت رجل حادث مأساوي.. موت الملايين مسألة إحصائية!

فرانسوا دوفالييه (١٩٠٧ـ ١٩٧١).

رئيس هاييتي منذ عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٧١، كان والده قاضيا في المحكمة، أكمل تعليمه حتى تخرج طبيبا في جامعة هاييتي عام ١٩٣٤، وعمل في عدد من المستشفيات الحكومية، ثم أكمل دراسته في الولايات المتحدة حتى عام ١٩٤٣، وعندما عاد خصص جزءا من حياته العملية لمعالجة الفقراء، الذي لقبوه بـ (بابا دوك) وهو اللقب الذي لازمه طوال حياته.

في عام ١٩٤٦ أصبح وزيرا للصحة في حكومة الرئيس دومريسيس ايستايم، حتى عام ١٩٥٦، عندما نجح انقلاب في إسقاطه، الأمر الذي دفع بدوفالبيه للتواري عن الأنظار حتى أعلنت الحكومة الانقلابية العفو عن وزراء الرئيس المخلوع، وغادر هاييتي لفترة من الوقت، ثم عاد مجددا ليرشح نفسه في الانتخابات الرئاسية.

تمكن دوفالبيه من الحصول على أصوات الطبقات ما دون المتوسطة الذين يشكلون أغلبية سكان البلاد، وذلك عبر تحريضه الأغلبية الزنجية ضد الأقلية البيضاء والسمراء التي تشكل النخب الاقتصادية والسياسية في البلاد، كما استطاع ضمان معظم أصوات الجيش الهاييتي لصالحه.

(يقال: إن دوفالبيك تمكن من إقناع الفلاحين الذين يشكلون أغلبية أقوى العاملة من أنه يمتلك قوى سحرية وأن عليهم انتخابه حتى تستمر زراعتهم ويبارك الرب في محصولهم!) مما مكنه من الفوز بالانتخابات وتنصيبه رئيسا لهاييتي عام ١٩٥٧.

بعدما أصبح دوفالبيه رئيسا بدأ بتنفيذ وعوده ومكن الأغلبية الزنجية من العمل في الحكومة والجيش وأجهزة الأمن، وكافح التمييز الذي كان يمارس ضدهم من السمر والبيض، مما أدى إلى قيام بعض الضباط بعملية انقلاب ضده ولكنها باءت بالفشل، وبعدها عمل دوفالبيه بإعادة هيكلة الجيش لضمان سيطرته عليه.

في عام ١٩٥٩ أسس دوفالبيه جهاز الأمن الوطني، الذي أصبح العمود الفقري لسلطته، حتى أن أعداد منتسبيه يوازي أعداد الجيش النظامي، وقد عرفوا برجال السيارات المفخخة، بعد أن تحول إلى قوة عسكرية ضاربة تفوق قوة الجيش، وأصبح على مر الوقت أكثر جهاز يثير الرعب في نفوس الشعب الهاييتي، مما مكن دوفالبيه من التحول إلى حاكم مطلق الصلاحيات وأصبح دكتاتور هاييتي وطاغيتها، حيث أنهى وجود المعارضة القانوني والعرفي في البلاد.

في عام ١٩٦١ انتهت ولايته بموجب الدستور وكان لا يحق له الترشح مجددا، إلا أنه رفض تنظيم انتخابات جديدة وأوعز إلى مجلس الأمن القومي إصدار مرسوم بموجبه نصب رئيسا للدولة الهاييتية مدى الحياة! على الرغم من أن أعضاء المجلس جميعهم كانوا معينين من قبله!

ويقال: إن دوفالبيه كان يكسب ولاء الطبقات الفقيروالمعدمة من خلال الإيحاءات الروحية والتعاليم الدينية، وتصوير نفسه على أنه كاهن أو خليفة للمسيح حتى أنه أصبح يعرف بـ(بابا دوك)، مما مكنه من كسب ولاء نسبة كبيرة من شرائح وطبقات الشعب، على الرغم من دكتاتوريته وعدم دستورية حكمه بعد انتهاء فترة ولايته الأخيرة.

ثم إن دوفالبيه مارس كافة صنوف القمع والإرهاب ضد معارضيه وحكم حكما دكتاتوريا شاملا، وحاصر حريات المواطنين، وانتشر الفساد بشكل كبير في حكومته، حيث تملك أنصاره ومقربيه الأراضي والعقارات واستحوذوا على الانشطة التجارية، وأدخل هاييتي في عزلة مظلمة عن العالم، ويقال: إن عدد ضحايا نظامه بلغ أكثر من ثلاثين ألف مواطن، قتل الكثير منهم في سجون عرفت بـ(مثلث الموت)، مما جعل حكومته توصف بأنها الأكثر قمعا في نصف الكرة الغربي بلا منازع.

في عام ١٩٦٩ أصدر مرسوما يقضي بمحاربة كافة الأنشطة الشيوعية واعتبار أي نشاط شيوعي هو اعتداء على أمن الدولة يعاقب فاعله بالإعدام.

لقد كان لدكتاتورية دوفالبيه أثرها المدمر على الشعب الهاييتي، حيث فر الآلاف منهم إلى الولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية، والعديد منهم يحملون تخصصات العلمية تحتاجها البلاد، مما كان له أثر كبير في تدهور الأوضاع في هاييتي في مختلف المجالات.

وعلى الرغم من محاولات الانقلاب عليه واغتياله إلا أنه نجا منها واستمر رئيسا لبلاد حتى وفاته عام ١٩٧١، بل وخلف دكتاتور يواصل نظام الطغيان والاستبداد ضد الهايتيين وهو ابنه المشهور بـ(بيبي دوك).

في عام ٢٠١١ تمكنت الحكومة الهايتيية من الحصول على أموال في بنوك سويسرية كان دوفالبيه هربها في سويرا أثناء فترة حكمه. (واصل بيبي دوك قيادة نظام والده الديكتاتوري، ولكن بوتيرة أقل نوعا ما، ولكن الفساد انتشر انتشارا شاملا في نظامه، الأمر الذي تسبب بحدوث انتفاضة شعبية عارمة ضد نظام حكمه انتهت بخلعه من الحكم وذهابه إلى المنفى لمدة ٢٥ عاماً، حتى عاد إلى بلاده عام ٢٠٠٥ ليواجه محاكمة بتهم الفساد وارتكاب عمليات قتل وإعدام بحق المعارضين).

أنــور خـوجـه (١٩٠٨ـ ١٩٨٥).

سياسي الباني، رأس حكومة شيوعية عام ١٩٤٤ حتى وفاته عام ١٩٨٥ ، حكم بلاده بقبضة من حديد لم تفل إلا بموته.

ولد في جيروكاستر بألبانيا، أكمل دراسته الجامعية في جامعة مونپلييه بفرنسا، وفيها اعتنق الأفكار الماركسية، ثم درس في بروكسل وعمل دبلوماسيا في سفارة بلاده فيها.

عندما عاد إلى ألبانيا عمل مدرسا للغة الفرنسية ولكنه فصل من عمله بسبب اتهامه بالشيوعية، فاضطر لفتح متجر صغير لكسب الرزق، ولكنه سرعان ما انضم إلى الحزب الشيوعي العمالي الألباني، الذي كان له دور بارز في أحداث الحرب العالمية الثانية، حيث كان يقود جبهة التحرير الوطنية الألمانية المناهضة للاحتلال الألماني لألبانيا، وشكلت قوات عسكرية قاتلت القوات الألمانية حتى تمكنت من دحرها وإسقاط النظام الموالي لها، وتم تعيين خوجه رئيسا للوزراء، وفي عام ١٩٤٦ أجريت انتخابات فاز على إثرها بمنصب رئيس الدولة.

بعد إمساكه بالسلطة بادر خوجه إلى قطع علاقات ألبانيا مع بريطانيا والولايات المتحدة، ووثق علاقاته مع الاتحاد السوفييتي، وبعد موت ستالين تدهورت علاقاته بموسكو حتى تم قطع العلاقات معها، فيما أقام علاقات وثيقة مع الصين، وفي عام ١٩٦٨ انسحب من حلف وارسو، كما سحب عضوية ألبانيا في منظمة "الكوميكون" التي كانت تعني مساعدة دول الكتلة الشرقية اقتصاديا وسياسيا، واتجه خوجه في النهاية ببلاده وشعبه إلى العزلة الاقتصادية والسياسية والثقافية الخانقة طوال فترة حكمه.

عندما أمسك خوجه بالسلطة ألغى الأحزاب والانتخابات التي جاءت به إلى الحكم، وأصبح الحزب الشيوعي هو الحزب الوحيد، كما عمد إلى التخلص من كافة منافسيه في الحزب الشيوعي، وتمكن من إسقاط المعارضين له، وجرد المجلس النيابي من كافة سلطاته وصلاحياته، وتحول إلى مجلس صوري ومجرد ديكور يجمل به حكومته.

وكان خوجه من الشخصيات السياسية المعادية للأديان، لا سيما الإسلام والمسيحية، ففي عام ١٩٦٧ أعلن أن ألبانيا دولة ملحدة (رغم أن أغلب شعبها يدين بالإسلام) وشن حملة ضد رجال الدين وكافة المظاهر الدينية، وأمر بإغلاق المساجد والكنائس ودور العبادة لمختلف الديانات والمذاهب الروحية.

وعلى الصعيد الاقتصادي انتهج نظام خوجه "الشيوعية الاقتصادية"، حيث أقدم على تأميم الاقتصاد، فآلت ملكية المزارع والمصانع والبنوك والشركات إلى الدولة وأصبح القطاع العام هو القطاع الوحيد في ألبانيا، وحظرت الملكية الفردية، وكانت النتيجة هو تخلف ألبانيا الاقتصادي، علاوة على عزلتها الإنسانية والحضارية والسياسية، على الرغم من تمتعها بالكثير من الأرضي الخصبة والموارد الطبيعية.

وقد ظل أنور خوجه يحكم ألبانيا حكما دكتاتوريا مطلقا حتى توفي عام ١٩٨٥، حينها بدأت أشعة ربيع شمس الحرية تشرق على ألبانيا بعد عقود قاسية من شتاء الشيوعية الطويل.

إلا أنه بعد خمسة وعشرين عاما من حكم خوجه أعلنت الشرطة الألبانية عثورها على رفات ١٩ شخصا مدفونين داخل قاعدة عسكرية بالقرب من تيرانا، حيث كانت المخابرات الألبانية تعدم السجناء السياسيين المعارضين لنظام حكمه، وقالت الشرطة في حينها: إن كافة الأشخاص الذين عثر على جثامينهم تم قتلهم برصاصة في الرأس، وأشارت الصحافة الألبانية إلى أن الكثير من ذوي السجناء السياسيين الذين اختفوا أيام حكم خوجه يسعون إلى معرفة مصير أبنائهم، إلا أن المخابرات الألبانية السابقة أحرقت معظم سجلاتها حتى لا يقدم منتسبوها للمحاكمة، وهكذا هم الطغاة دائما ما يفجعون شعوبهم بهول ما ارتكبوه من فظاعات حتى بعد رحيلهم.

عيدي أمين (١٩٢٥ـ ٢٠٠٣).

رئيس أوغندا من ١٩٧١ إلى ١٩٧٩، عرف بكونه ديكتاتور راح ضحية طغيانه الآلاف من الناس، واشتهر بطرافته وآرائه وأطروحاته المضحكة التي تداولتها الصحافة العالمية بالسخرية والتهكم.

والداه ينتميان لقبيلة "كاكواس" المسلمة، وقد قضى سنواته الأولى متنقلا بين القبائل الأوغندية، ولما بلغ مطلع الشباب التحق بالخدمة العسكرية، وفي الستينات الميلادية احترف إلى جانب عمله العسكري الملاكمة وأصبح أحد أبطالها.

في عام ١٩٦٣ عين عقيدا في الجيش، وفي ١٩٦٨ رقي إلى رتبة لواء، ويقال: إنه حصل على هذه الترقيات السريعة لنجاحه في البطش ببعض القبائل التي كانت تزعج الرئيس ميلتون اوبوت، وليس لكفاءته ومهاراته العسكرية، وعندما عين قائدا عاما للأركان كان ذلك بسبب نجاحه في مهمة خطيرة لمصلحة الرئيس، إلا أن الرئيس اوبوت ندم على فعلته ولكن بعد

فوات الأوان، ففي عام ١٩٧١ قام عيديد بتنفيذ انقلاب ضده بينما كان يشارك في مؤتمر الكومنولث واستولى على السلطة، ويقال: إن عيديد خان رئيسه لأنه استدعاه للتحقيق في اختفاء مبلغ مليونين وخمسمائة ألف جنيه إسترليني، وطالبه بإعادتها، وهدده بأنه إن عاد ولم يرجع المبلغ فسيصدر قرارا بإعفائه من منصبه وإحالته للمحاكمة.

****

كان أول ما قام به بعد استيلائه على السلطة هو تخلصه من وزراء الرئيس السابق قتلا وسجنا ونفيا وعزلا، ثم اتجه إلى الجيش وأجهزة الأمن والوزارات وطرد وسجن كل من يشك بولائهم لسلفه، ثم انطلق في دمويته فأباد قبيلتي لانجي وآشولي عن بكرة أبيهم، انتقاما منهم لما ارتكبوه بحق قبيلته.

لقد حكم عيدي أمين ثماني سنوات قتل خلالها مائة ألف من شعب أوغندا حتى عرف بجزار أفريقيا، وكان علاوة على ذلك صاحب مواقف مضحكة وظريفة خففت قليلا من دمويته المجنونة، من أشهرها أنه قام بتطليق زوجاته على الهواء مباشرة في إحدى برامج التلفزيون الأوغندي المباشرة!

وكان مصير إحداهن السجن ثم الإبعاد وأخرى تحولت إلى جثة مقطعة!

ومن طرائفه أنه أرسل برقيه إلى ملكة انجلترا يعلمها بقدومه ويطلب منها تجهيز الطعام له وتجهيز ميزانية خاصة لمأكله ومشربه!، علما أن أعداءه يتهمونه بأنه من آكلي لحوم البشر!

ويقال: إنه اعترف بتناول لحم بشري مرغما عندما كان يخدم في الجيش البريطاني قبل الاستقلال، ومرة أخرى عندما كان أسيرا لدى إحدى القبائل.

وكان على عداء شديد مع الرئيس التنزاني جوليوس نيريري، الذي كان دائما ما ينتقده علانية بقوله عنه إنه سفاح ومجرم، فعرض عليه الصلح في حلبة الملاكمة!

وفي عام ١٩٨١ فكر في لعب مباراة ملاكمة يواجه فيها بطل العالم السابق محمد علي كلاي، على شرط أن يكون النزال في طرابلس وأن يكون القذافي الحكم فيها، والخميني المقدم، وياسر عرفت المدرب!

في السنة الرابعة من حكمه اعتقل "دنيز هيلل" أحد كبار علماء السلالات والشعوب بسبب معلومات آثار غضبه عن قبيلته، وحكم عليه بالإعدام، فتصاعدت الاحتجاجات ضده فاشترط للعفو عنه أن يأتيه كتاب شخصي من الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا، يحمله رئيس الوزراء البريطاني أو وزير خارجيته، ترجوه أن يعفو عنه!

في عام ١٩٧٤ اتهم عيديد اثنين من أطباء جامعة ماكريري بالتجسس وترويج الإشاعات ضد حكومته، وأمر بطردهم إلى بريطانيا، ولكنه بعد خمسة عشر يوما استغرب غيابهم ولم يتذكر أنه أمر بطردهم!

وترجع تصرفات عيديد الغريبة إلى إصابته بأمراض نفسية متقدمة حسب ما أفادت به صحيفة إسرائيلية عام ١٩٧٦، وقد عزاها بعض الأطباء إلى وجود خلل جيني في دماغه نتيجة إصابته بداء السلفس (أحد الأمراض الجنسية).

مما ينقل عن سيرته انه كان يضم جماجم ضحاياه في ثلاجات قصره! وكان يأمر بإعدام المنفيين العائدين من الدول المجاورة رغم عودتهم بعفو منه!

في عام ١٩٧٢ أرسل رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة يمتدح فيها مجازر هتلر بحق اليهود، جاء فيها: (إذا كان هتلر أرسل ستة ملايين يهودي إلى غرف الغاز، فهذا لأنه كان يعلم أن اليهود ضد مصالح شعوب العالم).

وقد عزم على صنع تمثال له ولكنه عدل عنه بعد تحذير مستشاريه بأن ذلك قد يؤجج غضب الغرب.

في عام ١٩٧٤ أمر بإغلاق السفارتين الأمريكية والإسرائيلية، ووقف صدور أربع صحف ناطقة بالانجليزية، وطرد أكثر من ٨٠ ألف آسيوي بحجة حملهم لجوازات سفر بريطانية، وذلك على خلفية إيقاف صفقات تسلح الجيش الأوغندي، الأمر الذي اثر بشدة على البنية الاقتصادية للبلاد بسبب مغادرة هذا العدد الهائل من الخبراء والمهندسين والصناعيين، وعندما ظهر على التلفزيون قال لشعبه بأنه أخذ قراره هذا بتوجيه من الله الذي قال له في الرؤيا: إذا أردت إنقاذ أوغندا فمن الضروري طرد كل الأجانب من البلاد!

وعلى خلفية تدهور العلاقات بينه وبين الدول الغربية أخذ عيديد يتهكم عليها، إذ اقترح بأن يرسل موزا لبريطانيا إذا كان الشعب البريطاني يفتقد للغذاء، و اقترح على الرئيس الأمريكي نيكسون قضاء وقت في أوغندا ليرتاح من فضائح "ووترغيت" الشهيرة، التي اضطرته إلى تقديم استقالته قبل إقالته المحتومة، وفي عام ١٩٧٩ اقترح نزع كل الأسلحة التقليدية من كافة أنحاء العالم و إبدالها بتوزيع قنابل ذرية من أجل ضمان السلام الدولي!

وفي أوج فترات حكمه أصبح لقبه البروتوكولي "صاحب السيادة فاتح الإمبراطورية البريطانية الحاج الماريشال الدكتور عيدي أمين دادا. الرئيس مدى الحياة لجمهورية أوغندا. القائد الأعلى للقوات المسلحة الأوغندية. رئيس مجلس الشرطة والسجون".

وفي نطاق الإحصائيات المتعلقة بضحايا نظام عيديد تشير الإحصائيات أن عددهم ما بين مائه ألف إلى ثلاثمائة ألف قتيل، وتوثق له منظمة العفو الدولية رقم الثلاثمائة ألف ضحية.

في إبريل من عام ١٩٧٩ تمكنت قوات المعارضة من الوصول للعاصمة و اقتحام القصر الرئاسي وإسقاط حكم الرئيس عيديد، الذي تمكن من الفرار ولجأ إلى ليبيا، التي ما لبثت أن طردته من أراضيها، فلجأ إلى المملكة السعودية حيث عاش فيها لاجئا بقية حياته.

لقد كان عيدي أمين شخصية بارونية، والباروني شخص يشعر دائما بالظلم والاضطهاد بسبب كونه متميزا ور ائعا وعظيما، ويسعى دائما لجعل الجميع في خدمته وتسخيرهم لخدمة غاياته وأهدافه، في عام ١٩٧٣ وصفه أحد العسكريين البريطانيين الذين ترأسوه عندما كان عسكريا عاديا في الجيش الأوغندي بأنه لين العريكة ولكنه ضعيف الدماغ.

وقد وصفه الشعب الأوغندي بالكثير من الأوصاف ك (العبد الزنيم)– (الطاغية الدموي) – (الضبع الأوغندي) - المهرج الأفريقي)، وعندما سقط نظامه فضحته الصحف المحلية بالمقالات الكاشفة عن شخصيته المريضة، ونظام حكمه الدموي، وفساد حكومته ومسئوليتها عن إفلاس الشعب الأوغندي، وظهرت عشرات الرسوم الكاريكاتيرية التي نالت من شخصيته وأضحكت الجماهير الأوغندية عليها.

قبل لجوئه إلى ليبيا اتصل بجريدة اكسبريس اللندنية وطلب من إدارتها إيصال تمنياته للملكة اليزابيت ورئيسة وزرائها مرغريت تاتشر، مما مكن المخابرات البريطانية من اكتشاف مكانه، وكاد يقبض عليه لولا تمكنه من اللجوء إلى ليبيا، إلا أن عيديد لم يحترم كرم الضيافة، فضاق القذافي منه ومن عربدته وسكره فطرده من ليبيا فلجأ إلى المملكة السعودية.

حيث استضافه الملك فهد أولا في فندق بالقرب من السفارة البريطانية، فلم يعد له عمل سوى معاكسة النساء الداخلين والخارجين منها!، فنقله إلى إحدى الضواحي البعيدة حتى لا يتمكن من ممارسة هوايته المفضلة!

وظل في جدة بقية عمره، ويقال: إنه ترك عربدته ومجونه وملاحقته للنساء وابتعد كثيرا عن معاقرة الخمور وأصبح يقيم الصلوات في أوقاتها، وأصبح يتسلى بالاتصال بأصدقائه القدامى، حتى انتهت حياته بهدوء محاطا بنصف أولاده الذين بلغوا خمسين ولدا وذلك عام ٢٠٠٣.

سيبقى محمد عيديد في التاريخ رئيسا لنظام من أعنف الأنظمة وأكثرها دموية في القارة السوداء، وأنه كان رئيسا خطرا لا يمكن الوثوق به، وقد حاول المؤرخون والكتاب تحليل شخصيته، إلا أنهم لم يتمكنوا من سبر أغوارها، فقال عنه بعضهم: إنه ديكتاتور عصيا عن التحليل لشدة خصوصيته ونزعته النرجسية الغير عادية، وقد وصل به جنون العظمة أنه قال يوما: (أنا الرئيس الوحيد الذي اتصل مع الله مباشرة).

وأعلن عن نفسه ذات مرة بأنه أعظم رئيس دولة في العالم.

وكان يفتخر بمظهره قائلا: وجهي هو أجمل وجه في العالم، أمي وكل نسائي يقلن ذلك.

وبعد الإطاحة به قال: لم أخسر بلادي بل قمت بإعارتها، وبما أني صاحب الحق فإني سأستردها يوما.

وفي مقابلة صحفية معه قال عيديد: منذ رحيلي لم تعد حقوق الإنسان محترمة في أوغندا.

موبوتو سيسي سيكو (١٩٢٠ـ ١٩٩٧).

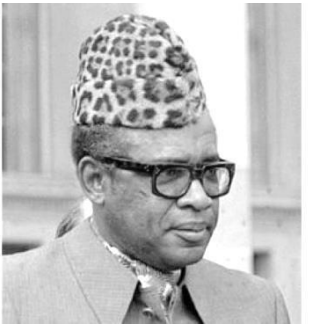

سير هؤلاء الطغاة واحدة تقريبا، بؤس وحرمان وفقر واضطهاد يولد في نفوسهم حقدا بشعا لا ينظفا ضد الإنسانية، لا يهدأ من روعه إلا سفك الدماء، وعندما يهدا قليلا سرعان ما يشتعل مجددا وهكذا دواليك في أعاصير من الطغيان القادم من أعماق الجحيم.

ولد موبوتو سيسي سيكو في كينشاسا لعائلة فقيرة تنتمي إلى قبيلة محرومة وبائسة، إلا أنه تمكن من تلقي تعليمه في العاصمة بالتحاقه بمدارس البعثات التبشيرية، التي رشحته لإكمال دراسته في بلجيكا، وعندما عاد انضم لجيش الاستعمار البلجيكي، ثم اعفي من الخدمة، فعمل صحفيا، ثم ما لبث أن انضم إلى حركة تحرير الكنغو عام ١٩٥٨، وتدرج في مناصبها سريعا، وبعد الاستقلال تولى قيادة الجيش عام ١٩٦٠، وعلى أثر فشل الأحزاب المدنية في إنشاء سلطة سياسية مستقرة استولى على الحكم، ثم أعاد السلطة مرة أخرى للمدنيين، ولكنهم أخفقوا أيضا في حل مشاكل البلاد، فقام بانقلاب وعين نفسه رئيسا للجمهورية، وأمر بتسميتها زائير بدلا من الكونغو.

عندما أصبح موبوتو رئيسا للبلاد خرجت المظاهرات الصاخبة في الكثير المدن رافضة له، فما كان منه إلا أن أمر جنوده بتنفيذ مذبحة وحشية جنوب مدينة كاسي رميا بالرصاص، ذهب ضحيتها مئات الأبرياء، وكان الجنود يدخلون القرى الواقعة جنوب المدينة ويطلقون النار على المدنيين دون تمييز حتى أخمدت التظاهرات وتمكن من السيطرة على البلاد.

في عام ١٩٦٨ اعترض عليه وزير خارجيته "بيير موللي" وطالبه بتخفيف قبضته الفولاذية عن الشعب، فأمر بالقبض عليه وإخضاعه لمحاكمة لم تستغرق أكثر من خمس دقائق قضت بإعدامه رميا بالرصاص، وكان قد أعدم ثلاثة آخرين من أعضاء حكومته بنفس السيناريو.

في عام ١٩٦٩ قام بسحق احتجاج طلبة متمردين، من قتل منهم ألقيت جثثهم في مقابر جماعية، أما من اعتقلوا فقد حكم على اثني عشر طالبا منهم بالإعدام، وسجن الباقين لفترات طويلة، وأمر موبوتو بإغلاق جامعتهم، وإلحاق ألفي طالب بالخدمة العسكرية.

في عام ١٩٨٧ أوعز موبوتو إلى حرسه الشخصي القيام بمجزرة في إقليم بادونو، فقامت مجموعة من الحرس بقتل أكثر من ٢٥٠٠ من المواطنين.

وفي عام ١٩٩٢ أقدم حرسه الشخصي أيضا على قتل ألف مواطن في العاصمة كينشاسا، بعد تصاعد الاحتجاجات ضد سياساته النقدية والمالية.

في منتصف التسعينات قطعت كل من بلجيكا وفرنسا علاقاتها بحكومة موبوتو على اثر اغتيال السفير الفرنسي بواسطة أجهزة مخابراته، وإصداره أوامر بمداهمة دير الراهبات البلجيكيات واغتصابهن.

وكان موبوتو من أتباع الطقوس والأساطير التي كانت سائدة في وسط أفريقيا منذ مائتي عام، والتي كانت تؤكد على أن أعضاء الأطفال التناسلية تزيد من القدرة الجنسية، فكان يتغذى على أعضاء الأطفال التناسلية!، حيث خصص كتيبة من حرسه الخاص لاختطاف الأطفال الصغار من القرى النائية وذبحهم وقطع أعضائهم التناسلية وطهيها وتقديمها له ليأكلها!

وقال وزير الخارجية الليبي السابق الدكتور علي عبد السلام التريكي: إن الرئيس موبوتو انزعج يوما من النادل على يخته فأمر بإلقائه للتماسيح!

يقول عنه رئيس وزراءه السابق "إيتيني تشيسكيدي": (هذا الوحش ظل طيلة ثلاثة وعشرين عاما يعمل وكيلا مخلصا وخادما وفيا للمصالح الأجنبية في بلاده، وخاصة مصالح الولايات المتحدة وبلجيكا وفرنسا في بلاده بشكل خاص، والقارة السوداء بشكل عام، فلم يرفض لهم طلبا أبدا بل استباح لحم شعبه ودمه وتراب وطنه وعرضها جميعا في بورصة الشركات متعددة الجنسيات لمن يدفع أكثر).

ويقول الباحث والكاتب المصري إبراهيم مرعي في مقال له على أحد مو اقع الانترنت: (إن سيرة الحرامي دراكولا زائير سيرة سوداء، وطريقه مليء بجثث الأبرياء... إن موبوتو حول خزينة زائير إلى مال شخصي له، كما حول ثرواتها إلى ممتلكات خاصة به، إذ تقدر ثروته في المصارف السويسرية بحوالي عشرة مليارات دولار وهو مبلغ يعادل ديون بلاده الخارجية، بينما يعيش شعبه (٤٠ مليون نسمة) في فقر مدقع، إذ لا يزيد الدخل السنوي للفرد على ٣٠٠ دولار أمريكي فقط!).

ويضيف: (إن لموبوتو حصة في جميع الشركات التي تعمل في مناجم الماس والذهب والمعادن الثمينة والإستراتيجية، إضافة إلى المزارع

والمؤسسات التجارية والمصارف، ويولى أقاربه ورجالاته الإشراف على هذه المؤسسات، وتحويل حصته من مواردها إلى المصارف السويسرية).

في عام ١٩٩٧ ظهر تحالف القوات الديمقراطية من أجل تحرير الكونغو، تحت قيادة لوران كابيلا، وتمكن بعد حرب أهلية قصيرة من دخول العاصمة كينشاسا، فيما هرب موبوتو إلى إحدى دول أفريقيا ثم إلى المغرب، وتوفي فيها إثر إصابته بمرض السرطان، وفي عام ٢٠٠٧ أعيد رفاته ليدفن في ضريح خصص له في الكونغو.

إن اسم موبوتو طويل إلى درجة الصعوبة والقرف (موبوتوسيسي سيكو كوكو نجينيدو وان بانجا) وله عدة معان، منها المحارب الذي لا يعرف الهزيمة -والمحارب الأعظم- المحارب الفادي والمخلص لبلاده، إلا أنه طيلة الـ ٣٢ سنة التي قضاها في السلطة لم يكن سوى طاغية دموي متجبر، كتب سيرته بسفك دماء شعبه، ومات بعد أن دمر بلاده وحولها إلى دولة من أفقر دول أفريقيا، على الرغم من امتلاكها للثروات الهائلة والأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، وهذا هو ديدن الطغاة، لا يرحلون إلا بعد أن يتركوا الأرض التي حكموها بالجبروت والقهر صحراء جرداء لا تعيش فيها حتى الهوام، إلا أن الشعوب الخيرة لا بد لها أن تلعق جراحها وتسمو على آلامها لتبدأ حياة جديدة عمادها الأمل والحرية.

نيكولاى تشاوسيسكو (١٩١٧ ـ ١٩٨٩).

من أشهر طغاة العصر، حكم رومانيا بالحديد والنار، وحولها إلى إقطاعية له ولأسرته وأتباعه، وتفاصيل حياته الأولى لا تختلف عن معظم نظرائه من الطغاة، فقد ولد في قرية بائسة، لعائلة فقيرة بل معدمة، كان عددها عشرة أشخاص وكانوا يعيشون في غرفة واحدة ينخر الفقر والحرمان في حياتهم، وقد توفي والده بعد ولادته بفترة قصيرة، ولم يستطع إكمال تعليمه، فاضطر تشاوسيسكو للعمل اسكافيا، وبعد عدة سنوات بدأ يهتم بالسياسية وآيديلوجياتها، فقرأ بشغف مؤلفات ماركس ولينين وستالين وتروتسكي وغيرهم من أقطاب الشيوعية ومفكريها، وسرعان ما التحق بالحزب الشيوعي وتدرج في مناصبه حتى أصبح أمينه العام، وقد قام الحزب بالكثير من المؤامرات لقلب نظام الحكم الملكي، وتوجها بتنفيذ انقلاب عام ١٩٦٥، أوصل الشيوعيين بقيادة تشاوسيسكو إلى الحكم بعد نجاحه في إسقاط الملك ميشيل آخر ملوك رومانيا.

في بداية أمره صفق له الشعب الروماني طويلا واستبشر به، خاصة وان أوائل عهده شهد ازدهارا اقتصاديا لافتا، وعلى الصعيد الخارجي كانت علاقاته بدول أوربا جيدة، مكنته من الحصول على دعم اقتصادي وسياسي

لنظامه، إلا أنه عوضا من أن يستثمر هذه المكتسبات لصالح بلاده وشعبه مال إلى نزعاته الشريرة، فطغى وتجبروتحول إلى ديكتاتور بشع وطاغية ارعن.

لقد قام تشاوسيسكو في وقت مبكر من حكمه وبعد أن اطمأن لأمره بانتهاج سياسة القمع والطغيان، فكان حله الأوحد مع أي معارض له هو القتل.

في وسط السبعينات قرر هدم وسط العاصمة بما يضمه من مباني أثرية لبناء قصر جديد لرئاسة الجمهورية، فتظاهر ضد قراره عدد من المواطنين، فما كان منه إلا أن أمر جنوده بقمعها فورا حتى لا تتسع، فسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى، وبني القصر على أشلاء الضحايا الأبرياء الذين رفضوا تدمير تراث بلادهم، إلا أنه لم يكن مجرد قصر ومقر لتشاوشيسكو ولحكومته وحزبه، و إنما كان أيضا مركز متطورا للتنصت على المكالمات بمقدار مليون مكالمة في آن واحد، وكان لا بد من وضعه في وسط المدينة ليكون قادرا على تنفيذ مهمته.

وقد زين باب القصر الرئيسي بـ ٥٠٠ كيلو غرام من الذهب الخالص، بينما كان الرومانيون يجوبون شوارع بوخارست بحثا عن ما يسد رمقهم.

وقد استمر تشاوشيسكو في ممارسة طغيانه المجنون، ففي إطار خطة الحكومة لزيادة رقعة الأراضي الزراعية، أمر بهدم أكثر من سبعة آلاف قرية، وإلقاء المعارضين له من أبنائها في غياهب السجون، ومن كان بارزا في المعارضة منهم فمصيره الإعدام، وقد اعدم نتيجة لهذه العمليات الدامية أكثر من ١٢ ألف مواطن روماني.

إلا إن خطة تشاوشيسكو لم تنجح، وظلت رومانيا البلد الوحيد الذي يموت فيه الناس من الجوع والبرد ونقص الدواء أكثر ما يموتون من الشيخوخة.

وكان "سيكوريتاني" الجهاز الأمني الأكثر ولاء لتشاوشيسكو ويعتبر حامي حمى نظامه، ويتمتع بصلاحيات ونفوذ أكثر من أي جهاز عسكري أو أمني آخر، وكان عدد العاملين فيه يناهز المائة ألف عنصر أمني، وكان من أهم مهامه مراقبة جميع المواطنين ورجال الدولة والحزب وكان تشاوشيسكو يرأسه بشكل مباشر.

في عام ١٩٧٤ أصدر تشاوشيسكو مرسوم بفرض عقوبة خمسة آلاف ليفا لكل مواطن يستقبل أجنبيا في بيته، وفي عام ١٩٧٧ أصدر مرسوما يفرض بموجبه على كل مواطن كتابة تقرير ما إلى "السيكوريتاني" عن كل حديث يجريه مع أي سائح أجنبي.

وفي عام ١٩٨١ أصدر مرسوما بتنظيم العمل في المؤسسات الرسمية، بموجبه يتعرض للسجن من ستة أشهر إلى عشر سنوات، كل موظف أو عامل يذهب لدورة المياه دون إذن! أو يدخن في أوقات الدوام الرسمية! أو يتعرض للرئيس بالنقد أو السخرية أو الإهانة.

لقد كانت التصفية الجسدية أسلوب تشاوشيسكو، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، أما سجن المعارضين ومعاقبتهم فكان استثناء، فالمسئولين عن الاضطرابات والاحتجاجات التي حدثت في بوخارست ومدن رومانية أخرى في أعوام ١٩٧٧ - ١٩٧٩ -١٩٨١ كان مصير معظمهم الموت، أما بحادث سيارة، أو الانتحار المزيف، أو دخولهم إلى مشافي الأمراض العقلية المنتشرة بكثرة في عهد تشاوشيسكو.

يقول رئيس جهاز المخابرات الرومانية الخارجية السابق الجنرال "أيون باشيبا"، الذي ترك منصبه وفر من رومانيا عام ١٩٧٨: إن نظام تشاوشيسكو كان يلجا في أغلب الأحيان إلى تصفية معارضيه بمواد كيميائية وجرثومية وإشعاعية، تؤدي إلى إصابتهم أمراض خطيرة.

وأكد أنه في منتصف الثمانينات حقن بعض المعارضين بحقن ملوثة بالإيدز، إضافة إلى أساليب القتل والتعذيب التقليدية كحرق الأوصال و اقتلاع الألسن والعيون.

وكان هذا الجنرال أول من تجرأ على فضع نظام تشاوشيسكو بأدق التفاصيل، لكونه رئيسا للمخابرات الخارجية الرومانية وشخصية مقربة من أسرة الرئيس والحزب الحاكم، وقد أصيب تشاوشيسكو بانهيار عصبي بسبب انشقاقه، وبعد شفائه سارع إلى إقالة ثلث الحكومة و٢٢ سفيرا وكافة رؤساء أجهزة الاستخبارات الرومانية.

لقد كان تشاوشيسكو مصاب بجنون العظمة، فكان يحلو له أن يلقب بدانوب الفكر، وهو أحب الألقاب إلى ذاته النرجسية، إلى جانب ألقاب أخرى عديدة مثل: نابغة جبال الكاربات - والأب - والشعلة - والمرشد - ونجمة الصبح.

وكلف مجموعة من الصحفيين بكتابة سيرته الذاتية، فجاءت في خمسة عشر مجلدا ضخما، أصبحت منهجا مقررا في المدارس الرومانية، حيث يدرس كل صف مجلد كل عام!

وفي متحف تاريخ روما خصص تشاوشيسكو جناحا كاملا لصوره، وصور الهدايا التي تلقاها من ملوك ورؤساء العالم، علاوة على مؤلفاته!، أي مؤلفات صغار وكبار الكتاب التي أعجبته فألصقها باسمه بالترغيب أو بالترهيب!

وعلى الرغم من أن تشاوشيسكو دراكولا على معارضيه، وديكتاتور على شعبه، إلا أنه كان عطوفا على أسرته و أقربائه، حيث كافئهم بتوزيع أغلبية مناصب الدولة عليهم، حتى تحول الحزب الشيوعي إلى ديكور يجمل به نظامه ليس إلا.

وكانت زوجته ايلينا الشخصية الثانية بعده مباشرة، على الرغم من عدم احتلالها لأي منصب رسمي، وكانت لا تقل عنه نرجسية، فقد لقبت نفسها بجوهرة البحر الأسود والأم النموذجية، وأكثر النساء عدلا، وجميلة أيار، وغيرها من الألقاب المبتذلة والماجنة.

إلا أن اللقب المحبب إلى قلبها كان "أكبر عالمة في أوربا"، ومن أجله أنشئت مؤسسة أبحاث كيميائية، وظفت فيه العديد من العلماء والباحثين، الذين اتفقت معهم على نسب نتاج عملهم إلى اسمها.

يقول الجنرال المنشق " اشيبا": إن هم ايلينا كان منصبا عل جمع أكبر عدد من الشهادات الفخرية من أهم جامعات العالم، والانضمام إلى أكبر عدد من أكاديميات البحث العلمي العالمية، وكانت تقوم من أجل تحقيق ذلك بسرقة اختراعات لأشخاص مغمورين وتنسبها لنفسها.

ويصفها "اشيبا" بأنها كانت امرأة سمجة ووقحة، تهوى مراقبة كبار موظفي الدولة ومتابعة تحركاتهم، ويذكر أنها فصلت أحد الموظفين من العمل وأمرت بسجنه لأنه قال كلمة غرامية لزوجته على الهاتف أثناء وقت الدوام الرسمي.

وكانت تعامل أعضاء الحزب بكل استخفاف واحتقار، وتصفهم بأنهم تافهون ليس لهم قيمة لولا زوجها: (لقد أخرجناهم من الوحل وسيعودون إليه حين تنتهي الحاجة إليهم).

وتورد الصحافة نص كلام ايلينا بعد تولي الرئيسة الأرجنتينية "إيزابيلا مارتينيز" الحكم في بلادها عام ١٩٧٣ خلفا لزوجها الرئيس الراحل "خوان بيرون" باعتبارها نائبة رسمية عنه، إذ قالت: (إذا كانت غانية من كاراكاس قد وصلت إلى الحكم، فحري بسيدة علم مثلي الوصول إلى مثل هذا المنصب).

وقد تمكنت بفعل مشاركتها سرقة أموال الشعب الروماني وديكتاتورية وفساد نظام زوجها تشاوشيسكو وتسخيرها لأجهزة الدولة من تحقيق معظم أهدافها، فأصبحت خلال فترة قصيرة رئيسة دائرة الكيمياء في المجلس الأعلى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ونائبة لرئيس المجلس القومي للعلوم والتكنولوجيا، وعضوة أصيلة في الأكاديمية الرومانية التي تعتبر أعلى هيئة علمية في رومانيا.

ثم إنها لم تكتف بذلك بل أرادت الحصول على مناصب سياسية فتم لها ذلك بأسرع من البرق! إذ عينت عضوة في مجلس النواب الروماني، وعضوة في اللجنة المركزية للحزب، ثم المكتب السياسي، ثم عضوة في المكتب الدائم للحزب، وأخيرا عينت نائبة لرئيس الجمهورية!

أما الحقيقة التي كان لا يمكن لاحد الجهر بها في رومانيا أيام نظام الديكتاتور تشاوشيسكو أن ايلينا كانت مكروهة جدا من قبل الشعب الروماني على غرار زوجها وبقية أفراد عائلتها الفاسدين، وكان أبناء الشعب يطلقون عليها الكثير من الألقاب التي تنم عن كرههم لها مثل: قناع الموت- عرابة النظام.

أما ابنها المدلل "نيكو" فقد كانت تمهده ليكون خليفة لوالده، فرومانيا ليست سوى قطاعية مسجلة باسم زوجها وعائلتها، ونيكو هذا كان شابا ماجنا وتافها لا يعرف شيئا اسمه الرجولة والمروءة! وكان موكبه يثير الرعب في شوارع بوخارست، وكان لا يمر إلا وسيارته محشوة بغانيات المدينة وحسناواتها، ولضمان خلافته لوالده عين سكرتيرا للبرلمان ووزيرا للشباب وحاكما لإحدى المقاطعات.

ومما يروى عنه أنه حضر حفل أحد أعضاء الحزب بمناسبة تعيينه في منصب رفيع، وشرب حتى فقد عقله، فأخذ زجاجة من الخمر وصب الشراب في أذن أحد كبار مسئولي الدولة، ولم يحرك ساكنا خوفا من أن يقتله بمسدسه المحشو بالرصاص، خاصة وأن نيكو معروفا بقتله لعدد من الأشخاص لأسباب مختلفة، وقد تحققت مخاوفه فعلا، فقد صعد نيكو فوق إحدى المناضد وصرخ بأعلى صوت طالبا إحضار وجبة الطعام له وكانت عبارة عن محار، ولما أحضرها الخادم له سأله: هل وضعت الحامض على المحار؟ وعندما أجابه بالنفي تناول مسدسه وقتله بكل برودة أعصاب ثم قال: إن الأبله لا يعرف أن المحار لا يؤكل دون حامض! ثم أرخى سراويله وبال عليه وبدأ يضحك ضحكا هستيريا وهو يقول: لقد وضعت الحامض لقد وضعت الحامض.

وعند انتهاء الحفلة الدامية أمسك نيكو بيد إحدى العاملات وجرها إلى المنضدة أمام المدعوين قائلا: أريد أن أغتصبك الآن على هذه المنضدة وعلى مرأى من الجميع.

ثم وضعها على المنضدة وبدأ بتمزيق ثيابها حتى الداخلية واغتصبها، ثم أخرج مسدسه وأطلق رصاصة على رأسها أنهت حياتها على الفور.

على مسافة ٣٥٠ كيلو متر من العاصمة بوخارست وتحديدا في مدينة "تيميشوارا" اندلعت تظاهرات عقب صدور أمر بترحيل خمسة عشر قسا، وقد استخدمت الشرطة القمع الرهيب ضد المتظاهرين فقتل منهم ١٥٠ شخصا، فيما جرح المئات واعتقل مئات آخرين، إلا أن التظاهرات استمرت لأكثر من أسبوع على الرغم من العنف الوحشي للشرطة، ثم امتدت التظاهرات إلى العاصمة وسرعان ما انتشرت في بقية أنحاء البلاد، لتندلع بذلك ثورة شعبية ضد نظام تشاوشيسكو الديكتاتوري.

لم تتمكن حكومة تشاوشيسكو إخماد التظاهرات، فأطل على أبناء شعبه من شرفة قصره وراح فيهم خطيبا، إلا أنهم لم يكونوا كما عرفهم منذ ثلاثة وعشرين عاما، لم يكونوا هم ذاتهم الجماهير التي كان يحركها بيده كيفما يشاء، فقد عمدوا إلى مقاطعته وشتمه وطالبوه بصوت واحد بالرحيل عن رومانيا (ستسقط يا ديكتاتور - العقاب للقاتل) قطع البث التلفزيوني على الفور لكي لا يفتضح أمر الرئيس المنبوذ، إلا أن بوخارست خرجت عن بكرة أبيها تطالب برحيله وأسقاط نظامه الذي حول الرومان إلى عبيد وبلادهم إلى ملكية خاصة له.

لم يصدق نيكولاي تشاوشيسكو ما رآه وسمعه، إلا أن ذلك كان الحقيقة المطلقة التي لم يتمكن من استيعابها إلا بعد فوات الأوان.

بعد رفض الجماهير لخطابه وقعت حرب شوارع دامية في بوخارست، قتل خلالها أكثر من عشرة آلاف شخص معظمهم من المدنيين، كانت مروحيات الجيش تحلق فوق المواطنين وتطلق الرصاص عليهم دون رحمة، وكانت قوات "سيكوريتاني" تدكهم بالرصاص القاتل، إلا أن كافة الجهود الوحشية التي بدلها نظام تشاوشيسكو لإخماد الثورة لم تنجح على نحو الإطلاق، حينئذ أمر الطاغية بقتل المتظاهرين بالأسلحة المحرمة دوليا، فكانت الحصيلة آلاف القتلى من دون جدوا، ثم ما لبث أن تمردت وحدات من الجيش ورفضت تنفيذ الأوامر القاضية بقتل المتظاهرين، و انتشر التمرد في صفوف العسكريين كالنار في الهشيم، فتفكك الجيش سريعا، و انضم معظمه إلى الثوار.

فرت العديد من قيادات الحزب الشيوعي وقتل بعضهم، وتزايدت انشقاقات مسئولي الحكومة، فشعر تشاوشيسكو بأن نهايته قد اقتربت، فغادر رومانيا بصحبة زوجته ايلينا و ابنه نيكو إلى الاتحاد السوفييتي طالبا اللجوء، إلا أن الرئيس السوفييتي ميخائيل غورباتشوف أمر بطرده، ورفضت كل الدول استقباله، فعاد إلى بوخارست، وأصبح طريدا بعد أن انهار نظامه، ولم يبق معه إلا عدد يعد على أصابع اليد من الجنود والأتباع، فاضطر للهروب مع زوجته باتجاه مخبأ سري بالقرب من بوخارست، وفي الطريق القي القبض عليهما من قبل بعض الفلاحين وسلموهما للثوار، وعرضا على الفور على محكمة عسكرية، وأثناء المحاكمة السريعة كان الطاغية المخلوع لا يزال يعاني من جنون العظمة، فكان يشتم القضاة، مما دفعهم إلى إصدار حكم الإعدام عليها، ولما تيقن من هول المصير بدأ يبكي ويستغيث، بينما قامت ايلينا بضرب الجندي الذي أمر بتكبيل يديها استعدادا لإعدامهما، وقد تم تنفيذ حكم الإعدام بهما على الهواء مباشرة، ويعتقد أنهما نالا قسطا و افرا من التعذيب قبل إطلاق الرصاص عليهما، أما ابنهما نيكو فوجدت جثته ملقاة في أحد شوارع بوخارست.

بول بوت (١٩٢٨ـ ١٩٩٨).

قائد الحركة الشيوعية في كمبوديا المشهورة بحركة "الخمير الحمر"، تولى السلطة الفعلية بعد انهيار النظام الملكي عام ١٩٧٥، وارتكب جرائم مروعة بحق الشعب الكمبودي، حتى دخلت القوات الفيتنامية البلاد وأسقطت نظامه عام ١٩٧٩.

كان والده مزارعا بسيطا يعمل لدى أحد الإقطاعيين، الذي كان يضربه أمام عينيه لأتفه الأسباب، أما والدته فكانت تعاني أيضا من ظلم مخدومتها الثرية، وكان لهذه الطفولة القاسية وانتمائه لهذه العائلة المستضعفة الأثر الأكبر في تكوينه الذاتي والسيكولوجي، حيث نشأ حاقدا على كل من حوله، لا سيما الإقطاعيين وأصحاب الأملاك، وفي مطلع شبابه أصيب بإعاقة في قدمه، مما زاده حقدا على الآخرين، ظهر عليه عندما غنم السلطة وتحول بها إلى روح بشرية متوحشة.

انضم بول بوت إلى حركة الخمير الخمر الشيوعية التي أعجب بأدبياتها وأفكارها عن حكم البيروتاريا وإلغاء الفوارق الطبقية ونضالها العسكري ضد النظام الملكي الحاكم وأتباعه من البرجوازيين والإقطاعيين.

وأظهر براعة كبيرة في الإدارة والتخطيط والتنفيذ، مكنته من التدرج في مناصب الحركة حتى أصبح قائدها الأول في غضون سنوات قليلة.

في عام ١٩٦٠ تولى الأمير سيهانوك السلطة في كمبوديا، وبعد عشر سنوات تمت الإطاحة به من قبل رئيس الوزراء الجنرال لون نول، ولكن الأمير ذهب إلى الصين وفيها تحالف مع الشيوعيين المعروفين بالخمير الحمر، الذين كانوا إحدى قوى المعارضة التي تسيطر على بعض الأراضي البعيدة عن العاصمة "بنوم بنه"، إلا أن الحرب الأهلية في كمبوديا سرعان ما اندلعت بين عام ١٩٦٩ -١٩٧٣، بتدخل كل من فيتنام والولايات المتحدة، اللذان كانا يدعمان حكومة الجنرال لون نول، ضد الخمير الحمر المدعومين من الاتحاد السوفييتي والصين.

وعلى الرغم من القصف الجوي المكثف للطائرات الأمريكية وقتلها في أيام قلائل أكثر من خمسة وعشرين ألف من جنود الحركة، إلا أنها تمكنت في النهاية من دخول العاصمة "بنوم بنه" واسقاط النظام الموالي للأمريكيين وذلك عام ١٩٧٥.

أصبح بول بوت الحاكم الفعلي لكمبوديا، وأمر بتغيير اسم البلاد من كمبوديا إلى "كمبوتشيا الديمقراطية"، ولم تمض أسابيع معدودة حتى أمر تنفيذ مخطط آيدولوجي ماركسي غريب الأطوار، فقد أمر بتفريغ المدن من سكانها وإجبارهم على الانتقال إلى الأريفاف، لأنها المناطق الوحيدة التي سيتحقق فيها فردوس الشيوعية المنشود، وفرض على معظم أفراد الشعب العمل كفلاحيين من شروق الشمس حتى غروبها، ومن لا يعمل لا يأكل، وأن عليه مفارقة الحياة.

كما أمر بتدمير المعابد والمكتبات، وأي مظهر أو منتج غربي، وأصدر قرارا بمنع استيراد الأدوية التي تصنع في الغرب الامبريالي، الأمر الذي أدى إلى موت الآلاف الناس نتيجة للأمراض و انعدام العلاج، والمجاعة، ونتيجة للمسيرات الإجبارية والعمل القسري في ظل الظروف القاسية فقد مات ما بين مليون إلى ثلاثة مليون شخص، حتى سميت حقول الفلاحة بحقول الموت، في حين تمكن الآلاف من الفرار من جحيم الشيوعيين إلى تايلاند وغيرها من البلدان المجاورة.

و أقدم بول بوت على اغتيال عشرات المثقفين والكتاب والأثرياء والأعيان والمحاميين تحت شعار الانتقام الطبقي، يقول أحد المثقفين الكمبوديين: (إن النظارات قاتلة مثل النجمة الصفراء، لأنها اعتبرت علامة على الثقافة الغربية المعادية للنظام).

في عام ١٩٧٧ ألقى بول خطابه الأول، قال فيه أنه خلص كمبوديا من ألفي عام من اليأس، وفي هذا الخطاب أعلن بول أنه الرجل الأول في الدولة و أنه الحاكم الفعلي للبلاد، وقد مارس بول سلطته الإجرامية من خلال "المنظمة" التي كانت الجهاز الأمني الأول في دولة بول بوت، وعبرها كانت تنفذ أوامره وأوامر رفقائه في حركة الخمير الحمر، وكان سجن "تول سليج" الرهيب أكبر سجونها، وكان يديره الجزار "كاينج جيك"، الذي قضى علي يديه أكثر من خمسة عشر ألف كمبودي.

وتؤكد محاضر محاكمات الشيوعيين الكمبوديين بعد سقوط نظام بول بوت أن الشيوعيين قتلوا خلال فترة حكمهم بين مائة ألف إلى خمسمائة ألف من أصل سبعمائة ألف مواطن كمبودي مسلم، وأن الشيوعيين مارسوا قمعا هائلا ضد المسلمين الكمبوديين، حيث كانوا يستهدفون

ويقتلون بشكل منهجي، وأن مجرد رصد مسلم كمبودي يؤدي الصلاة كانت تهمة كافية لقتله حالا.

وقدر عدد السكان –قبل حكم الشيوعيين- من أصول صينية بـ ٤٢٥,٠٠٠، ونتيجة للمذابح التي ارتكبوها تراجع عددهم في إحصائيات عام ١٩٨٤ إلى٦١،٤٠٠.

من القصص المؤلمة التي كشفت عنها الغطاء بعد اندحار الشيوعيين ما روته امرأة تبلغ من العمر ٢٤ في برنامج "هذا ليس حلما" الذي بث على التلفزيون الكمبودي، حيث صرحت بأنها كان تظن أنها وحيدة في هذا العالم، وأنها لا تتذكر أي شيء عن طفولتها وهل إن والديها أحياء أو لا؟ إلا أن القدر أنعم عليها بلقاء والدها بعد أكثر من عشرين عاما، بينما قال والدها وهو يمسح دموعه: لم أكن أعلم بمكان وجودها، لم أكن أعلم حتى إذا ما كانت على قيد الحياة أم لا.

هذه القصة ليست سوى جزء من مسلسل مؤلم تسبب به الشيوعيون، فبسبب التهجير القصري للأرياف والقرى وموت الملايين من الناس، تفككت أوصال الآف العائلات الكمبودية وانهار النظام الاجتماعي في البلاد، وقد أمضى الكثير من الناجين عقود طويلة وهم يبحثون عن أبنائهم وزوجاتهم وأرحامهم و أقاربهم، لا سيما وأن الشيوعيين قاموا بإتلاف السجلات المدنية لأنهم كانوا يعتبرون الأسرة مخلفات برجوازية!

لقد كان بول بوت يتلذذ بتعذيب الآخرين، فكان يقتل كل من يرتدي ينطلون أو نظارة أو يحمل صحيفة! وكان يتلذذ بموت ضحاياه حتى الرمق الأخير، و أفضل طرق الموت عنده هو الخنق بأكياس البلاستيك!

ومن أشهر ما كان يفعله هو قتله أي صحفي يسأله عن ماضيه أو طفولته!

في عهده قتل ثلث شعبه، وكان يمكن بناء أهرامات من جماجم ضحاياه، وتقول بعض الوثاق أن عدد ضحايا نظامه يقارب أربعة مليون إنسان.

في عام ١٩٧٨ اجتاحت القوات الفيتنامية كمبوديا لإيقاف المجازر التي يرتكبها بول بوت ضد شعبه، خاصة الأقلية العرقية الفيتنامية، واستمر القتال حتى سقوط نظامه عام ١٩٧٩.

وقد فرت العصابة الحاكمة وفلولها إلى الحدود التايلندية، واختبئوا في منطقة الغابات، وتم القبض على بعضهم بعد سنوات وقدموا للمحاكمة، أما بول بوت فقد استمر في العيش في منطقة الغابات التي سيطر عليها الخمير الخمر حتى عام ١٩٩٨، حيث كان من المزمع تقديمه للمحاكمة إلا أنه مات فجأة، ويقال: إنه مات مسموما حتى لا يكشف أسرار حكومة الخمير الحمر ومجازرها المرعبة، إلا أن المتاحف الكبيرة التي ضمت جماجم الكمبوديين الذين قتلهم بول بات ستظل شاهدت عليها إلى الأبد.

بوكاسا... آكل لحم البشر (١٩٢١ـ ١٩٩٦).

جان بيدل بوكاسا، ويعرف أيضا باسم بوكاسا الأول، حكم جمهورية أفريقيا الوسطى من عام ١٩٦٦ حتى الإطاحة به عام ١٩٧٦، وعرف بدمويته وعدوانيته وآكله للحوم البشر لا سيما الأطفال!

طفولته تشابه الطغاة الذين سبقوه أو الذين عاصروه، فقد عاش طفولة بائسة جدا، يسودها الذل وتعتريها المهانة، وهو ما أثر في سيكولوجيته، وحوله إلى إنسان انتقامي عدواني، في شبابه انضم للقوات المسلحة وترقى حتى أصبح قائدا للجيش.

في عام ١٩٦٠ حصلت افريقيا الوسطى على استقلالها، وأصبح ديفيد داكو رئيسا مؤقتا لبلاد، وفي عام ١٩٦٤ انتخب رئيسا لمدة سبعة سنوات، وقام فور توليه المنصب بحظر كافة الأحزاب وممارسة القمع ضد المعارضة معلنا عن نيته أن يصبح ديكتاتورا للبلاد، إلا أن بوكاسا استغل فشله في

إدارة البلاد وقام بانقلاب أطاح به ليصبح رئيسا للجمهورية، وما لبث في عام ١٩٧٢ أن عين نفسه رئيسا مدى الحياة، تم توج نفسه إمبراطورا.

بدأ بوكاسا حكمه بتنفيذ تصفيات دموية لجميع معارضيه، وأخصى الحياة السياسية، حتى استتب له الحكم، ووثق علاقاته بفرنسا لضمان استقرار حكمه، فكان ينادي الرئيس الفرنسي شارل ديجول ببابا ديجول!، وخصص أراضي شاسعة للسياح الفرنسيين ليمارسوا فيها رحلات الصيد، وأغدق على الرئيس الفرنسي والمسئولين الفرنسيين بقطع ألماس ثمينة يبلغ ثمنها الملايين، بينما كان شعبه يتضور جوعا ويعاني من الفقر والعوز الفاقة.

لقد كان بوسكا مصاب على غرار معظم الطغاة بجنون العظمة، فكان يطلب من بعض الرؤساء الذين يرغبون بمقابلته أن يكونوا محملين بالهدايا الفاخرة!

عرف عنه سلبه لأموال أغنياء شعبه عنوة، مما دفع العديد منهم للمغادر، مما ساهم في تهاوي الاقتصاد وزيادة معاناة المواطنين.

اعتنق الإسلام فترة بعد أن اشترط عليه العقيد القذافي (من ضمن عدة شروط أخرى) اعتناقه ونشره بين شعبه مقابل توثيق العلاقات الدبلوماسية بين بلديهما ومنحة سنوية مقدارها خمسة وعشرون مليون جنيه استرليني،، فأعلن بوكاسا إسلامه وأطلق على نفسه اسم صلاح الدين أحمد مجاهد!، ولكنه لم ينفذ بقية شروط القذافي، فقطع عنه المعونة، وارتد بوكاسا عن الإسلام وعاد إلى المسيحية واسمه السابق.

تزوج سبع عشرة امرأة و أنجب أكثر من خمسين ولدا.

وكان يجلد وزراءه أمام الجميع!

من أوامره التي تؤكد على إصابته بجنون العظمة والنرجسية المفرطة أنه أمر بمناداته بالسيد الرئيس مدى الحياة، وبعد أن أصبح إمبراطوار قرر أن يناديه الجميع بالامبراطور المقدس!

واشتهر بأنه من آكلي لحوم البشر، لا سيما الأطفال! يروي بعض مساعديه أنه كان ينتقي بعض الأطفال الذين يصلحون للأكل ويأمر بذبحهم! وقد وجد في ثلاجات قصره بعد سقوطه قطعا من أجساد الأطفال بكميات كبيرة.

روى دبلوماسي عراقي كان يعمل في سفارة العراق أنه رافق الرئيس جين بيدل بوكاسا في زيارته للعراق عام ١٩٧٥، وأقام الرئيس العراقي الأسبق أحمد حسن البكر وليمة للرئيس بوكاسا، الذي أبدى إعجابه بمذاق الطعام العراقي وأشاد بالطباخ الذي أعده، وطلب منه أن يعمل عنده، لم يمانع البكر كما لم يمانع الطباخ الذي كان اسمه ياسر بعرض العمل المغري، وعندما أنهى بوكاسا زيارته اصطحبه معه، إلا أنه اختفى بعد مدة من وصوله إلى إفريقيا الوسطى، وبعد معاناة في البحث عنه تبين أن بوكاسا قتله ووضعه في ثلاجة كبيرة مخصصة للحوم البشرية يقوم بالتهامها بين فترة وأخرى!

ووصلت نرجسية بوكاسا أنه نصب نفسه إمبراطور ووزيرا على كافة وزارات الدولة!

ولم يكن في نظامه حتى برلمان صوري أو هيئة استشارية معينة ليجمل بها نظامه الذي يزداد قبح كل يوم جراء سيرته الدموية وإيغاله في قهر واستعباد شعبه.

لقد كان بوكاسا طاغية مجنونا بحق، وشخصا نرجسيا هائما بذاته، حتى أنه تفوق على نرجسية الشيطان يوم تمرد على أمر ربه في واقعة السجود المشهورة ذكرها في الثقافة الدينية، فقد زينت له نفسه أن قارة أفريقيا بدولها الثلاثمائة ليس بينها أية دولة امبراطورية، فهداه تفكيره أن تكون بلاده الصغيرة الفقيرة الضعيفة أول امبراطورية في أفريقيا، وأن ينصب نفسه على شعبه المستضعف إمبراطورا، وهداه تفكيره العميق لاقامة حفلا ضخما لم تشهد له قارة أفريقيا مثيلا، يحضره كبار وصغار قادة ورؤساء العالم، ويكون أسطورة من أساطير القارة السمراء، بل والعالم، وتتضاءل إلى جانبه كافة الاحتفالات التي سبقته والتي ستقام بعده أبد الدهر وعلى مر الزمان.

أمر بوكاسا حرسه الخاص باختيار مجموعة من المعتقلين من ذوي البنية الجسدية السليمة، ونقلهم إلى أماكن جيدة التهوية، وتقديم وجبات طعام فاخرة لهم، والعناية بهم ومعالجتهم من أي مرض قد يتعرضون له، ووعدهم بقرب إطلاق سراحهم بمناسبة حفل التتويج الإمبراطوري.

وتمكن بوكاسا من الحصول على قرض فرنسي لتغطية تكاليف الحفل الذي قدر بعشرة ملايين جنيه إسترليني خلال أقل من أربعة وعشرين ساعة، في بلد من أفقر بلدان العالم، حيث إن ١٠% من السكان يقرؤون ويكتبون فقط مقابل ٩٠% من الأميين، ورغم أن ربع الأطفال يموتون بسبب نقص الغذاء والدواء وانعدام الرعاية الصحية، إلا أن ذلك كله لم يكن يشغل بال الحاكم الذي وهب بلاده وشعبه من أجل هدف واحد وغاية مطلقة، وجعل كل من حوله يدور حولها ألا وهي ذات الإمبراطور!

ومع اقتراب موعد الحفل المرتقب اعتذر العديد من كبار قادة رؤساء دول العالم عن الحضور ويبدو أنهم لم يتقبلوه واعتبروه حفلا غير شرعي، إن

لم يكن جنونا وعارا لا يمكن مسايرته مهما كانت المبررات، فكان مصير العديد من بطاقات الدعوة التي طليت بالذهب الخالص الاعتذار، وكانت بعض صيغ الاعتذار عن الحضور رفضا صارخا للحفل، وبعضها الآخر مهينا لبوكاسا ونظامه، فوزارة الخارجية البريطانية ردت بعنف ووقاحة على دعوة الملكة اليزابيت الثانية للحفل المخجل! بينما رد الرئيس الأمريكي جيمي كارتر على الدعوة بقطع المساعدات الأمريكية عن أفريقيا الوسطى!

إلا أن ذلك كله لم يؤثر على استعدادات بوكاسا لحفل تنصيبه، ففي يوم الحفل احتشد عشرات المئات من الجيش في استعراض عسكري على طول الطريق الوحيد المعبد في العاصمة "بانجي"! والذي مر به موكب الإمبراطور بوكاسا الذي ارتدى طيلسانا مرصعا بالألماس، وعلى رأسه تاج مطلي بالذهب الخالص مصنوع من الألماس والياقوت والزمرد، تتوسطه ماسة نادرة، وهو ممسك بصولجانه الذهبي الشهير بيده.

وصل بوكاسا لقصره الفخم، وجلس على كرسي العرش الذي كلف خزينة الدولة الفقيرة ملايين الدولارات، وشارك في صنعه عدد من كبار فناني العالم، وحوله مئات الحضور من الزعماء والرؤساء والدبلوماسيين ورجال الأعمال، الذين انشغلوا بتناول الأطعمة الشهية التي قدمت على أطباق فاخرة استوردت من فرنسا خصيصا لهذه المناسبة.

وفور الانتهاء من المأدبة الإمبراطورية تفاجأ الجميع وأصيب معظمهم بصدمة رهيبة! فقد أخبروا أن اللحوم التي تناولوها لم تكن سوى لحوم سجناء ذبحوا لتكون أجسادهم وليمة شهية لضيوف الإمبراطور!

في عام ١٩٧٥ فرض بوكاسا زيا مدرسيا موحدا للطلاب لا تنتجه سوى مصانع يمتلكها هو شخصيا! وكان باهظ الثمن، ولم يتمكن العديد من أولياء الأمور توفير المبلغ اللازمة لاقتنائه، فاندفع مائة تلميذ من الأطفال الصغار وقاموا بمظاهرة ضد فرض الزي المدرسي وغلاء سعره، ووصل خبرهم إلى بوكاسا، الذي هاله الأمر فأمر بالقبض عليهم و إيداعهم السجن، وبعد عدة أيام جاءهم بوكاسا وبيده صولجانه الذهبي الشهير وصرخ في وجه التلاميذ الصغار قائلا: لن تكونوا في حاجة لهذا الزي المدرسي من اليوم طالما بقيتم هنا في السجن.

وظل التلاميذ الأبرياء في السجن وفشلت كافة محاولات إطلاق سراحهم، وبعد عدة أسابيع أمر بوكاسا بإعدامهم، فجرت عمليات الإعدام الشهيرة بحق هؤلاء الأطفال الأبرياء على دفعات حتى أعدموا جميعا.

بعد عمليات إعدام الأطفال التي هزت الضمير الإفريقي والعالمي، بدأت الصحف ووسائل الأعلام الإفريقية والدولية بكشف وتعرية بوكاسا شخصا ونظاما، وترددت حكايات جرائمه البشعة وأهوال نظام حكمه وتسخيره لشعب وثروات بلاده لإشباع نزواته ورغباته، مما أدى إلى فقد بوكاسا علاقاته الحميمة بباريس، بعد أن فاحت رائحة جرائمه المروعة بعد قتله للأطفال الأبرياء اعتبرته الحكومة الفرنسية رجلا متعطشا للدماء على الدوام ويشكل خطرا على بلاده وعلى الدول الأفريقية ومصالح فرنسا في القارة الأفريقية.

وبعد شهر فقط من مذبحة الأطفال المروعة وإدراك فرنسا أن بوكاسا ليس سوى مسخ بشع متلبس بجسد بشري سوي تتحكم فيه نزعات شر وحشية ورغبات بشعة، بدأت المخابرات الفرنسية خطة إسقاطه، وجاءت الفرصة سانحة عندما كان الطاغية في زيارة لليبيا وبمجرد هبوط طائرته

في مطار طرابلس أعلن عن القيام بانقلاب ضده فأصبح بذلك طريدا شريدا لا يعرف أين يذهب، سمحت له فرنسا بالإقامة فيها بعض الوقت ثم طردته، فلجأ إلى ساحل العاج، ثم عاد إلى أفريقيا الوسطى عام ١٩٨٧ ليحكم عليه بالإعدام، إلا أن بابا الفاتيكان طلب عدم تنفيذ الحكم والاكتفاء بالإقامة الجبرية، فعاش بقية عمره تحت إقامة جبرية مشددة، حتى مات عام ١٩٩٦.

لا يعرف بالضبط لماذا رق له البابا وخلصه من الإعدام؟ أو لم يعلم قداسة البابا أن فرق البحث عثرت على بقايا رفات التلاميذ الذين أمر بإعدامهم من دون ذنب؟ أو لم يعلم قداسته أن فرق البحث وجدت عظام سبعة وثلاثين طفلا بالقرب من أرضية حمام السباحة في قصره المنيف؟ ولعلهم قدموا كوجبات لتماسيحه المدللة! كما وجدت الفرق أيضا رفات عشرات الضحايا يبدو أنهم كانوا وجبات طعام شهية للطاغية الذي لم ولن تنجب له أفريقيا الوسطى مثيلا.

مما ينسب له من كلام يدل على جهله وحمقه واستهانته بالكائن البشري:

- إن لحم الإنسان لا يحتاج إلى ملح، فهو شديد الملوحة وحينما تجربونه ستعرفون كم هو لذيذ ورائع.

- لا شيء يدل على أن الإنسان منافق كذاب إلا أنه يتعفف عن أكل لحم الإنسان، بينما القنابل تحصده بمئات الألوف وتلقي بهذا البروتين الغني للوحوش والديدان.

اندريا موسوليني (١٨٨٣ـ ١٩٤٥).

رئيس وزراء إيطاليا وحاكمها المطلق من عام ١٩٢٢ إلى ١٩٤٣، ومؤسس وزعيم الحركة والحكومة الفاشية الإيطالية، عرف بعدوانيته وميوله الدموية، أدخل إيطاليا في آتون طغيان مدمر، وزج بها في حروب عبثية، أدت إلى هزيمتها المدوية في الحرب العالمية الثانية.

ولد لعائلة فقيرة، كان والده حدادا، وناشطا اشتراكيا، اعتقل كثيرا لمعارضته لنظام الحكم في إيطاليا، أما والدته فكانت تعمل لسد رمق العيش خادمة في إحدى الكنائس، وكانت العائلة تعيش في كوخ صغير بائس يتكون من غرفتين فقط، فكان اندريا من ضيقه يفترش أرضية المطبخ وإلى جانبه أحد أشقائه، واضطر للعمل في ورشة الحدادة مع والده، فكانت نشأة قاسية أترث على موسوليني وجعلته طفلا عدوانيا فوضويا وغير متورع عن ممارسة السلب والنهب والاغتصاب، فقد كان كثير الشجار مع أقرأنه، حتى أنه ضرب أحدهم بسكين، علاوة على هوايته للسرقة، إلا أن والدته أدخلته إحدى المدارس المسيحية عله يستقيم، إلا أن طلاب المدرسة أطلقوا عليه لقب "الطاغية" بسبب سبه الدائم لهم وشتمه وتهديده للجميع.

بيد أن موسوليني أكمل دراسته بنجاح حتى تخرج معلما فنيا، وأكمل دراسته في العلوم الإنسانية والفن الإغريقي، على الرغم من ذلك فقد كان ملحدا يحتقر الطقوس والعقائد الدينية.

ذات مرة هاجم سيدتين كانتا تحملان طعاما فخطفه من إحداهما، وفي هذه الحادثة يقول موسوليني في مذكراته: لم أستطع أن أمنع نفسي فهاجمت إحدى العجوزين وخطفت الطعام من يديها، وأؤكد لكم أنهما لو حاولتا المقاومة لخنقتهما، أجل لخنقتهما!

وذات مرة اغتصب إحدى الفتيات العفيفات، يقول: لم تكن تلك الفتاة من العاهرات، وكانت تدعى فرجينيا وهي فتاة فقيرة ولكنها ذات وجه جميل.. أجل كانت جذابة إلى حد كبير.. وفي ذات يوم صعدت معها درج المنزل وقذفت بها على الأرض ثم افترستها.. وعندما انتهى كل شيء كانت تبكي بحرقة وتنهال علي بالسباب قائلة إنني انتهكت عرضها.. أنا لا أنكر ذلك، ولكن أي عرض هذا؟!

في سن الثامنة عشرة أقام علاقة مع زوجة ضابط في الجيش واختلف معها وطعنها وفر هاربا!

هاجر إلى سويسرا وهناك نشر في صحفها مقالات تضمنت آراء حادة وعنيفة وعدوانية ضد الدين والكنيسة والرأسمالية، ودعا فيها إلى عزل رجال الدين بشكل تام وإغلاق الكنائس، وتهجم على شخص المسيح كاتبا: ومن هو ذاك المسيح إذا لم يكن هو الرجل الوضيع الصغير الذي أمضى زهاء عامين يجاهد لتغيير ديانة أهالي بعض القرى عن معتقداتهم وديانتهم؟ لقد كان الحواريون في ظني الاثنا عشر مجرد جهلة أفاقين، بل إنهم من حشرات فلسطين وحثالتها.

وعلى أثر ذلك شن عليه مجموعة كبيرة من رجال الدين حملة شعواء طالبوا فيها بترحيله من سويسرا، فرد عليهم موسوليني بمهاجمة نظام الحكم السويسري، على الرغم من كونه أفضل أنظمة الحكم الأوربية حينداك، ومثالا يحتدا في الحرية وحقوق الإنسان قياسا بأنظمة الحكم الأوربية التي تضم عدد كبير من الحكومات الديكتاتورية في ذلك الوقت.

طرد موسوليني من سويسرا بعد أن حقق فيها شهرة واسعة في مختلف الأوساط الفكرية والثقافية والسياسية والشعبية، لا سيما بين أوساط الطلاب الروس الذين اشتهروا بميولهم للعنف واستخدام القوة لتحقيق أهدافهم، مما جعله يلقب نفسه بـ"رسول العنف".

ولما عاد إلى إيطاليا لم يستطع تحمل الأوضاع فيها فعاد إلى سويسرا، وفيها أكمل دراسته الجامعية، ثم قرر العودة إلى إيطاليا بعد إصدار عفو ملكي عن جميع الشباب الإيطاليين الذين هربوا من إيطاليا.

عاد موسوليني إلى بلاده عام ١٩٠٨، وبدأ بممارسة نشاطه المعادي للنظام الملكي الإيطالي، فكان يخطب بالجماهير ويكتب في الصحافة ويتحدث في المقاهي والمنتديات، فكان مصيره الاعتقال، ولما خرج من السجن توجه إلى النمسا، وفيها استقبل استقبال الأبطال ثم تولى وظيفة في نقابة العمال، ومن خلالها كان يؤججهم على الأغنياء الرأسماليين الخنازير على حد وصفه لهم.

لم تلبث الحكومة النمساوية أن طردته من أراضيها، فعاد إلى إيطاليا، واستقر فيها مع تنقله ما بين النمسا وسويسرا وبعض الدول الأوربية التي ينشط فيها الاشتراكيون، ومارس خلال سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى أنشطة مختلفة ما بين زواجه وتكوينه لعائلة صغيرة وتأليفه لرو اية عنوانها (عشيقة الكاردينال)، وتكوينه علاقات وصداقات مع أبرز الشخصيات

الاشتراكية والثورية داخل إيطاليا وخارجها، وأصبح موسوليني شخصية ذائعة الصيت معروفة بنزعتها الثورية المتمردة.

في عام ١٩١١ أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، فانضم موسوليني للمظاهرات المنددة بالحرب، فاعتقل وسجن لمدة سبعة أشهر، وبعد إطلاق سراحه رحب به الاشتراكيون وعينوه رئيسا لتحرير صحيفة "إلى الأمام" الناطقة بإسمهم، إلا أن موسوليني انقلب عليهم! فقد كتب مقالا يؤيد فيها دخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء، فأثار غضب الاشتراكيين واتهموه بالخيانة وطردوه من عمله والحزب الاشتراكي.

في عام ١٩١٤ بدأت الحرب العالمية الأولى فعليا وكانت إيطاليا من ضمن قوات الحلفاء، وخدم موسوليني في الجيش، وبعد انتهاء الحرب خرجت منها إيطاليا وهي تعاني من مشاكل جمة وخطيرة، فالجنود المسرحون من الجيش ومنهم موسوليني فقدوا وظائفهم وانضموا إلى جيش هائل من العاطلين، وشهدت الأسواق غلاء فاحشا، مما أدى إلى تنظيم تظاهرات واحتجاجات واسعة النطاق، وتدهور الأمن، وشهدت إيطاليا انتشارا مخيفا للعصابات التي قامت بسرقة وإتلاف بيوت وممتلكات الأغنياء، علاوة على الأملاك العامة، وتمكن موسوليني من قيادة إحدى المظاهرات، واستطاع بخطبه العصماء ولسانه المفوه من اجتذاب آلاف الأنصار والمؤيدين، حيث طلب منهم موسوليني أن يتميزوا عن غيرهم بارتداء القمصان السوداء، وأسس بهم الحركة الفاشية (الفاشية مصطلح إيطالي قديم، يعني نوع من الصولجانات كانت تحمل أمام الحكام في روما القديمة للدلالة على قوة سلطتهم، وهي نوع من أنواع الديكتاتورية السياسية والاقتصادية اليسارية، على غرار النازية الهتلرية واللينينية السوفييتية.

وهي حركة تعتمد على مركزية السلطة التنفيذية وهيمنتها على بقية السلطات، وعلى ذوبان المجتمع في الدولة، وسيطرتها على الاقتصاد وعلى كافة مناهل الحياة، على غرار بقية الفلسفات والاتجاهات اليسارية مع بعض التباينات الطفيفة، وقد أنشاها موسوليني وانتهت بنهايته) التي تحولت إلى حزب سياسي خاض الانتخابات البرلمانية عام ١٩١٩، إلا أنه لم يتمكن من الحصول على أي مقعد، ولما انتقدت الصحيفة ذات الميول الاشتراكية "إلى الأمام" موسوليني وحزبه الفاشي، هاجم أنصاره مقر الحزب الاشتراكي بالقنابل، فداهمت الشرطة بعض مقرات الحزب الفاشي ووجدت فيها متفجرات، فحكم على موسوليني بالسجن لثلاث سنوات، وعندما خرج من السجن عاد وشارك في الانتخابات البرلمانية وتمكن من الوصول إلى البرلمان عام ١٩٢١.

شكل موسوليني بعد أن أصبح عضو في البرلمان الإيطالي مجموعات مسلحة غير شرعية مكونة في معظمها من الجنود القدامى ومن الذين حاربوا في الحرب العالمية الأولى، بهدف إرهاب أعدائه من الاشتراكين والشيوعيين.

استمرت الأوضاع في إيطاليا بالتدهور وفشلت الحكومة في حل مشاكل البلاد المستعصية، بينما كان أتباع موسوليني ينعمون بالأموال والامتيازات التي تدفقت عليهم لضمان ولائهم له. (يقول بعض المؤرخين الإيطاليين: إن العديد من أتباع موسوليني والمنضمين إلى حزبه الفاشي المتطرف كانوا من العاطلين عن العمل والجنود المسرحين ومن ذوي السوابق الإجرامية ومن المنتمين لعصابات الإجرام المنظم كالمافيا والكومورا، وقد حباهم بالأموال وزرع فيهم أيديلوجية سياسية متعصبة)، فوجد موسوليني الفرصة سانحة ليحقق هدفه بالاستيلاء على السلطة، ففي عام ١٩٢٢ قاد ما يناهز الأربعين ألفا من أصحاب القمصان السود الذين أتوا من مختلف مدن إيطاليا،

وزحف بهم في مظاهرة ضخمة نحو روما القديمة، مما عزز موقفه كقائد إيطالي كبير، في مقابل حكومة عاجزة لم تعد قادرة على القيام بواجباتها تجاه شعبها، ثم دعا إلى إضراب عام شل الحياة في إيطاليا.

بعد ذلك بعدة أسابيع و افق موسوليني على طلب عدد من الصناع والتجار وغيرهم على مخاطبة الجماهير لإيقاف الإضراب، فوقف مخاطبا الحشود وحث الناس على إيقاف إضرابهم والعودة إلى أعمالهم ومدارسهم، وأوعز لميلشياته الفاشية باستخدام العنف لإيقاف إضراب عمال المصانع والمتاجر الذين رفضوا خطابه، وقد استجاب له معظم العمال والمهنيين والطلاب، بينما وقفت الحكومة الإيطالية مذهولة مما حدث، فقد أصبح الحزب الفاشي بديلا فعليا عنها، وتحول موسوليني إلى رئيس وزراء ظل.

وحدث أن وقع إضراب كبير في قطاع المواصلات، عجزت الحكومة عن التعامل معه، ولكن الفاشيين تدخلوا وسيروا الحافلات والقطارات وأنهوا الإضراب، وبلغ نفوذ الفاشيين واعتبارهم الحكومة الفعلية في إيطاليا إلى أن التجار والأغنياء طلبوا مساعدتهم في حماية أنفسهم وممتلكاتهم.

ثم إن موسوليني نظم حفلا حاشدا في مدينة نابولي خاطب فيه جماهيره قائلا: أما أن تُعطَى لنا الحكومة أو سنأخذ حقنا بالمسير إلى روما. فأجابته الحشود: نعم إلى روما.. هيا إلى روما.

وبعد عدة أيام زحف أربعة عشر ألف فاشي إلى روما بالقطارات والحافلات، مما سبب الذعر للحكومة، التي عرضت على موسوليني تولي منصب وزاري، إلا أنه رفض، فتوجهت الحكومة للملك "فيكتور عمانويل الثالث" وطلبت منه المو افقة على إعلان حالة الطوارئ، إلا أنه رفض أيضا، وبدلا من دعم الحكومة أصدر مرسوما بحلها وكلف موسوليني بتشكيل حكومة جديدة.

وهكذا حقق موسوليني غايته ووصل إلى السلطة التي حلم بها طوال حياته، وتولى رئاسة الوزراء وعمره لم يتجاوز التاسعة والثلاثين، وأصبح أصغر رئيس وزراء في تاريخ إيطاليا الملكية وذلك في أكتوبر من عام ١٩٢٢.

لقد كان الشعب الإيطالي بحاجة إلى زعيم قوي، ولكن ليس دمويا وطاغية متجبر كموسيليني، لا شك أن شعب إيطاليا لم يحسن الاختيار وقد دفع ثمن عدم حفاظه على ديمقراطية، فعندما تولى موسوليني قيادة البلاد وقف أمام مجلس النواب في خيلاء وتعجرف وغرور قائلا: (أيها السادة، أود أن أبلغكم في هذا المقر التاريخي العريق أنه كان بمقدوري أن أحيل تلك القاعة الهادئة إلى قاعدة عسكرية مكتظة بالأسلحة يحملها أنصاري من ذوي القمصان السوداء، كان بوسعي أيضاً يا سادة أن أنصب هنا بالتحديد متحفاً للجثث، وأحفر بحراً من الدماء وآخر من الدموع، بل لا أغالي إذا قلت لكم بملء الفم إني كنت على استعداد أن أوصد أبواب قاعتكم هذه بالمسامير ولن يستطيع كائن من كان أن يقاومني أو يعارضني).

في عام ١٩٢٣ اعتدى بالضرب على أعضاء البرلمان المعارضين لقانون الدوائر الانتخابية الذي يقسم البلاد إلى ست عشرة دائرة انتخابية، لكي يضمن حصول الحزب الفاشي على الأغلبية في الانتخابات.

وفي انتخابات عام ١٩٢٥ حصل الفاشيون على ٥٤% من الأصوات، مما حدا بالكثيرين إلى الشك بنزاهة الانتخابات، منهم النائب الاشتراكي جياكوميتي، وقد وقف متحديا لموسوليني ونظام حكمه بينما كان الجميع خائفين منه، وختم جياكوميتي حديث قائلا: الآن يمكن أن تكتبوا دعوة دفني.

وفعلا اختفى بعد عشرة أيام ليعثر عليه جثته بالقرب من روما، وقبض على خمسة من الفاشيين بتهمة القتل، واعترفوا أن نيتهم كانت تأديبه لا قتله، فسجنوا لفترة قصيرة ثم أطلق سراحهم.

امتلأت شوارع وساحات مدن إيطاليا بتماثيل موسوليني وبجداريات ضخمة تخلد أفعاله، وبدأت السلطات الموسولينية بتدريب تلاميذ وطلاب المدارس والجامعات على استخدام السلاح وترديد الأناشيد الفاشية، وكان الأطفال يجمعون ليشكلوا جسرا يجسم حرف الميم، أول حروف من اسمه! ليمر من أسفله!

وأمر موسوليني بحظر كافة الأحزاب، وكافة المؤسسات التي تتبعها، وتجريد العشرات من الصحفيين الغير موالين للفاشية من بطاقات عضويتهم في نقابة الصحافة، وأغلقت كافة الصحف والمجلات الأدبية الغير موالية للنظام الفاشي، وأجبرت المخابرات الإيطالية الناس على وضع صور موسوليني في غرف النوم، وإشعال الشموع في ليلة عيد ميلاده، وكان يتعرض للأذى والعقاب الشديد كل مواطن ترصده المخابرات لا يلتزم بتأدية طقوس الولاء لزعيم البلاد الأوحد.

وشن الفاشيون غارات على الأرياف فكانوا يدخلون المزارع التي يوالي أصحابها الحزب الاشتراكي، فيحرقونها ويعذبون أصحابها ويقتلونهم في كثير من الأحيان، كما قاموا باغتيال الكثير من الشخصيات الاشتراكية والشيوعية.

كما حظرت الحكومة الموسولينية معظم النقابات والجمعيات التعاونية، وحظرت الأنشطة الثقافية والفنية المتعارضة مع الثقافة الفاشية.

يقول الكاتب البريطاني "ريتشارد بوسورث" في كتابه *إيطاليا في عهد موسوليني.. الحياة في ظل الديكتاتورية*: (والو اقع: إن وصول الفاشيين إلى السلطة في إيطاليا كان ناتجا عن عدة عوامل. صحيح إن إرادتهم الحديدية وأساليبهم الإرهابية ساهمت في وصولهم إلى قمة السلطة، ولكن ينبغي ألا

نسى أن الملك كان ضعيفا لا يستطيع مواجهتهم، وأن الدولة كانت قد أخذت في التفكك والانهيار. في هذه اللحظة بالذات فقز الفاشيون على السلطة وأمسكوا بها جيدا، وكان ذلك عام ١٩٢٢ عندما أصبح موسوليني رئيسا للوزراء وعمره أقل من أربعين عاما.

وفي البداية حاول موسوليني أن يظهر كسياسي معتدل يحترم الدستور لماذا؟ لأنه كان لا يزال ضعيفا ويمكن للطبقة السياسية الليبرالية أن تقضي عليه إذا ما شعرت بأنه يهدد السلام المدني أو المبادئ الديمقراطية التي قامت عليها الدولة الإيطالية بصفتها دولة أوروبية حديثة تحترم الدستور والتعددية الفكرية والسياسية، وتعتمد على المشروعية البرلمانية، ولكن عندما تمكن من الأمر وترسخت أقدامه في السلطة راح يحذف خصومه واحدا واحدا ويقضي على الطبقة السياسية الليبرالية برمتها.

وهكذا استطاع أن يفرض النظام الفاشي الديكتاتوري المطلق على البلاد، وأدى ذلك إلى خنق الحريات في إيطاليا وإرهاب الناس، وعاشت البلاد عندئذ ظروفا عصيبة، وعمّ الخوف الناس، فلم يعد أحد يستطيع أن يعبر عن آرائه السياسية بحرية، نقول ذلك ونحن نعلم أن الإيديولوجيا الفاشية تقوم أساسا على عبادة الزعيم الأوحد وعلى تقديس الهيبة العليا للسلطة والخضوع لها بشكل كامل من قبل الشعب، ومن لا يخضع تتم تصفيته جسديا إذا لزم الأمر.

وهكذا أصبح النظام الفاشي مفروضا على إيطاليا بدءًا من عام ١٩٢٥ بعد أن ألغي البرلمان والانتخابات الديمقراطية الحرة في البلاد، فالديمقراطية هي ألد أعداء الفاشية، واستمرت الفاشية تحكم إيطاليا حتى عام ١٩٤٥ تقريبا، أي: حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وسقوط هتلر

وموسوليني على حد سواء، وكان ذلك يعني نهاية الفاشية والنازية في آن معا وعودة أوروبا إلى الديمقراطية الليبرالية البرلمانية).

ويتحدث ريتشارد عن إيطاليا في ظل الديكتاتورية الفاشية الموسولينية: (وراح موسوليني يطهّر جهاز الدولة من كل العناصر الجيدة التي لا تؤمن بالفاشية أو لا تقدم السمع والطاعة للحزب الفاشي الحاكم، وسيطرت الثقافة الفاشية على عقول الناس، وهي ثقافة تقوم على تمجيد الفحولة والرجولة والعنف والعصبية القومية الشوفينية وكره النقاش الديمقراطي والتعددية.

كما أنها ثقافة تقوم على فرض الرأي الأوحد على الجميع وكره كل القيم الليبرالية القائمة على التسامح وحق الاختلاف في الرأي والمناقشات البرلمانية، فالفاشيون يعتقدون أن هذه المناقشات مضيعة للوقت، وبالتالي فلسنا بحاجة إلى برلمان ولا ديمقراطية ولا من يحزنون، وهكذا سيطرت الديماغوجية الغوغائية على إيطاليا.

وكان الفاشيون يقولون: نحن بحاجة إلى زعيم قوي لا يتردد عن سفك الدماء لفرض هيبته وسطوته على الجميع، وكلما كان عنيفا قويا مرعبا كلما خاف الناس منه وكلما تعلق الفاشيون به، وعلى هذا النحو حكم كلٌ من موسوليني وهتلر.

وعلى هذا النحو أيضا اختفت السياسة العقلانية التنويرية من إيطاليا وحلت محلها الثقافة الاستبدادية والمغامرة إن لم نقل المتهورة، واضطر معظم المثقفين للخضوع لموسوليني وحزبه الفاشي، بل إن بعضهم فعل ذلك عن طيبة خاطر معتقدا بأن الفاشية هي مستقبل إيطاليا لأنها إيديولوجيا جديدة تضرب على وتر الغرائز القومية والعصبيات الشوفينية الضيقة، كما أنها تقوم على النزعة الشعبوية لا الشعبية لأنها ديماغوجية غوغائية.

وهكذا خسر الشعب الإيطالي الكثير من قيمه الر اقية وتحول إلى شعب مستعبد يصفق للديكتاتور إما حبا به أحيانا وإما خوفا منه في أكثر الأحيان، ولم يتحرر هذا الشعب الذي صنع النهضة الأوروبية إلا بعد سقوط الديكتاتورية أو الفاشية التي لم تكن إلا فاصلا قصيرا في تاريخه الطويل العريض، فالو اقع أنها لم تستمر إلا عشرين سنة أو أكثر قليلا، بعدئذ عادت إيطاليا إلى الديمقراطية والحرية من جديد).

على صعيد السياسية الخارجية انتهج موسوليني سياسة عدائية عدوانية وزج ببلاده في حروب تفوق قدراتها العسكرية والسياسية، وإمكانياتها البشرية والاقتصادية، ومكانتها الحضارية، فكانت النتيجة خراب إيطاليا.

لقد ظل موسوليني يصر على أن السلام ظاهرة متعفنة، وأن إيطاليا لا بد لها من أن تعيد مجدها وريادتها ولن تحقق هذا الهدف إلا بالتوسع والغزو والاستيلاء على ثروات الشعوب المتخلفة، لذا فقد خطط موسوليني لكي يسيطر على أجزاء واسعة من أوربا وضمها إلى إيطاليا، والاستيلاء على كامل حوض البحر الأبيض المتوسط، وأن يضم إلى الإمبراطورية الإيطالية أراضي شاسعة من أفريقيا، تحتوي عل الثروات الهائلة التي لا تنضب، فعمد إلى ضم ليبيا بالكامل إلى إيطاليا، وتحويلها إلى قطعت من الأراضي الإيطالية، فعين حاكما جديدا لليبيا وزوده بجيش كبير وفوضه بصلاحيات واسعة لتحقيق هذا الهدف، فسقط أكثر من مائتي ألف ليبي خلال ثلاث سنوات فقط، وتمكن حاكم ليبيا من القبض على عمر المختار وإعدامه، وصادر المزيد من أراضي الليبيين، و أقام مستوطنات إيطالية ضخمة فوقها وشجع هجرة الإيطاليين إليها، وأصدر موسوليني مرسوما بمنح سكان ليبيا من العرب الجنسية الإيطالية وإلزامهم بتعلم اللغة والثقافة الإيطالية.

في عام ١٩٣٩ غزا موسوليني إثيوبيا بشكل مفاجئ، لأنه يعتبر أن إعلان الحرب على إثيوبيا شرف منه لا يستحقه الإثيوبيون، وكان هدفه الاستيلاء على الثروات الطبيعة الضخمة التي تعج بها أراضيها، فحول مدنها إلى خراب وفر الإمبراطور "هيلاسيلاسي الأول" من العاصمة أديس أبابا، وأعلنت إيطاليا ضم إثيوبيا إلى أراضيها.

ثم تحالف موسوليني مع هتلر وعقدا حلف أطلق عليه "الحلف الفولاذي" يرتكز على خوض حروب واسعة في أوربا، تحول إيطاليا إلى قوة عظمى إلى جانب ألمانيا، وقد سعى إلى بناء جيشه ليكون قادرا على خوض المعارك، إلا أن الحرب العالمية الثانية اشتعلت قبل استكمال بناء الجيش، فراح موسوليني يلوح للرأي العام الإيطالي وأعداء إيطاليا في الخارج بالقوة الساحقة لجيشه، وأنه قادر على تعبئة اثني عشر مليون مقاتل، وتسليحه بأحدث الأسلحة وأشدها فتكا، في حين كان الرقم الحقيقي لا يتجاوز المليونيين، أما الطائرات المتطورة والبوارج العظيمة والدبابات الفتاكة والمدافع المدمرة فلم يكن لها أي وجود.

لقد كان أداء الجيش الإيطالي متواضعا، فكان بحاجة إلى مساعدة ألمانيا لاحتلال ألبانيا، وفشل في احتلال اليونان ثلاث مرات متتالية، حتى تمكن منها بمساعدة ألمانيا، وفي ليبيا هزم الجيش الإيطالي أمام القوات البريطانية، ولم ينقذه سوى تدخل القوات الألمانية، بهدف الحفاظ على الوجود الإيطالي في شمال أفريقيا، إلا أن الموقف العسكري في الحرب العالمية الثانية انقلب سريعا لصالح دول الحلفاء، مما أدى إلى انهزام الجيش الإيطالي وتشتت قواته العسكرية، وبحلول عام ١٩٤٢ كانت إيطاليا قد هزمت فعليا في الحرب، فانقلب الرأي العام بأجمعه ضد موسوليني وحكومته التي فقدت أي شرعية وأي قدرة على ممارسة مهامها، وما لبثت

قوات الحلفاء أن دخلت إيطاليا من دون مقاومة تذكر، ليسقط بذلك نظام موسوليني، أما الملك فقد أصدر مرسوما باعتباره عدو الشعب وأمر بالقبض عليه.

في ١٨ ابريل ١٩٤٥ غادر موسوليني مقر إقامته وذهب إلى مدينة ميلانو، وطلب من أسقف المدينة أن يتوسط له لدى قوات الحلفاء، فأبلغه بأن ميلشيات الحزب الشيوعي والميلشيات الموالية للحلفاء تسعى للقبض عليه وإعدامه، ففر برفقة عشيقته "كلارا" مع عدد قليل من الموالين له، وتوجه نحو الحدود مع سويسرا أملا في دخولها وانقاد حياته، وبقي فيها عدة أيام انفض خلالها معظم من بقي معه، فعزم على الفرار مهما كانت النتيجة، فاختبأ مع عشيقته في مؤخرة سيارة نقل متجهة إلى سويسرا، ولكن السائق لم يكن سوى رجل موالي لقوات الحلفاء، حيث أمرهما بالنزول مهددا إياهما ببندقيته وأخبرهما بأنه قبض عليهما باسم الشعب الإيطالي، وفي اليوم التالي اقتيد إلى مبنى سكني وكان بانتظاره خمسة عشر عضوا في الحزب الفاشي، وتلي على موسوليني ومن معه أمر إعدامهم الصادر من قبل جبهة التحرير الشعبية، وأن تنفيذه سيبدأ حالا! فوضعوا جميعا مقلوبين من أرجلهم (وهي طريقة إعدام كانت مخصصة للخونة في روما القديمة) وأطلق عليهم الرصاص، ثم أخذت جثة موسوليني مع خمسة جثث أخرى من أتباعه وعلقت في ساحة عامة أمام محطة وقود.

وجاءت الناس من مختلف مناطق إيطاليا ليتفرجوا على جثث موسوليني وأتباعه، وكان الكثير منهم يسبه ويشتمه ويبصق عليه ويرميه بالقاذورات، ثم إن الناس فقدوا السيطرة على مشاعرهم فأخذوا يطلقون النار على الجثث وركلوها بأقدامهم وضربوها بأيديهم.

بعد انتهاء كل شيء أخذت الجثث ودفنت سرا في مكان لا تعلمه سوى الحكومة الإيطالية، وفي عام ١٩٥٧ سلمت السلطات جثة موسوليني لأهله ليدفنوها في مقابر قرية "دوفيا دي بريدابيو" التي ولد فيها.

لقد نال موسوليني ما يستحقه، فقد كان إنسان بلا قلب أو عواطف، متجبر طاغية، باطش حاقد، أذل شعبه ودمر بلاده، وفتك بكل من حوله، ومن الطبيعي أن تكون هذه نهايته، ويا ليت طغاة عصرنا هذا يتعضون من مصير أسلافهم من الطغاة أمثال موسوليني، فيصححون مساراتهم ويتوبون إلى ربهم وشعوبهم واوطانهم.

تذكر الإحصائيات أن عدد من حوكموا في سنة موسوليني الأولى في السلطة ١٠٠٤٤ شخص، منهم ١١ ألفا تراوحت عقوباتهم ما بين السجن والنفي والإعدام. وعدد من لاقوا مصرعهم في ظروف غامضة يتجاوز عشرين ألفا، خاصة في صفوف المثقفين والنبلاء والأثرياء والسياسيين.

في واحدة من خطبه أيام عزه، كان يخاطب الجماهير قائلا: اتبعوني كلما تقدمت بكم إلى الأمام.. أما إذا تراجعت فاقتلوني.. وإذا هُزمتُ فانتقموا مني وعلقوني من ساقي.

وقد نفذت له الجماهير ما أراد!

وكان موسوليني يرى أن في الاستعمار وسيلة مثلى لحل كافة مشاكل إيطاليا:

إن الاستعمار هو القانون الثابت والخالد للحياة.

وكان يقول للشباب الإيطالي: أن تعيش يوما واحداً مثل الأسد خير لك من أن تعيش مائة عام مثل الخروف.

وكان يرى أن الفاشية لا تؤمن بإمكانية ولا بفائدة السلم الدائم، الفاشية تفهم الحياة كواجب ونضال وقهر.

صـدام حسين (١٩٣٧ـ ٢٠٠٦).

طاغية عصره وفرعون زمانه، سفاح بدرجة امتياز، بروفيسور في القتل، حكم العراق رسميا منذ عام ١٩٧٩ ولم يسقط على الرغم من عشرات المحاولات الانقلابية، حتى سلط الله عليه من هو أقوى منه، جورج بوش، الرئيس الأمريكي الجمهوري، الذي أمر بغزو العراق عام ٢٠٠٣ فسقط نظام حزب البعث العربي الاشتراكي الذي حكم العراق بالحديد والنار لخمسة وثلاثين عاما في ثلاثة أسابيع فقط.

ولد صدام حسين في قرية العوجة، من نواحي تكريت، وسيرة طفولته لا تختلف كثيرا عن أقرانه من الطغاة والسفاحين، فقد عاش طفولة بائسة وفقيرة، فوالده كان يعمل فلاحا وتوفي وعمره ثلاث سنوات (أقام له صدام عندما تولى السلطة ضريحا فخما في القرية)، وتوفي شقيقه الأكبر بالسرطان بعده بفترة قصيرة، وكانت قريته من أفقر قرى تكريت، ويعيش سكانها في فقر مدقع، وكانت تشتهر بأنها ملاذ لقطاع الطرق والمجرمين، أما عشيرة صدام المعروفة بعشيرة البيجات، فقد كانت معروفة بفقرها وميل أبنائها للعنف والقتل.

في هذه البيئة عاش وترعرع صدام، فقد سكن في بيت صغير يفتقر للمياه والكهرباء والهواء النقي والترفيه، إلا أن الذي زاد من معاناته هو زواج والدته من رجل اسمه إبراهيم الحسن، (وهو والد إخوته غير الأشقاء وطبان وبرزان وسبعاوي) فقد كان رجلا شريرا، فاقدا للمشاعر والأحاسيس، عامل (صدام) بمنتهى القسوة والتعسف، وكان يضربه دون رحمة، وعندما كانت والدته تحاول حماية من بطشه كان ينهرها ويعنفها ويهددها بالطلاق، ولم يتوقف زوج أمه إلى هذا الحد بل إنه منع (صدام) من دخول المدرسة وأصر على أن يذهب للمزرعة ويتعلم فنون الزراعة والرعي على الرغم من أنه لم يتجاوز الخامسة من عمره، وكان يجبره على القيام بالأعمال الوضيعة كسرقة البيض والدجاج من منازل الجيران، وعاش صدام من سن الثالثة إلى التاسعة وهو يتجرع كافة صنوف القهر والحرمان والإذلال من قبل زوج والدته، التي سارعت إلى تخليصه من معاناته وإرساله للعيش مع شقيقها خيرالله طلفاح في بغداد.

سارع الخال إلى إلحاق ابن أخته بالمدرسة، وأكمل دراسته الابتدائية بنجاح، إلا أن (صدام) ظهرت عليه سريعا نزعات العدوان والشر، وكانت المنطقة التي يسكنها في بغداد تعج بالأشقياء والمجرمين، وسرعان ما أصبح صدام واحدا منهم، والتحق بإحدى العصابات وشارك معها في ارتكاب عدد من الجرائم، منها اشتراكه في سلب رجل والاعتداء عليه، وتمكنت الشرطة من القبض على أفراد العاصمة ومنهم صدام، الذي حكم عليه بالسجن لسنة واحدة في سجن الأحداث، وعندما خرج من السجن عاد والتحق بعصابة أخرى، ومارس الاعتداء والسرقة والنهب وسبب لخاله المشاكل التي لا تنتهي، فضاق به وأعاده إلى تكريت، وفيها ضاق به زوج والدته إبراهيم الحسن، وتعرض للاعتداء من قبل أترابه لعلمهم بعدم وجود من يحميه

ويدافع عنه، وكان بعضهم يتهمه بأنه لقيط، مما زاد من عدوانيته وبطشه وحقده على من حوله، ويقال: إنه كان يحمل قضيب من حديد ليدافع به عن نفسه وكان يعمد إلى قتل الحيوانات وبقر بطونها به على سبيل التسلية والإثارة.

ضاق صدام بحياته في تكريت فاستسمح من خاله وعاد إلى بغداد، وهناك واصل دراسته الثانوية، إلا أن (صدام) ظل شخصا عدوانيا لا يتورع عن العنف والبطش، ففي إحدى سنوات دراسته أصدر مدير المدرسة قرارا بفصله مؤقتا بعد إطلاقه الرصاص على أحد مدرسيه، ورغم أن الأستاذ سامحه إلا أن المدير أصر على معاقبته، فهاجمه صدام في مكتبه وهدده بالقتل، فما كان من المدير إلا أن سحب قراره على الفور.

بعد سقوط الحكم الملكي بدأ العهد الجمهوري، فحصل أنصاره على الوظائف والامتيازات، منهم الخال خيرالله طلفاح، الذي عين مدير للتعليم في بغداد عام ١٩٥٨، وكان له عدوا اسمه سعدون التكريتي، وهو أحد منسوبي الحزب الشيوعي، فذهب إلى سلطات بغداد وابلغها بكل ما يعرفه عن الماضي السيئ لطلفاح، فصدر قرارا بعزله عن وظيفته، مما أوغل صدر الخال على سعدون، فقرر قتله، ووجد أن (صدام) هو انسب شخص للقيام بهذه المهمة الخطيرة، فأوعز إلى صدام باغتياله، ولم يتردد صدام في التنفيذ بعد أن أغراه خاله بزواجه من ابنته ساجدة ومساعدته في كل شئون حياته، فتربص له صدام بينما كان عائدا إلى منزله ليلا من إحدى المقاهي فانقض عليه وأطلق نحوه رصاصة واحدة أردته قتيلا على الفور، وذهب في اليوم التالي للمدرسة! إلا أن الشرطة داهمت المدرسة وألقت القبض على صدام، وبعد أشهر من السجن أطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة.

في الخمسينيات الميلادية كان الحس الثوري القومي طابعها وثقافتها ومدها الجارف، ولم تتمكن مجموعة من الأنظمة الملكية العربية من مواجهتها فسقطت تباعا، ابتداء بمصر ثم العراق واليمن وليبيا، وقد ظهرت الأحزاب والقوى الثورية في العديد من البلدان ومعظمها يساري يقوم على الاشتراكية الاقتصادية والدولة الشمولية والمجتمع الحديدي، منها حزب البعث العربي الاشتراكي الذي تأسس على يد أستاذ التاريخ والفلسفة في سوريا ميشيل علق، و أنشئ فرعه في العراق بواسطة مجموعة من المثقفين والسياسيين، وقد لاقت أفكار الحزب رواجا لدى مجموعة من المتحمسين المخلصين ومجموعة أخرى من التائقين للسلطة والمجد من خلال انتمائهم له، منهم صدام حسين الذي التحق بالحزب في نهاية الخمسينات، وكان هدف الحزب الجوهري هو الوصول إلى السلطة، وحكم العراق من خلال الاشتراكية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلا أنه كان يطرح أهدافا قومية كبرى كالوحدة بين العراق وبقية الدول العربية وإعادة بناء الشعب العربي لإعادة مجده التليد وقيادته للعالم.

بدأ حزب البعث في العراق بمائة عنصر فقط، كان صدام وخاله طلفاح منهم، وبعد تأسيس قيادة سياسية وجناح عسكري قرر الحزب القيام بعملية اغتيال عبد الكريم قاسم من أجل تحقيق هدفه الكبير في الاستيلاء على الحكم، وكان صدام ضمن الجناح العسكري وأوعز له تنفيذ المهمة ضمن خلية مكونة من عدة أعضاء، وفي الوقت المحدد لتنفيذ العملية وبينما كان موكب رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم يقطع شارع الرشيد، وخلافا للترتيب المتفق عليه، اندفع صدام وأطلق النار على سيارته قبل أن يتمكن رفاقه من فتح النار، مما مكن حراس قاسم من حمايته وإطلاق النار على الخلية البعثية المسلحة، فقتلوا اثنين وجرح الباقون، من ضمنهم صدام،

فسارعوا إلى الفرار والاختباء في أحد مخابئ الحزب في بغداد، بينما نقل قاسم إلى إحدى المستشفيات لتلقي العلاج.

عولج صدام من جرحه البسيط، وتمكن من الفرار بأعجوبة بعد أن داهمت الشرطة مخبأه، وتوجه مع أحد أفراد المجموعة إلى سوريا عبر الصحراء بمعونة مرشد من البدو، وعند تجاوزهم للحدود سحب صدام مسدسه وقتل المرشد من دون تردد! يقول نجاد الصافي في مذكراته: (إنني أتذكر ذلك البدوي وكيف أنه فتح بيته لنا وأطعمنا ثم أوصلنا للحدود وودعنا فما كان من صدام إلا أن سحب مسدسه ليضع رصاصتين في رأس البدوي عرفاناً منه بالمساعدة ووسط ذهولي أجابني صدام: إننا لا نستطيع أن نجزم أن هذا البدوي سوف لا يقابل دورية شرطة حدودية وبالتالي قد يدلي بمعلومات عنا. ولذلك فضل صدام قتل البدوي لكي يضمن سلامته حيث إنه كان دائماً يعمل وفق مبدأ الشك).

كما يروى عن صدام في هذا الشأن أنه في إحدى مرات هروبه المتكررة في الستينات آواه اللواء الركن رشيد مصلح التكريتي في بيته، وأكرمه وضيفه، إلا أن صدام تحرش بزوجته! فطرده رشيد، وبعد أن استلم صدام السلطة دبر له مكيدة وأعدمه عام ١٩٧٠.

قضى صدام في سوريا ثلاثة أشهر ثم انتقل إلى القاهرة مع خمسمائة بعثي عراقي وسوري سمح لهم باللجوء إلى مصر، التي كانت على عداوة مع عبد الكريم قاسم.

في القاهرة أكمل صدام دراسته الثانوية ثم انتسب لكلية الحقوق في جامعة القاهرة، وكان له دور في صفوف القيادة الطلابية لحزب البعث في الجامعة وفي مصر، بينما أصدرت المحكمة العسكرية العليا في بغداد عليه وعلى مجموعته بالإعدام لإدانتهم بمحاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم.

في عام ١٩٦٢ تزوج صدام من ساجدة ابنة خاله طلفاح وهو لا يزال منفيا في مصر، وفي عام ١٩٦٣ ذهب لسوريا والتقى بميشيل عفلق مؤسس حزب البعث، الذي عينه عضوا في القيادة القومية للحزب، في نفس العام سقطت حكومة عبد الكريم قاسم، وأعدم مع مجموعة من مقربيه وأعضاء حكومته، وتولى السلطة عبد السلام عارف، الذي تحالف مع البعثيين في تأسيس نظام حكمه، فعاد صدام إلى العراق، وعين رئيسا للجنة استخبارات حزب البعث، وهو منصب صغير وغير رسمي، إلا أن عبد السلام عارف ضاق بالبعثيين، فانقلب عليهم و أقصاهم عن المشاركة في الحكم، فسجن كل البعثيين الذين شغلوا مناصب حكومية وحظر حزب البعث، كان صدام لم يعتقل بعد، وكان يجتمع مع عدد من الرفاق لبحث كيفية اغتيال عبد السلام عارف، إلا أن قوات الأمن داهمتهم، وجرى تبادل قصير لإطلاق النار قبل أن يستسلم صدام ومن معه.

زج صدام في السجن وكان بانتظاره خاله خير الله طلفاح ومئات الرفاق، إلا أن إدارة السجن أمرت بأن يوضع صدام في زنزانة انفرادية في مديرية أمن بغداد، وفيها تعرض للتعذيب بهدف انتزاع اعترافات منه بكافة أنشطة حزب البعث ومخططاته، إلا أنه لم يعترف بشيء ذي أهمية، ونظرا لصموده وشجاعته قررت قيادة الحزب في سوريا تعيينه أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث وهو لا يزال سجينا، إلا أنه تمكن من الفرار من السجن في إحدى جلسات محاكمته وتوارى عن الأنظار، وقام بإنشاء نظام أمني سري داخل حزب البعث عرف بـ"جهاز حنين" ضم نخبة مختارة من القتلة والسفاحين والمجرمين، احتل من تبقى منهم قيادة أجهزة صدام الضاربة فيما بعد، وشارك هذا الجهاز في تنفيذ عمليات إجرامية ضد المواطنين، وقام بشن هجمات مزعجة على مقرات الحكومة.

في عام ١٩٦٦ قتل عبد السلام عارف في حادث مروحية غامض وتولى الحكم بعده شقيقه عبد الرحمن عارف، الذي لم يلبث في السلطة سوى سنتين فقط، ففي يوليو من عام ١٩٦٨ تمكن البعثيون من الاستيلاء على مقاليد الأمور في انقلاب عسكري، وكان صدام على أول دبابة مقتحمة للقصر الجمهوري، وتولى مراقبة القصر واحتجاز الجنود الموالين لعارف، وبعد ساعات أعلنت الإذاعة العراقية أن حزب البعث العربي الاشتراكي أصبح الحزب الحاكم في العراق، ومن هذا التاريخ دخل العراق نفق الجحيم الذي امتد لخمسة وثلاثين عاما.

بعد استتاب الأمور لصالح البعثيين، عين أحمد حسن البكر رئيسا للجمهورية، فيما كلف صدام برئاسة جهاز الأمن القومي وكان عمره وقتها ٣١ سنة.

صدام حسين ما قبل سلطة الرئاسة

بدأ صدام بالاستحواذ على السلطة بسرعة جنونية، فبالإضافة إلى قيادته للحرس القومي أصبح مسئولا عن إدارة شئون الفلاحين، ثم إدارة التربية والتعليم في الحزب، وما لبث أن أصبح نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة ليصبح لقبه "السيد النائب" طوال فترة السبعينات الميلادية.

وكان تحت سيطرة صدام "مكتب العلاقات العامة" الذي كان نواة لمديرية المخابرات العامة لاحقا، وقد مارس رجال صدام في هذا المكتب تصفيات جسدية ونفذ عمليات خطف وتعذيب وتغييب لكل من يشك في ولائه لصدام أو البكر، سواء من داخل حزب البعث أو خارجه.

لقد قام مكتب العلاقات بواجبه خير أداء، فقد قام بعمليات تصفية للمعارضين من البعثيين بحوادث دهس وسحق بسيارات كبيرة، ومعظم عمليات التصفية كانت تتم في الليل أثناء عودة الأهداف إلى بيوتها، وكان صدام وأعضاء مكتبه يقومون بعد التصفية بواجب العزاء!

فيمشون في جنازات ضحاياهم، ويحضرون مجالس عزائهم، ويعدون ذويهم بالقبض على الجناة وتقديمه للعدالة!

وكان صدام يستخدم أساليب قذرة لتصفي المعارضين له، قبل الإقدام على اغتيالهم، فكان يبث شائعات عن تهم أخلاقية كإقامة بعضهم علاقات مع شبان أو بنات ليل، وأحيانا كان ينشر لهم صورا مفبركة، وقد راح ضحية هذه الأساليب العشرات من أعضاء الحزب.

وقد ابتدع صدام وأعوانه ما يمكن تسميته بـ"عقوبات ما بعد الإعدام" إذ أن الإعدام ليس كافيا كعقوبة للخيانة والتآمر! فلا بد من عقوبات إضافية! منها تعليق جثة المعدوم بضعة أيام في الشوارع العامة، أو وسط بعض الاحتفالات الرسمية والشعبية!، ومصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة، وإمكانية شمول عقوبة الإعدام لاقارب المعدوم، أو الحكم عليهم بعقوبات مشددة، ومنع إقامة مجلس عزاء له، وإلغاء قيده من السجلات والوثاق المدنية، وإجبار ذويه على تقديم اعتذار مكتوب للسلطة عن جناية المعدوم، وتغريمهم ثمن الرصاص الذي أعدم به!

ثم اهتدى جلادو الطاغية إلى ابتداع أساليب جديدة لتنفيذ أحكام الإعدام بحق المعتقلين، فكانوا يعدمون ضحاياهم بالسم وأحيانا بالسيف حيث يقطعون أجسادهم تدريجا حتى الموت، وبعض الضحايا يلقونهم من أسطح البنايات العالية، وبعضهم يضعونهم في أحواض الكبريتيك المركزة التي تذيب اللحم والعظام خلال ساعات قليلة، يكون الضحية خلالها في أحلك وأتعس أيام حياته وفي عذاب اليم لا بداية ولا نهاية له، لا يتخلص منه إلا بعد فناء جسده وتحوله إلى عدم.

أما المعدومون الذين تسلم أجسادهم لذويهم، فكانت أجهزة صدام الأمنية تسلم تابوت يضم جسد المعدوم وعليه عبارة "خائن للوطن"، أما الذين لا تسلم اجسادهم لموتهم مقطعين أو تحت التعذيب أو بحمض الكبريتيك فيسلم ذووهم رقم قبر!، ويحدد لهم يوم لزيارة المقبرة الخاصة التابعة لأجهزة الأمن.

وكان صدام يشرف أيضا على معتقل رهيب يدعى "قصر النهاية" وهو القصر الذي صفي فيه أعضاء العائلة الحاكمة في العراق، وقد تحول مع وصول البعثيين إلى الحكم عام ١٩٦٨ إلى مكان مرعب، نزل فيه مئات المعتقلين وتم تصفية معظمهم بأساليب يعجز القلم عن ذكرها، وقد عمل في هذا المعتقل حفنة من خبراء التعذيب الذين جلبوا من الدول الشيوعية، واستوردت له خصيصا أجهزة فنية متقدمة يقوم عليها فريق مدرب على وسائل التعذيب وأكثرها فتكا، منها مفرمة كهربائية ذات سكاكين ضخمة لتتمكن من تقطيع الأجساد البشرية إلى قطع صغيرة جدا، وقد أمر صدام بأن لا يتم التخلص من أجساد المعتقلين بعد تقطيعها بل تتخذ كطعام للأسماك في بحيرات القصور الرئاسية!

وكانت باكورة جلادي المعتقل حمام دم بحق مجموعة من النخب العراقية الغير موالية للحزب والسلطة، والتي خاف صدام من أن تكون عناصر تشكل خطرا على سلطة الحزب، كما قتل في المعتقل مئات الضباط والسياسيين ورجال الأعمال والطلبة ومن كافة فئات المجتمع.

كان جلاد معتقل قصر النهاية يأتي بالمعتقل ويربطه على الحائط، ثم يأتي إليه مجموعة من الجنود فيضربونه ببنادقهم حتى يحطموا جسده، وهو يستغيث ولا يغاث، ويتجرع كأس الموت فلا يذوقه! حتى يرحمه الجلاد فيطلق عليه رصاصة الخلاص! وأحيانا يترك في عذابه يوما أو أكثر ثم يقتل.

وأحيانا يحرقون بدنه دون الموت، فيتمناه فلا يجده! وبعد العذاب الأليم يشعل فيه النار ليموت!

وأحيانا يثقبون بعض أجزاء جسم الضحية كاليد أو الرجل، ثم يدخلون حبلا غليظ في الثقب، وبعد ذلك تبدأ حفلة تعذيب مرعبة، حيث يجر الحبل من الأطراف حتى يتقطع اللحم والجلد، لتموت الضحية على الفور.

في عام١٩٧٠ حكم على ٢٧٠ شخصا من منسوبي الحزب والحكومة والجيش بالإعدام لأدانتهم بالتخطيط لانقلاب بدعم أمريكي و إيراني، ونفذت مجزرة الحكم في قصر النهاية.

وفي عام ١٩٧٢ دبر صدام مع معاونيه محاولة لاغتيال الملا مصطفى البرزاني (زعيم المعارضة الكردية المسلحة في شمال العراق)، فأرسل مجموعة من رجال الدين الأبرياء للتفاوض معه، إلا أن إحدى حقائب الوفد كانت تحتوي على قنابل معدة للانفجار عن بعد، وعندما اجتمعوا معه انفجرت القنابل فقتلوا على الفور، إلا أن البرزاني لم يصب بسوء، وذهب هؤلاء الأبرياء ضحايا لصراع لا ناقة لهم فيه ولا جمل، إلا أن الطغاة أمثال صدام لا تهمهم حياة أي إنسان مهما كان، فهم لا يرون في الدنيا سوى أنفسهم، ولو كان بيدهم لأوقفوا عجلة الحياة ساعة رحيلهم عنها.

في حديث مسجل له قال صدام عام ١٩٧٨: إن كل من يقفون بوجه الثورة مهما بلغ عددهم سوف يقص رؤوسهم من دون أن ترتجف شعرة واحدة منه أو يشفق قلبه على أي واحد منهم، وقد نفذ صدام قوله بالفعل، ففي عام ١٩٧٩ فاجأ صدام الأعداد الهائلة من المجتمعين في قاعة الخلد ببغداد في مشهد درامي وهو يذرف الدموع عن اكتشاف مؤامرة للإطاحة بنظام الحكم في العراق بدعم من سوريا، تلا صدام أسماء المتورطين، وكان

كل من يذكر اسمه يأخذه الجنود لخارج القاعة واحدا تلو الآخر ليعدم على الفور رميا بالرصاص على مسمع المجتمعين في داخل القاعة، مما أدى إلى إعدام العشرات من أعضاء القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة، وحكم على عشرات آخرين من الوزراء والشخصيات السياسية والحزبية والعسكرية بالسجن لفترات طويلة، وقد توفي العديد منهم في المعتقلات والسجون، ثم إن (صدام) لم يكتف بأحكام الإعدام فقد أمر بأن يقوم رفاق بتنفيذ أحكام الإعدام في رفاق لهم للشك في كونهم متآمرين على الحزب!، وأن يحضر عمليات الإعدام بعض الرفيقات، وأن تكمم أفواه المحكوم عليهم وأن لا يسمح لهم حتى بنطق الشهادة.

****

لقد ظل صدام في منصبه كنائب لرئيس مجلس قيادة الثورة لمدة عشر سنوات، وكانت كافية جدا لتنفيذ كل ما يريده ليصبح سيد البلاد وحاكمها المطلق، وخلال هذه السنوات مد نفوذه لأبعد مدى، وسيطر على عشرات الأجهزة الحكومية وعين العشرات من أقربائه في كافة دوائر ووزارات الدولة، وبنا أجهزة أمنية مرعبة يشرف عليها بشكل مباشر، كانت له بمثابة عيون لا تنام في كل مكان من العراق، ويصر معظم المحللين والكتاب والخبراء العراقيين والدوليين أن صدام والبكر والقادة الكبار مسئولين بشكل مباشر عن كافة عمليات الإعدام والجرائم الوحشية والمقابر الجماعية التي ارتكبها النظام العراقي منذ تولي حزب البعث السلطة عام ١٩٦٨.

بحلول عام ١٩٧٤ كان صدام قد تمكن من الاستحواذ على مجالس التخطيط، والتربية، والشؤون الاقتصادية، والنفط، ولجان المخابرات العامة، والأمن القومي، والمكتب العسكري، والطاقة الذرية، والثقافة والإعلام، والبحث العلمي، واللجنة العليا لشؤون الشمال، وكانت هذه

المجالس واللجان بمثابة الهيئات التشريعية والقيادية للوزارات والأجهزة في الحكومة وأجهزة الأمن، وبنهاية عقد السبعينات تمكن صدام من الوصول إلى قمة هرم السلطة وأصبح رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس قيادة الثورة والقوات المسلحة، بعد أن تمكن خلال خلال السنوات السابقة لرئاسته من القضاء على مئات المعارضين والمناوئين له داخل الحزب أو خارجه، علاوة على مقتل مئات آخرين من أبناء الشعب العراقي تعرضوا لملاحقة واعتقال أجهزته الأمنية الضاربة لأسباب مختلفة لا تعد ولا تحصى، وما أن تولى صدام السلطة عام ١٩٧٩ حتى كان المسئول الأول عن مقتل آلاف العر اقيين من شمال العراق إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه، في الحلقة الأولى من حلقات الرعب والدم التي عاشها العراق طيلة خمسة وثلاثين عاما من حكم فرعون بغداد التي لم تنجب له بلاد الر افدين مثيلا.

صدام حسين في سدة الحكم

في يوليو ١٩٧٩ أجبر صدام الرئيس أحمد حسن البكر على تقديم استقالته، بعد أن أصبح فعليا بلا صلاحيات ولم يبقى له إلا الاسم، في التلفزيون أعلن عن استقالة البكر لأسباب صحية وأن نائبه صدام حسين استلم مناصب قيادة رئاسة الجمهورية ومجلس قيادة الثورة والقوات المسلحة، وأمر صدام بفرض إقامة جبرية على البكر، وظل في منزله لا يبارحه حتى أمر صدام بتصفيته، كما يقول علي الندى شيخ عشيرة البيجات وشقيق زوجة البكر لموقع الرياض الإلكتروني المنشور في ٢١ فبراير ٢٠٠٧ العدد ١٤١٢١: إن الطبيب المر افق للبكر الدكتور فائق الجبوري الذي كان يعمل لصالح المخابرات العامة قد حقن البكر بإبرة غلافها الخارجي هو الأنسولين ولكن لا نعلم ما بداخلها، وبعد ربع ساعة سقط في الحمام وقد فارق الحياة.

وكما قال حسين كامل بعد هروبه إلى الأردن: إن البكر مات مسموما بالثاليوم.

وخلال فترة حكم صدام بصفته رئيسا للجمهورية والتي استمرت أربعة وعشرين عاما، قتل الآلاف من أبناء الشعب العراقي عبر القبضة الأمنية للنظام، من مختلف الشرائح والانتماءات والطبقات، بخلاف عشرات الآلاف من الذين قتلوا في الحروب المدمرة والحصار الاقتصادي الذي تسبب به، لتكون حصيلة من قتلهم صدام حسين أو تسبب في قتلهم طوال حياته أكثر من مليونين إنسان من شعوب العراق والكويت وإيران، علاوة على مئات المواطنين العرب الذين قتلوا في العراق لأسباب مختلفة ومتعددة. (بلغ عدد المقابر الجماعية المكتشفة في العراق بعد سقوط نظام صدام ٣٠٠ مقبرة، تضم أكثر من ٤٠٠ ألف قتيل).

ولو سعي لتوثيق هذا السيل الجارف من جرائم صدام ضد الإنسانية لما كفيت مجلدات ولنفذ الحبر والأوراق، وما انتهينا بعد من كتابة ما ارتكبه هذا الطاغية الذي فاق من سبقوه من طواغيت العراق في الجبروت والطغيان، وسفك دم الإنسان أكرم مخلوقات الله على وجه هذه الأرض.

مع تسلمه للسلطة المطلقة أعلن صدام اكتشاف مؤامرة ضد نظام الحكم دبرها بعض قادة حزب البعث من بينهم خمسة من أعضاء القيادة القطرية، وألقي القبض على ٥٠٠ من كوادر الحزب والحكومة والجيش، وأعدم معظمهم، وقد سميت هذه الإعدامات بحملة التطهير، فقد كان مجرد الشك بولاء الطاغية يكفي لتنفيذ حكم الإعدام بحق المتهم من دون محاكمة، وكان صدام لا يكترث حتى بموت جنود الجيش العراقي، فكان يقتل كل من يشك في ولائه من غير تردد، ونقل عنه في حرب إيران قوله:

إن الجنود الذين يقاتلون في الجبهة هم من الشيعة، والجنود الإيرانيين من الشيعة أيضا، فليقاتلوا بعضهم البعض وليذهبوا جميعا إلى الجحيم!

- ذات مرة استيقظ جندي بسيط من نومه مذعورا على إثر حلم مزعج، فاستجوب بعد عدة ساعات عن تفاصيل ما شاهده في منامه، ولكنه لم يجب، فأصر ضابط التحقيق عليه أن يروى له ما رآه في منامه! فحكى له قصة آخر حلم في حياته! فقد حلم أن (صدام) قد أقصي عن الحكم وخسر العراق الحرب، حينها كتب الضابط حلم هذا الجندي المسكين ولما بلغ صدام قصة الحلم أمر بإعدام الجندي من دون محاكمة!

لقد كان نظام صدام عبارة عن طاحونة موت لا تتوقف لأنها إن توقفت للحظة لن تعود للدوران مرة أخرى!

- في عام ١٩٨٢ أعدم وزير الصحة رياض الحاج حسين بعد عزله بفترة قصيرة لمطالبته صدام علانية بالتنحي عن السلطة ولو شكليا حتى يمكن إيقاف الحرب مع إيران.

- يقول الدكتور علاء بشير في كتابه (كنت طبيبا لصدام): (كان التاتار طبيب أمراض جلدية، وكان واحدا من الفريق الطبي الخاص بالرئيس، أما السلمان فقد كان واحدا من أفضل أطباء الأطفال في العراق.

وفي أحد الاحتفالات التي كان يعمها جو من الفرح والمرح، ألقي الطبيبان بعض النكات البريئة التي لا تخلو مع ذلك من إيحاءات خادشة للحياء العام عن صدام حسين، وكانت عن تطبيق قواعد جديدة أكثر صرامة لمكافحة الإيدز، كان كل منهما معروفا بحبه للدعابة دون تحفظ، لكنهما لم يعرفا أن واحدا من المشاركين في الاحتفال كان ممن يتعاونون بشكل واضح مع رجال الأمن، حيث سلط كاميرا الفيديو الخاصة به عليهما خلسة.

أحضر التسجيل إلى الرئيس الذي أمر علي الفور بإعدام كلا الطبيبين لأنهما شهرا به.

وأعدمت أجهزة صدام الأمنية الفنان صباح السهل بعد أن تحدث عن فضائح الطاغية وأعوانه في جلسة أمام زوجته عندما كان مخمورا.

- ولم يسلم حتى ابن خال صدام وزير الدفاع السابق عدنان خير الله من طغيانه، فقد وصل إلى مسامعه أن له شعبية كبيرة في أوساط الجيش والشعب وأنه قد يشكل خطرا عليه، فدبر له حادثة تحطم طائرته الهيلوكبتر أثناء عودته بها عودته من شمال العراق عام ١٩٨٩. (في حديث صحفي لإلهام خير الله شقيقة عدنان وساجدة، قالت فيه إن عدنان يحدثها كم كان ضميره يعذبه عندما كان يتلقى أوامر تنفيذ أحكام الإعدام من صدام، فقد كان معظمها أحكام تعسفية يصدرها صدام شخصيا بحق العسكريين بناء على قناعات وتقديرات شخصية، وبناء على توصيات من مسئوليه المقربين، ولم تكن صادرة عن محكمة عسكرية مسئولة تمضي أحكامها وفقا للقانون، وكان يطلب مساعدتها على التفكير بطريقة يقنع بها صدام بتغيير أحكام الإعدام التي يصدرها).

- وأشرف صدام على تعذيب عضو حزب البعث ناظم كزار (قبل إعدامه) لأنه بصق على وجهه في أحد الاجتماعات.

- ذكر وفيق السامرائي في كتابه *حطام البوابة الشرقية*: (كتب الفريق الركن صابر الدوري مدير الاستخبارات مذكرة إلى صدام يفيد فيها، ونقلاً عن الفريق الطيار الركن الحكم الحسن العلي، بأن الفريق ثابت سلطان التكريتي قال في مجلس خاص للشرب في نادي كركوك العسكري: لا ندري لمن نقول سيدي ونودي التحية هل لرئيس العرفاء علي حسن المجيد

(ابن عم صدام) أو للعريف حسين كامل (صهر صدام)؟ والاثنان منحا رتبة فريق أول ركن.

وعلى الفور ومن دون تحقيق أو حتى استفسار أو توضيح من الفريق ثابت تم تنزيل رتبته إلى رتبة عميد ركن، ونقله من معاون رئيس أركان الجيش للعمليات إلى آمر اللواء، ثم أحيل إلى التقاعد بوساطة من عمه الشيخ أمين شهاب، بعدها اعتقل لعام كامل، وفي العام ١٩٩٣ اختطف من أحد شوارع بغداد على يد عناصر الأمن الخاص و اقتادوه إلى جنوب بغداد في منطقة زراعية، وهناك قتل برصاصتين واحدة في رأسه والأخرى في نحره، ووضعت هويته الشخصية على صدره، أما عمه الحاج أمين شهاب فلم يسلم هو الآخر من صديقه صدام، فقد حرضت المخابرات أحد الفلاحين السودانيين في مزرعته على قتله فقتله، وجرى قتل الفلاح السوداني في الوقت نفسه وطمست الجريمة.

- اللواء الطيار مظلوم الدليمي:

أُلقي للكلاب الجائعة فالتهمته حتى الموت لإدانته بالتآمر على النظام.

- علاء سليمان المجيد:

ابن عم حسين كامل الذي انشق على صدام وعاد إلى العراق عام ١٩٩٦ ليلاقي مصرعه، علاء ظل في عمان ولم يعد معه، إلا أن المخابرات العراقية خطفته وأعادته إلى بغداد وحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص على أن ينفذ الحكم أشقاؤه الثلاثة بعد ربطه على جذع نخلة.

- إعدامات إعدادية الكاظمية عام ١٩٨٣:

نشرت إحدى صحف المعارضة العراقية في المهجر خبرا عن تنفيذ حكم الإعدام بصف في إعدادية الكاظمية في عام ١٩٨٣، بسبب كتابة شعار "يسقط صدام" على سبورة الصف.

حيث ذكرت: (إن طلاب الصف الرابع – الشعبة –د– في إعدادية الكاظمية كانوا قد دخلوا الصف ليجدوا أن شخصاً قد خط على السبورة عبارة يسقط صدام حسين، فساد الارتباك صفوف الطلبة وجرى إبلاغ إدارة المدرسة التي اتصلت بالجهات الأمنية وحضرت على الفور مفرزة أمنية اعتقلت جميع طلاب الصف وأخذتهم للتحقيق في مديرية أمن الكاظمية ثم أمن بغداد، وذكرت الصحيفة أن الطلبة تعرضوا للتعذيب لكن المحققين لم يتوصلوا إلى معرفة الشخص الذي كتب هذه العبارة، فصدر بحق جميع طلبة الشعبة أمر الإعدام شنقاً حتى الموت! وتم تنفيذه فعلاً في تواريخ مختلفة من حزيران وتموز عام ١٩٨٣، وأشارت الوثيقة إلى أن الطلاب الذين أعدموا لم يتجاوز عمر أكبرهم الـ١٧ عاما.

- ذكر طالب الحسن في كتابه *حكومة القرية*: (إن فليح حسن الجاسم قال له: إن صدام مجرم، وهي أول كلمة اسمعها من بعثي كبير وصل إلى القيادة القطرية وفي داخل العراق.

ثم أضاف فليح: كنت أناقش كثيراً في اجتماعاتنا في القيادة القطرية ومجلس الوزراء وأرد على الأفكار الخاطئة، وبعد كل اجتماع كان محمد محجوب الدوري يمسك بيدي ويقول لي: يا أبا محمد أترك النقاش لأن هؤلاء مجرمون، ولا يتحملون نقدك، وسوف يقطعون رأسك. ثم يضيف قائلاً: يا سبحان الله كان محمد محجوب يحذرني من هولاء المجرمين ويخشى علي أن يقطعوا رأسي فقتلوه.

يقول الحسن: ولكنهم لم يهملوا فليح حسن الجاسم فلاحقته مجموعة تابعة للسلطة، وأطلقت عليه النار وأردته صريعاً قرب محطة تعبئة البنزين في مدينة المقدادية، وبقيت جثته تحرقها الشمس يوما كاملا، ولم يقترب منها أحد خشية بطش السلطة.

- الدكتورة فاطمة الحسن: أشرف صدام شخصيا على تعذيبها وإعدامها بعد أن أهانته وهي في الزنزانة، أثناء تفقده للمعتقل الذي كانت فيه.

- محسن الشعلان: عضو في البعث، أعدمه صدام بتهمة استمرار علاقته مع شقيق أحد المعدومين، خلافا للتعليمات التي تقضي بمقاطعة أسرهم.

- الفريق عمر الهزاع: ضابط سابق في الجيش، وضع تحت المراقبة، وقيل: إن بعض جلسائه سجلوا له قولا فاحشا في صدام حيث قال: إن (صدام) مجهول الأب، وإن أمه صبحة قد ضاجعها الكثير من التكارتة فكيف يكون ابنها رئيسا للبلاد؟

فأعدم مع ولديه بعد قطع لسانه وهدم منزله.

- الدكتور راجي التكريتي: أعدم بتقديمه كطعام للكلاب المتوحشة، فألقي إليها بعد تجويعها عدة أيام، فمزقت راجي وهو حي حتى التهمته ولم يبق منه سوى العظام.

- راهي الحاج عبد الواحد سكر: أعدم في قصر النهاية صعقا بالكهرباء، ولما سلمت جثثه منع تشييعه من قبل الرجال، لذا تولت نساء عائلته تشييعه ودفنه.

- الفريق جردان التكريتي: عين سفير في المغرب، ولكنه انشق عن النظام على الرغم من أن زوجته وأبناء الستة لا يزالون في العراق، وسمحت السلطات لهم بالسفر بعد أن تم حقن الزوجة بسم قاتل، فماتت وهي على متن الطائرة، واستقبل جردان زوجته جثة هامدة.

ثم إن سلطات صدام حاولت قتله جردان حتى تمكنت منه وهو في الكويت، بأمر مباشر من صدام شخصيا، وبعد اغتياله اعتقل ما لا يقل عن ٣٠٠ ضابط ومدني من أصدقائه ومعارفه، أعدم ما لا يقل عن مائة منهم.

- جابر حسن حداد: محافظ سابق لكربلاء، عذب في قصر النهاية طعنا بالخناجر والسكاكين، وقطع الجلادون أذنيه وبقروا بطنه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

- اللواء الركن عصمت صابر معاون قائد قوات الخليج. واللواء الركن بارق عبد الله الحاج: من قادة الجيش العراقي الذي احتل الكويت، مصيرهم الدموي يرويه سعد البزار في كتابه *الجنرالات آخر من يعلم*: (عاد من الكويت ثلاثة ضباط كبار وهم الفريق الركن كامل ساجت قائد قوات الخليج العربي التي سيطرت على الكويت، واللواء الركن عصمت صابر عمر مدير صف القوات الخاصة ومعاون قائد قوات الخليج، واللواء الركن بارق عبد الله الحاج حنطة رئيس أركان تلك القوات..

بعد انسحاب الجيش العراقي الغير منظم من الكويت تحت وابل نيران وقذائف الطيران الأمريكي البريطاني المركز، مكث الفريق ساجت في البصرة حيث انقطع عليه سبيل العودة إلى بغداد بعد سقوط سيطرة الدولة على المدينة.

أما اللواء عصمت واللواء بارق فوصلا بغداد، حيث أمرهما الرئيس صدام الذهاب إلى كردستان لتحمل مسؤولية أخرى جديدة، لكنهما كانا يفكران على نحو مختلف، فقد عادا من الكويت محملين بمشاعر الهزيمة والمذلة وكانا –على طول الطريق من البصرة إلى بغداد- يتحدثان أمام ضباط آخرين عن خطأ احتلال الكويت وسوء أسلوب الانسحاب وتوقيته.. قال عصمت في طريق العودة إلى بغداد: لقد ورطنا قادتنا.

أما بارق فقال: انتهت مهمة الكويت وعلينا الآن أن ننجز المهمة الأكبر في بغداد... وعلم الرئيس بحديث الضابطين، فغضب عليهما.. ثم اتهمها بالانسحاب من الكويت قبل صدور الأوامر إليهما تاركين جنودهما عرضة للهلاك.

واستدعي الضابطان من شمال البلاد ليمكثا في مقر مديرية القوات الخاصة، ثم جاء من يقول لهما أنهما مدعوان على العشاء في القصر الجمهوري.. دخل عليهما الرئيس مع عدد من حراسه، وكانا قد قيدا في أيديهما وأنزلت أغطية الرأس العسكرية عنهما وبقيا بملابس القوات الخاصة..

وبادرهما صدام بالقول: ها أيها الخونة.. فقال بارق: سيدي لست خائناً ولا جباناً، أنا بطل معركة أم الرصاص، إنني من أبطال الحرب مع إيران، وأنا مخلص لك.. فقاطعه عصمت: اسكت يا بارق لسنا نحن الخونة. وكان قرار إعدامهما قد اتخذ قبل أيام من هذه اللحظة... بانتهاء اللقاء تناوب أفراد من الحرس على تفريغ جسدي الضابطين من أحشائهما حتى خرا كتلتين من لحم غارق بالدم).

- حسين كامل حسن المجيد: أحد أبناء عمومة صدام وزوج ابنته الكبرى رغد، شغل مناصب وزير الدفاع، ووزير الصناعة والإنتاج الحربي، ومسئولا عن تطوير أسلحة العراق الغير تقليدية، ومشرفا على وزارة النفط، إلا أنه دخل في صراع على السلطة والنفوذ مع عدي نجل صدام الأكبر، فهرب للأردن مع زوجته وأبنائه وشقيقه صدام كامل وآخرين، وطلب اللجوء السياسي، وبعد عدة أشهر أجرى اتصالات مع الحكومة العراقية، أسفرت عن إصدار عفو رئاسي عنه، فعاد إلى العراق، وبعد عدة أيام جرت تصفيته مع شقيقه صدام ووالده وكل أتباعه.

- محمد أحمد حسن البكر: ابن الرئيس البكر، على الرغم عن بعده التام عن أي نشاط سياسي من أي نوع، إلا أن انتسابه لوالده الرئيس السابق تهمة كافية لقتله، فدبر له حادثا أودى بحياته وحياة زوجته وإخوتها.

- إعدام عماد: عماد فتى في الخامسة عشرة من عمره، كان يسكن في حي الكرخ، توفي أبوه في إحدى معارك الحرب المجنونة التي ورط صدام بها العراق، لم يتمالك أعصابه، فكتب على الجدران شعارات مناوئة للنظام، حضرت فرقة من الأمن وضبطت الكتابات وأجبرت شبان الحي على كتابة سطور في ورقيات صغيرة، لتقارنها بخط الشعارات، وبعد عدة أيام اعتقل عماد، وأحيل للمحكمة وصدر بحقه السجن المؤبد، نظرا لصغر سنه، إلا أنه في يوم ما اتصل رئيس المحكمة بصدام وأخبره عن قضية عماد، فطلب منه إعادة المحاكمة والحكم عليه بالإعدام، ليكون عبرة للآخرين، توسل به رئيس المحكمة أن ينسى الموضوع وأن الإعدام لا يصدر بحق الأشخاص الأقل من ثمانية عشر عاما، إلا أن صدام أجابه:

القانون يعدل ما دام الهدف وضع حد لكل من تسول له نفسه التطاول على رئيس الدولة والحزب.

وقد دعي كل أهل الحي لحضور حفل تنفيذ حكم الإعدام به وهددوا بأن الذي لا يحضر سوف يعاقب عقابا شديدا، ونفذ الحكم في عماد في مكان لا يبعد سوى أمتار عن بيته الذي انفجر فيه بكاء ونحيب مدوٍّ.

إعدام المذيعة العراقية راجحة: مذيعة عراقية كانت تعمل في عقد الثمانيات في جهاز الإذاعة العراقية، في يوم ما كانت في اجتماع للمذيعين، فتح أحدهم الإذاعة التي كانت تذيع أغنية من كلماتها: رئيسنا غالي. وبعفوية قالت راجحة: لماذا لا يسعرونه ما دام غاليا؟!

وبعد عدة أيام اعتقلت من منزلها، وسجنت في قصر النهاية، وبعد تحقيق قصير، اعترفت بأنها قالت نكتة في حق الرئيس القائد!، بعد عدة أيام أبلغت بأن المحكمة حكمت عليها بالإعدام، انهارت وأغمي عليها، وعندما استفاقت طلبت رؤية ابنتها كأمنية أخيرة، وفي اليوم التالي نفذ فيها حكم الإعدام رميا بالرصاص بتهمة إهانة رئيس الجمهورية.

مجازر صدام بحق رجال الدين والمجتمع الديني العراقي

ارتكب الطاغية المقبور صدام حسين جرائم مهولة ضد رجال الدين والمجتمع الديني في العراق، فقد كان حقده على الحوزة الدينية ورجال الدين والمجتمع الديني أكثر من حقد الشياطين على بني آدم، ومنذ وصوله إلى سدة السلطة وحتى سقوطه وهو يمارس أبشع الجرائم والمجازر ضد المجتمع الديني، نستعرضها بشكل موجز فيما يلي:

قتله للشيخ عبد العزيز البدري (أحد علماء الطائفة السنية في العراق، كان خطيبا وواعظا وله عدة مؤلفات) عام ١٩٦٩، وذلك عندما هاجم حكومة البكر في إحدى خطب الجمعة، حيث تساءل قائلا: كيف يقبل البكر الاعتماد على عناصر لها ماض عريق في الإجرام؟ كيف يعهد بالمسئولية الأمنية إلى مجرمين محترفين أمثال صدام حسين و ابن كزار؟

سجلت له هذه الخطبة وسمعها صدام، فجن جنونه وأمر باعتقاله على الفور، ظل في المعتقل عدة أيام، وفي ليلته الأخيرة جاءه صدام وجرت بينهما مناقشة عنيفة، حتى قال البدري لصدام: أنت قاتل محترف.

لم يتمالك صدام أعصابه، فخرج من مقر التحقيق، ودخل بدلا منه شقيقه برزان، وأشرف على تعذيبه تعذيبا شديدا، وقطعت أجزاء من جسده، ثم قطع لسانه، ليلفظ أنفاسه الأخيرة، ثم حمله الجلاوزة ورموا جثمانه أمام باب منزله.

قتله للسيد محمد باقر الصدر وأخته آمنه المعروفة ببنت الهدى عام ١٩٨٠، بعد تعرضهما لتعذيب وحشي رهيب، تنفيذا لقرار صادر من مجلس قيادة الثورة بإعدام كافة المنتسبين لحزب الدعوة والمروجين لفكره بأثر رجعي ومن دون محاكمة.

القتل الجماعي لعائلات علمائية معروفة بعراقتها في الأوساط الدينية العراقية مثل آل الحكيم، التي أنجبت المرجع الديني الكبير السيد محسن الطبطبائي الحكيم، الذي يعد من كبار فقهاء المرجعية الدينية الشيعية، وقد أعدم من هذه العائلة ثمانية عشر من رجال الدين والشباب المؤمن، منهم نجل المرجع الحكيم السيد مهدي الحكيم الذي اغتيل في السودان عام ١٩٨٨.

اغتيال العلامة السيد حس الشيرازي في بيروت عام ١٩٨٠.

اغتيال المرجع الديني محمد صادق الصدر عام ١٩٩٩.

بلغ عدد رجال الدين الذين قتلوا في عهد صدام أكثر من ١٨٢ رجل دين على الأقل.

في عام ١٩٧٧ اندلعت انتفاضة صفر، نتيجة لمضايقات النظام البعثي للمجتمع الديني، وفي صفر من ذلك العام قررت حكومة البعث منع المواكب الحسينية من السير من النجف إلى كربلاء، على جري عادتها كل عام، فاندلعت المواجهات والتظاهرات، وكان المتظاهرون يرددون شعارات الموت لصدام، والموت للبكر، وقد أسفرت الانتفاضة عن إعدام العشرات من الشبان العراقيين الأبرياء.

كما أقدم النظام الصدامي المقبور على تشريد الآلاف من العراقيين إلى إيران، بدعوى أنهم إيرانيون، وكانت حملات تهجير رهيبة، ذاق فيها المهجرون ألوان العذاب، وتوفي العديد منهم في الطريق إلى إيران.

جرائم صدام الكبرى بحق العراقيين وشعوب المنطقة

أقدم صدام ونظامه على ارتكاب جرائم كبرى مروعة بحق الشعب العراقي، وسرعان ما امتد طغيانه إلى خارج حدود العراق، فهذا طبع الطغاة الأزلي، ففي عام ١٩٨٠ شن حربا مدمرة ضد إيران، استمرت لمدة ثمان سنوات، قتل خلالها مليون قتيل من الطرفين، وآلاف الجرحى والمعوقين والمفقودين، وتسببت بمآسٍ إنسانية واجتماعية ضخمة، وأضرار اقتصادية هائلة في كل من العراق و إيران، حيث خسر العراق أكثر من ٥٠٠ مليار دولار، وبعد حرب الخليج الثانية أعلنت الأمم المتحدة أن العراق هو الذي بدأ الحرب و أنه الطرف المعتدي، و أقرت لإيران بتعويضات ضخمة.

- في عام ١٩٨٢ قام صدام بزيارة إلى بلدة الدجيل، و أثناء مرور موكبه بالبلدة تعرض لإطلاق نار من قبل أعضاء في حزب الدعوة الإسلامية، وحدث تبادل بين الطرفان، وبعد تطويق البلدة ومحاصرتها، أمر صدام بإعدام العشرات من أبناء البلدة، كما أمر بتجريف ألف كيلو متر مربع من الأراضي الزراعية والبساتين على الطريق الذي مر به لمنع استغلالها في عمليات معادية مماثلة، وقد تم القبض على ٣٩٥ من مواطني الدجيل من الذكور، و٣٩٤ من النساء والأطفال، وتعرضوا لتعذيب شديد، ومثل ١٣٨ من الذكور المحتجزين للمحاكمة بعد أن اعترفوا بمشاركتهم في محاولة الاغتيال، وأعدموا جميعا على فترات متلاحقة، وهذه الحادثة هي التي أدين بها الطاغية صدام بعد سقوط نظامه، وأعدم بناء عليها.

- في عام ١٩٨٨ قامت القوات المسلحة العراقية بحملة ضد المعارضة الكردية المسلحة في شمال العراق سميت بحملة الأنفال، بقيادة ابن عم الطاغية علي حسن المجيد، وسميت بالأنفال نسبة لسورة الأنفال القرآنية، التي تعني الغنائم والأسلاب، وقد احتوت البيانات العسكرية التي صدرت في هذه الحملة على آيات قرآنية من نفس هذه السورة!

نتج عن الحملة تدمير أربعة آلاف قرية، من أصل ٤٦٥٥ قرية في كردستان العراق،

ومقتل عدد يتراوح ما بين ٥٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠، من المدنيين، بينهم عدد كبير من النساء والأطفال.

وفي مارس من نفس العام قامت القوات المسلحة العراقية بهجوم بالأسلحة الكيميائية على مدينة حلبجة بكردستان العراق، بعد احتلالها من قبل القوات الإيرانية التي غادرتها قبل القصف بعد أن وصلتها معلومات مؤكدة أن العراقيين يستعدون للهجوم عليها بالأسلحة الكيميائية، إلا أن الجيش العراقي هاجم المدينة بالأسلحة الكيماوية الفتاكة على الرغم من انسحاب الإيرانيين، فقتل ما يقارب الخمسة آلاف مدني، وإصيب سبعة آلاف آخرين، علاوة على موت الآلاف من سكان البلدة في السنوات التالية، نتيجة تعرضهم لأمراض قاتلة سببتها الأسلحة الكيماوية، علاوة على عيوب خلقية تعرض لها المواليد، ونشوء أمراض مزمنة بين الأهالي، ونشرت الصحافة العالمية وتقارير المنظمات الحقوقية والصحية ذات الصلة روايات مرعبة عن هذه المجزرة الرهيبة التي أمر بها الرئيس العراقي صدام حسين.

- وفي عام ١٩٩٠ أقدم صدام على غزو الكويت، فكانت حرب الخليج الثانية، التي دمرت العراق تدميرا شاملا وهائلا، حتى أن توليد الكهرباء في العراق عاد إلى ما قبل عام ١٩٢٠، وطردت القوات العراقية من الكويت بعد أن دمر الجيش العراقي فعليا، الذي كان يعد من أقوى جيوش المنطقة، وعاد العراق على مختلف الأصعدة إلى الوراء عشرات السنين، وقتل من الشعب العراقيين مدنيين وعسكريين ما بين ٧٠ – ١٠٠ ألف نسمة، وخسر العراق مليارات لا تعد ولا تحصى، وعمليا خرج العراق من الحرب وقد لحقه دمار لا يوصف.

وقد أقدم الجيش العراقي وميليشيات البعث على ارتكاب جرائم مروعة في الكويت أثناء شهور احتلالها السبعة، قبل أن تطردهم منها قوات التحالف الدولي، وشملت هذه الجرائم اغتصاب عشرات الكويتيات، اللاتي حملن من مغتصبيهن، وكانت النتيجة ظهور مشاكل اجتماعية وإنسانية عويصة في المجتمع الكويتي، علاوة على إعدام عشرات الشبان الكويتيين، وخطف عشرات الكويتيين وإعدامهم فيما بعد في سجون العراق، وسرقة المتاحف والمتاجر والمعارض وكل شي له ثمن، وتدمير البنى التحتية للكويت، ولم تسلم حتى حاضنات الأطفال من السرقة، حيث أرسلت للعراق، وتوفي نتيجة ذلك عشرات الأطفال الخدج، وتقول مصادر منظمة العفو الدولية: إن القوات العراقية دفنت ١٢٥ طفلا كويتيا خديجا، علاوة على ١٥٠ طفلا آخرين من أعمار مختلفة، في مقابر جماعية في الكويت، نتيجة سرقة المعدات الصحية مما أدى إلى وفاتهم.

بعد الحرب ونتيجة للهزيمة المدوية للجيش والتدمير الهائل للعراق، قام مجموعة من العسكريين والمدنيين من مختلف فئات الشعب العراقي بانتفاضة ضد حكومة البعث، فخرجت البصرة وكافة مدن الجنوب عن سيطرة النظام العراقي في أيام معدودة، وامتدت الانتفاضة للشمال، حيث الأكراد، ودخلت الميلشيات المسلحة لحزب الدعوة والأحزاب الكردية في معارك طاحنة ضد القوات العراقية، وخرجت محافظات إقليم كردستان عن سيطرة صدام أيضا، وبلغ مجموع المحافظات المنتفضة أربع عشرة محافظة من أصل ثماني عشرة، فكان ٧٧% من الشعب العراقي منتفضا ضد الطاغوت الأرعن، الذي حشد قوات الحرس الجمهوري التي لم تدخل الحرب، وميلشيات حزب البعث، وألوية من الجيش العراقي، وتمكن من الحصول على موافقة قوات التحالف لاستخدام ما تبقى من قواته الجوية،

فتمكن من استعادة السيطرة على مدن الجنوب، كالبصرة وكربلاء والنجف والناصرية وغيرها، وقضى على الانتفاضة تماما بعد أن مارست قواته أبشع الجرائم وأكثرها دموية وإرهابا، حيث قتلت المئات من المدنيين بنيران الدبابات العشوائية، واستخدمت النساء والأطفال كدروع بشرية، ثم قامت بتنفيذ عمليات إعدام جامعية لآلاف المواطنين، واحراق العديد منهم وهم أحياء، كما جرت عمليات اغتصاب للنساء والأطفال، وقصفت المدافع مدن كربلاء والنجف، ودمرت أجزاء واسعة من المراقد الشريفة للإمام علي وابنيه العباس والحسين، علاوة على عشرات المواقع الدينية الأخرى، وتم هدم معظم الحسينيات والمساجد وتسويتها بالأرض، وتقول التقارير الصادرة في ذلك الوقت أن عدد قتلى الانتفاضة يقدر بثلاثين ألف شخص، تم دفن معظمهم في مقابر جماعية اكتشفت بعد سقوط النظام.

يقول لطيف يحيى في كتابه *كنت ابن للرئيس صدام*: إنه كان مع صدام عندما جاؤوا بعشرات المعتقلين من الشيعة، وكان صدام في غاية الهيجان والغضب، فأمسك بمسدس رشاش وأخذ يرديهم واحدا تلو الآخر، إلا أن صدام لم يهدأ، فجلبوا له دفعة أخرى منهم، وبدأ بحصدهم حصدا، حتى هدأ وانفرجت أساريره وهو يقول: عملاء أمريكا وإيران يريدون الإمساك بالسلطة.

وكاد النظام يقضي على انتفاضة الشمال أيضا، بعد أن قتل المئات من الأكراد، إلا أن مجلس الأمن أصدر قرارا بإقامة منطقة آمنة في شمال العراق، نشأ على إثرها إقليم كردستان العراق ذو الاستقلال الذاتي، وانفصل الأكراد عن العراق عمليا منذ ذلك التاريخ.

- قبل انهيار الجيش العراقي وانسحاب القوات العراقية من الكويت أمر صدام بحرق آبار النفط الكويتية، الأمر الذي نتج عنه كارثة بيئية كبرى،

فقد أحرقت القوات العراقية ٧٢٧ بئرا نفطيا، امتدت آثارها البيئية لليابان والصين، ووصلت السحب الدخانية الناتجة عنها إلى الولايات المتحدة، وتعرضت البيئة الصحراوية في الجزيرة العربية للتلوث، وانسكبت في مياه الخليج ما يزيد عن ١٢٨ بقعة زيت، ما نتج عنه نفوق آلاف الأطنان من الأسماك والكائنات البحرية الأخرى.

- بعد انتهاء حرب تحرير الكويت، كان العراق يرزح تحت وقعة حصار اقتصادي خانق، وفشل نظام صدام كعادته في إخراج العراق من هذا المأزق الخطير، بل إنه في عقد التسعينات كان يخوض ضد الولايات المتحدة مواجهات عبثية ، كلفت العراق المزيد من الخسائر في الأرواح والبنى التحتية، فيما كلف الحصار الاقتصادي العراقيين خسائر جمة لا يمكن تعويضها لعشرات العقود القادمة، فقد أدّى الحصار إلى هجرة أكثر من مليونين عراقي، وارتفعت معدلات الوفيات، لا سيما من الأطفال، فكان أكثر من ٤٥٠٠ طفل يتوفون شهريا، وبنهاية الحصار كان أكثر من مليون ونصف عراقي، نسبة كبيرة منهم من الأطفال قد لاقوا حتفهم، نتيجة نقص الغذاء والدواء، وضعف الخدمات الصحية، وانتشار أمراض السرطان المختلفة، علاوة على الأمراض الفتاكة الأخرى.

لقد أصبح العراق بلدا معزولا عن العالم وأكثر دول المنطقة تأخرا، ورجع في بعض المجالات إلى عصر ما قبل الصناعة، وحرم العراقيون من وسائل التكنولوجيا وكافة النظم الحديثة، ومعظم وسائل العصر الحديث، ونتج عن الحصار دمار إضافي في كافة أوجه الحياة، ولم ينته الحصار إلا بسقوط نظام صدام عام ٢٠٠٣.

في عام ١٩٩٢ أقدم صدام على ارتكاب مجزرة جديدة بحق شعبه، فبدل من العمل على إصلاح الاقتصاد العراقي المدمر، أمر بإعدام مجموعة

من التجار العراقيين بتهمة رفع الأسعار، فقام أزلامه باعتقال مائتي تاجر، وانتقوا ٤٢ منهم، وحكموا عليهم بالإعدام ومصادرة الأموال والممتلكات، وأطلق على هؤلاء الأبرياء بضحايا غضب الرئيس! فكانت فاجعة جديدة من فواجع بغداد ومأساة جديدة من مآسي الشعب العراقي.

- وفي سنوات الحصار في التسعينات الميلادية، وبدلا من العمل على إعادة إعمار العراق، أقدم صدام على ارتكاب جريمة جديدة من جرائمه بحق العراق، فقد أقدم على تجفيف الأهواز، حتى لا يكون مأوى لمسلحي المعارضة، فأمر بتحويل مساري نهري دجلة الفرات بعيدا عن الأهواز، مع نقل إجباري للسكان المحليين إلى مناطق أخرى، فلم يتبق سوى ٤% من إجمالي مساحتها بعد انتهاء عملية التجفيف التي دمرت الحوض الطبيعي لنهري دجلة والفرات، وقضت على البيئة في جنوب العراق وقلصت الإنتاج الزراعي للبلاد، وكل ذلك من أجل أن يحتفظ صدام بالسلطة، يقول كلاوس توبفر (المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة) عن هذه الجريمة: إنها لكارثة بيئية كبرى ستبقى في ذاكرة الإنسانية كواحدة من أسوأ الكوارث البيئية التي سببها إنسان.

في عام ٢٠٠١ هاجم تنظيم القاعدة الولايات المتحدة الأمريكية، باختطافه أربع طائرات مدنية، ضرب باثنتين منها برجي التجارة الدولي في ولاية نيويورك، فسقط أكثر من ثلاث آلاف قتيل، وهاجمت الطائرة الثالثة مبنى البنتاجون، فسقط أكثر من ٨٠٠ قتيل، بينما سقطت الطائرة الرابعة في الصحراء، بعدها بأسابيع معدودة بدأت إدارة الرئيس جورج بوش بما أسمته "الحرب على الإرهاب" التي تتضمن القضاء أو محاصرة الأنظمة الديكتاتورية في العالم الثالث والتي تشكل خطرا على الولايات المتحدة،

علاوة على تدمير المنظمات الإرهابية والمسلحة في مختلف أنحاء العالم، وكان نظام طالبان الهدف الأول، وذلك لاحتضانه قادة تنظيم القاعدة ورفضه تسليمهم، وسقط نظام طالبان بعد شهرين من القصف الجوي المركز، ثم إن الرئيس جورج بوش قال: إن في العالم محور للشر لا بد أن يحطم، يتكون من كوريا الشمالية و إيران والعراق، وكان النظام العراقي أضعف جزء في هذا المحور، ولعوامل عديدة ومصالح عميقة للولايات المتحدة في المنطقة، فقد قرر جورج بوش إسقاط النظام العراقي، وبدأت إدارته بشن حملات سياسية وإعلامية مكثفة ضد صدام ونظامه، وصدر قرار لمجلس الأمن يتوعد العراق بعو اقب وخيمة إن لم ينهي برامج تسلحه ويسلم كافة أسلحته الغير تقليدية، وقد استجاب صدام لكافة ما طلب منه، إلا أن الولايات المتحدة كانت عازمة على إسقاطه، وعلى الرغم من محاولات صدام المستميتة لثنيها عن غزو العراق وتقديمه كل تنازل ممكن لبقائه في السلطة، إلا أن الولايات المتحدة وحلفاءها كانوا قد قرروا دخول العراق وإنهاء نظامه.

لقد جاء إلى صدام من لا يرحمه مثلما لم يرحم شعبه طوال سنوات حكمه الطويلة المظلمة، لقد حل به عقاب ربه من حيث لا يحتسب، فرغم انعدام أي خطر داخلي على نظامه، نتيجة قمعه لأي معارضة وسحقه لأي خطر يتهدده، إلا أن الخطر الذي سيسقطه كان خارجيا، ولم يستطع له دفعا، فقد جاءه من أقوى دولة على وجه الأرض، وبسرعة لم يكن يتخيلها أو يعمل لها حسابا أو يعد لها عدة، وعلى الرغم من معارضة الكثير من دول العالم لغزو العراق، وعدم صدور قرار من مجلس الأمن باستخدام القوة ضد نظام صدام، إلا أن القوات الأمريكية هاجمت العراق في ٢٠٠٣، وبدأ بذلك العد التنازلي لسقوط نظام الطاغية، وعلى الرغم من معرفة صدام

المطلقة بأنه لن ينتصر في الحرب، وعلى الرغم من أن عددا من قادة الدول العربية والصديقة عرضوا عليه مغادرة العراق بسلام، وتجنيب شعبه ويلات الحرب، إلا أنه أبى واستكبر كعادته، ولم يهتم ببلاده وشعبه ولا بالدماء التي سوف تسيل، ولا بالمآسي التي سوف يتعرض لها العراقيون جراء دخولهم في حرب خاسرة جديدة (قتل من العراقيين في هذه الحرب ما يزيد عن مائة ألف مدني وعسكري، عدا خسائر العراق الاقتصادية والدمار الواسع النطاق).

وخلال ٢١ يوما سقط نظام صدام، ودخلت القوات الأمريكية بغداد، واحتلت العراق من جنوبه لشماله، ومن غربه إلى شرقه، وتبخرت القوات العراقية وكأنها لم تكن، وهجم العراقيون على تمثال صدام فأسقطوه واخذوا يركلونه بأحذيتهم، وتفرق البعثيون في كل مكان، وقبض عليهم واحدا تلو الآخر، فقد حل غضب الله على طغاة العراق، وأذن بعقابهم في الدنيا قبل الآخرة، وحان انتقام الشعب من جلاديه وقاتليه وحارميه من حقه في الحياة الحرة الكريمة.

قتل من البعثيين من قتل، واعتقل من اعتقل، وشردت عائلة صدام في عدد من البلدان، وقتل نجلاه عدي وقصي وأحد أحفاده، فأذاقه الله ما أذاق العراقيين من فقد الأبناء والأنجال، واعتقل وزراؤه واحدا تلو الآخر، ممن هم مسجلون في قوائم الاعتقال، أما هو فقد اعتقل وهو مختبئ في حفرة!... القائد الضرورة البطل المغوار عجز حتى عن قتل نفسه ليجنبها عار الاعتقال المذل، إلا أن الحق سبحانه وتعالى أنجاه في حياته الدنيا ليكون عبرة لمن لا يعتبر، وعاش بعدها صدام سنتين في ذل الاعتقال والمحاكمة، وحكم عليه بالإعدام هو وإخوته والعديد من أتباعه، وفي يوم ٢٠٠٦/١٢/٣٠ أعدم صدام حسين وتحول إلى جزء من التاريخ الأسود للعراق.

سلوبودان ميلوسوفيتش.. جزار البلقان (١٩٤١ـ ٢٠٠٦).

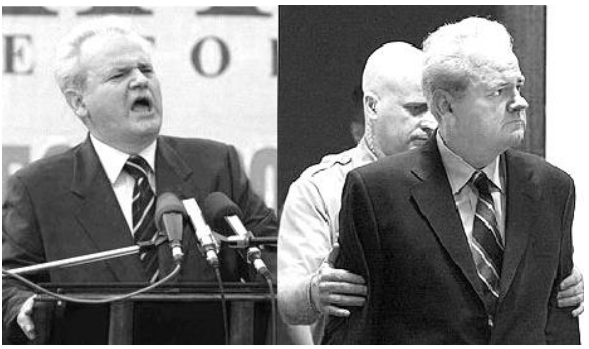

آخر رئيس فعلي لجمهورية يوغسلافيا الاشتراكية الاتحادية، التي تأسست عام ١٩٤٥ على أنقاض مملكة يوغسلافيا، وكانت تتكون من ستة جمهوريات ذات حكم ذاتي محدود هي: البوسنة والهرسك، كرواتيا، مقدونيا، سلوفينيا، صربيا، الجبل الأسود.

تولى الرئاسة في عام ١٩٨٩، إلا أنه لم يلبث رئيسا ليوغسلافيا الموحدة إلا قليلا، فمع نهاية الثمانيات وبداية التسعينات انهارت الكتلة الشيوعية الاشتراكية، ابتداء من ألمانيا الشرقية حتى الاتحاد السوفييتي، وأصاب يوغسلافيا ما أصاب غيرها من الدول الاشتراكية، فبدأت الجمهوريات اليوغسلافية بالاستقلال واحدة تلو الأخرى، فأصبحت الحكومة الاتحادية في بلجراد بحكم المنتهية، حيث فقدت سلطتها الفعلية على باقي أنحاء يوغسلافيا، فأمر ميلوسوفيتش القوات الاتحادية أو ما تبقى منها لمنع استقلال الجمهوريات اليوغسلافية، وتحديدا في عام ١٩٩١ انفصلت كل من سلوفينيا وكرواتيا ومقدونيا، فدخلت قواته إلى مقدونيا في محاولة لمنع انفصالها، وخاضت الحرب ضد القوات الانفصالية التي تمكنت من الانتصار

وطرد قوات ميلوسوفيتش من العاصمة سكوبيه، وفي عام ١٩٩٣ أصبحت عضوا في الأمم المتحدة واعترفت معظم دول العالم باستقلالها.

بهزيمة القوات الاتحادية في مقدونيا أصبح انفصال الجمهوريات الثلاثة أمرا و اقعا لا مفر منه، ولو انتصرت في الحرب المقدونية لتمكن ميلوسوفيتش من إعادتها جميعا إلى سلطة الدولة الاتحادية ولتمكن من الحفاظ على الدولة اليوغسلافية.

في عام ١٩٩٢ أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك ذات الأغلبية المسلمة عزمها على الانفصال عن يوغسلافيا، فنظمت استفاء شعبيا، قاطعه الصرب الموالين لصربيا، وكانت نتيجته لصالح الاستقلال، فأعلنت البوسنة استقلالها، إلا أن الصرب رفضوا الاستقلال وأصروا على البقاء ضمن الدولة اليوغسلافية الجديدة التي أسسها ميلوسوفيتش والتي تضم صربيا والجبل الأسود.

سرعان ما دعم ميلوسوفيتش صرب البوسنة بالمال والسلاح والمقاتلين، وأعلنوا الحرب على المسلمين والكروات، بهدف منع استقلال البوسنة والهرسك، وارتكبت القوات الصربية جرائم مروعة بحق المدنيين المسلمين و أقاموا مجازر رهيبة، فقد كان مقاتلي القوات الصربية يدخلون إلى مناطق المسلمين ويقبضون على أئمة المساجد ويشنقونهم، وفي إحصائية أن الصرب خطفوا خمسين ألف طفل مسلم وأرسلوهم إلى بلجراد، و أفظع ما ارتكبه الصرب من جرائم الحرب كانت مذبحة سربرنيتشا عام ١٩٩٥، التي راح ضحيتها ٨٠٠٠ آلاف شخص، وأدت إلى نزوح أكثر من خمسة وعشرين ألف مدني، وتعتبر هذه المجزرة أفظع مجزرة شهدتها أوربا منذ الحرب العالمية الثانية.

واغتصب الصرب خلال هذه الحرب أكثر من خمسين ألف امرأة مسلمة (رصدت انتهاكات للقوات البوسنية والكرو اتية، ولكنها لا تصل بأي حال إلى ما ارتكبه الصرب من جرائم مروعة بدعم مباشر من حكومة سلوبودان ميلوسوفيتش).

وكان الصرب يضعون الأسرى من المسلمين في غرف صغيرة لا تصلح للعيش الآدمي، وكانوا يقتلون المرضى منهم على الفور أمام بني جلدتهم، وكانوا ينتقون الشبان من الأسرى ويسحبون منهم الدماء لصالح الجرحى الصرب، وإذا احتاج المرضى الصرب إلى قطع غيار بشرية كالكلى والكبد وغيرهما فإنهم يعمدون إلى قتل بعض الأسرى المسلمين واستخراج أعضائهم وإرسالها للمستشفيات الصربية.

ومن جرائم الحرب الموثقة التي ارتكبتها القوات الصربية أنه في بداية الحرب سيطر الصرب على بعض أحياء سراييفو وقاموا باحتجاز عشرات المسلمات في ملعب لكرة القدم، ثم دخل عليهن ضابط صربي وصاح قائلا: سنجتث الإسلام من هذه البلاد، ارحلوا فليس لكم مكان هنا، هذه بلاد نصرانية وستبقى كذلك للأبد.

ثم قام بإحضار إحدى النساء وكانت تحمل رضيعا، وأمر بتعريتها، ثم اغتصبها بوحشية أمام عشرات النساء والفتيات، ثم اغتصبها ضابط آخر، وسط بكاء طفلها الرضيع، فسارع أحد الجنود بكل وحشية إلى قطع رأسه ورميه على الأرض، ثم قام مجموعة من الصرب باغتصاب الأم، وبعد ذلك قطعوا ثدييها بآلة حادة، وتركوها تنزف حتى الموت.

ومما يتداول من مجازر الصرب في حرب البوسنة والهرسك أنهم دخلوا قرية تدعى "سيمزوفاتس"، بالقرب من العاصمة سراييفو،

واعتقلوا إمام المسجد وأمروه بالبصق على القرآن الكريم، فأبى، فقاموا بقتله مع أسرته، ودفنوهم تحت المسجد.

في عام ١٩٩٥ انتهت حرب البوسنة والهرسك بعد تدخل القوات الدولية وإجبار أطراف النزاع على توقيع اتفاقية دايتون للسلام، التي ضمنت استقلال جمهورية البوسنة والهرسك من جهة، و إقامة نظام فدرالي يضمن حقوق كل من المسلمين والصرب والكروات وغيرهم من الأعراق والاثنيات، إلا أنها انقضت بعد أن خلفت أكثر من ٢٠٠ ألف قتيل، و٢٠٠ ألف معاق، ودمار ضخم في البنية التحتية، ومآسي إنسانية لا نهاية لها.

وباستقلال البوسنة فشل ميلوسوفيتش مرة أخرى في تحقيق هدفه الكبير المتمثل في إنشاء دولة يوغسلافية جديدة يسيطر عليها الصرب، وخرج من هذه الحرب وهو مدان دوليا بارتكاب قواته لجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. (فقد اكتشفت عشرات المقابر الجماعية ضمت رفات آلاف القتلى، أغلبيتهم الساحقة من المسلمين).

في عام ١٩٩٧ انتهت الفترة الرئاسية الأولى لميلوسوفيتش، ونظرا لاضطراب الأوضاع وخطورتها في بلاد البلقان، تمكن ميلوسوفيتش من إقناع البرلمان بتمديد فترة رئاسته.

وتشير القضايا المرفوعة ضده أنه ارتكب خلال سنوات رئاسته الثلاثة عشرة الكثير من الجرائم والمخالفات والتجاوزات، بخلاف جرائم الحرب في جمهوريات البلقان المجاورة،

فقد أدانته السلطات القضائية الصربية بعد مغادرته السلطة بإصدار أوامر بتصفية "إيڤان ستامبوليتش" رئيس صربيا أثناء الحقبة اليوغسلافية، لكونه يشكل خطرا على نظام حكمه، وقد نفذت شرطته

السرية الأمر واغتالته بعيار ناري في رأسه بينما كان يمارس رياضة الجري، وألقيت جثته في إحدى غابات شمال صربيا، ولم يتم العثور عليها إلا في عام ٢٠٠٣، وأمر بتصفية "فوك دراسكوفيتش" (سياسي صربي شغل عدة مناصب حكومية آخرها رئيس وزراء صربيا) إلا أن الشرطة السرية لم تتمكن من اغتياله.

كما وتتهمه السلطات القضائية بتدبير اغتيال كل من قائد شرطة بلجراد السابق "رادوڤان ستويچيچ" ووزير الدفاع الصربي السابق "پاڤله بولاتوڤيتش" ورئيس الخطوط الجوية اليوغسلافية السابق "زيكا پتروڤيتش"، علاوة على اتهامات بالفساد والتسبب بافقاريوغسلافيا وصربيا.

كما وجهت إلى زوجته "ميريانا" و ابنه "ماركو" اتهامات بالقتل والفساد واستغلال النفوذ والجريمة المنظمة، وصدر بحقهما أمر اعتقال، إلا أن السلطات الروسية منحتهما لجوءا سياسيا.

في عام ١٩٩٨ طالب ألبان كوسوفو (إقليم صربي سابق، ذو أغلبية البانية مسلمة، تحول إلى دولة مستقلة بعد الحرب) بالاستقلال ونظموا استفتاء كانت نتيجته لصالح الاستقلال عن صربيا، وانتخبوا إبراهيم روجوفا رئيسا للجمهورية، وأسسوا جيشا وطنيا، بينما رفض ميلوسوفيتش الاستقلال وأرسل جيشا لاستعادة الإقليم، وقد ارتكبت قواته جرائم خطيرة بحق الألبان، حيث قتلت أكثر من ١٢ ألف ألباني، وخلفت من ورائها ٥٥٠ مقبرة جماعية ضمت آلاف القتلى، وذبح ١٧٨ عائلة، واغتصاب ٣٠٠٠ امرأة.

كانت أخبار مجازر القوات الصربية في الإقليم تملأ الأصقاع الأوربية والدولية، مما أجبر الدول الغربية على التحرك لإنهاء المأساة الإنسانية المروعة، وعرضت خطط سلام على الرئيس الصربي لإنهاء القتال، إلا أنه رفض كافة المبادرات، وأصر على عودة الإقليم لسيطرة صربيا مهما كان عدد القتلى.

وبعد استنفاد كافة المبادرات والحلول السلمية، قررت الولايات المتحدة مهاجمة صربيا لإنهاء النزاع وإجبار حكومة ميلوسوفيتش على الخضوع للإرادة الدولية، فبدأ حلف الناتو قصف صربيا بكثافة، وعلى مدى ٧٨ يوما كان الصرب يتعرضون للقصف الجوي المدمر، فاضطر ميلوسوفيتش في النهاية للقبول باتفاقية السلام وإنهاء الحرب، فتوقف القصف وانسحبت القوات الصربية من كوسوفا، الذي أعلن شعبه استقلاله وتحوله إلى دولة مستقلة، نالت اعتراف عدد كبير من دول العالم، أما ميلوسوفيتش فقد كانت هذه الحرب الثالثة التي يخسرها ويخرج منا وهو مثقل بكم كبير من انتهاكات حقوق الإنسان وارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب، ولكن هذه المرة كانت الحرب أكثر فتكا وتدميرا، فقد وصلت لبلجراد وصربيا، حيث تعرضت البلاد لخسائر بشرية فادحة، فقد تسبب القصف بقتل أكثر من ألفي مواطن صربي، ما بين مدني وعسكري، وتدمير عدد كبير من مواقع البنى التحتية، علاوة على الحصار الاقتصادي الذي فرضه المجتمع الدولي على صربيا ردا على سياسات ميلوسوفيتش التي ساهمت في اندلاع الحروب والنزاعات في منطقة البلقان.

في عام ٢٠٠٠ أجبر ميلوسوفيتش على تنظيم انتخابات رئاسية جديدة، ولم يتمكن من مقاومة الضغوط التي تعرضت لها حكومته من القوى

السياسية والشعبية بسبب الهزائم التي تعرضت لها صربيا وتردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فكان أن أجريت الانتخابات وسط إجراءات واحترازات مشددة، فقد أمر ميلوسوفيتش بمنع حضور أي مراقبين أجانب، وبمنع تغطية المراسلين الأجانب للانتخابات التي قاطعها مواطنو الجبل الأسود وألبان كوسوفو، وبعد التصويت أعلن ميلوسوفيتش بأنه الفائز في الانتخابات، بينما أعلنت المعارضة بأن مرشحها "فويسلاف كوستونيتشا" هو الذي الفائز، فاندلعت التظاهرات في مختلف أنحاء صربيا مطالبة ميلوسوفيتش بالتنحي، ونظمت الاضرابات العامة، وقام المتظاهرون بإغلاق المدارس والجامعات والمستشفيات، بينما سعى ميلوسوفيتش للحصول على قرار من المحكمة بإلغاء نتائج الانتخابات وإرجاء أية انتخابات جديدة لأجل غير مسمى، إلا أن المتظاهرين أعلنوا إمهالهم ميلوسوفيتش فرصة لا تزيد عن ١٢ ساعة لإعلان تنحيه عن السلطة.

قام المتظاهرون بالتجمع وسط بلجراد هاتفين: فلترحل يا ميلوسوفيتش، إنه ليس وقتك يا ميلوسوفيتش. وحاصر أكثر من ٢٥٠ ألف مواطن مبنى البرلمان وسرعان ما اقتحموه، بينما كان ميلوسوفيتش يقول: إن ما يحدث في البلاد مؤامرة غربية أمريكية.

ثم توجهت الجموع الغاضبة نحو مبنى التلفزيون وسرعان ما اقتحمته لينقطع إرساله، ويعود بعد ساعات بهيئة جديدة، فقد استأنف بثه بلقاء مع مرشح المعارضة فويسلاف كوستونيتشا، الذي أعرب عن فخره بفوزه بثقة الشعب الصربي وبدأ بعرض برنامجه الرئاسي وخططه المستقبلية للنهوض بصربيا، أما الرئيس ميلوسوفيتش فقد اكتشف أن كل شيء قد انتهى وأنه خسر منصبه وانتهت حياته السياسية وأن عليه الرحيل، فظهر على التلفزيون مخاطبا الشعب بأنه قد وصله تقرير من لجنة الانتخابات يفيد

بأنه علم للتو بأن منافسه كوستونيتشا فاز بالانتخابات، و أنه يهنئه بالفوز ويتمنى له حظا موفقا.

غادر ميلوسوفيتش السلطة بعد ثلاثة عشر عاما، ارتكب خلالها عشرات الجرائم بحق شعوب البلقان، إلا أن محكمة جرائم الحرب في لاهاي كانت بانتظاره، فقبض عليه بعد عدة أشهر وتم ترحيله إلى لاهاي، حيث واجه (٦٦) تهمة بالإبادة الجماعية، وارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وجرائم حرب، وإصدار أوامر بتنفيذ عمليات تطهير عرقي والترحيل القسري في حروب مقدونيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو، وبعد أربع سنوات من بدء محاكمته وجد ميتا في محبسه في لاهاي عام ٢٠٠٦، وبموته أسدل الستار عن أعتى الطغاة في أوربا بعد هتلر.

منغستو هيلا مريام.. طاغية الإرهاب الأحمر.

ولد عام ١٩٣٧، التحق بالجيش وتدرج في مناصبه، ثم انضم للحزب الشيوعي وأصبح ابرز ضباط الحكم الشيوعي العسكري من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٧، ثم رئيسا للجمهورية من عام ١٩٨٧ حتى ١٩٩١، حيث سقطت حكومته بعد حرب أهلية طاحنة، ولجا إلى زيمبابوي وفيها يعيش حتى يومنا هذا.

في عام ١٩٧٤ سقط نظام الحكم الإمبراطوري بقيادة الإمبراطور هايله سلاسي، بعد فشله في مواجهة كارثة المجاعة التي أهلكت مليون نسمة، فاستولى على السلطة مجموعة من الضباط بقيادة "أتنافو أباته" وكان من ضمنهم منجستو، وأسموا مجلسهم الحاكم بـالدرك.

بعد سنة من الانقلاب ألغى الثوار العسكريين الشيوعيين النظام الملكي، وحكموا على العائلة أفراد المالكة بالسجن، توفي بعضهم داخله، ومن تبقى منهم ظل مسجونا حتى عام ١٩٨٩، حيث تم إطلاق سراحهم، واعتبروا بعدها مواطنين عاديين.

بدأ نجم منجستو بالصعود بين حكومة الدرك، وأصبح أكثرهم ظهورا وبروزا، وفي عام ١٩٨٧ أصبح الحاكم الفعلي لإثيوبيا، بعد أن تبادل الاتهامات مع نائب مجلس الدرك "أتنافو أباته" حول مسئولية خسائر الجيش في اريتريا، وتطورت الخلافات وتصاعدت وتحولت إلى اشتباك بالأعيرة النارية، وسرعان ما تمكن منجستو من حسم الموقف وقبض على أتنافو أباته وأعدمه مع أربعين ضابطا من الموالين له، مما أفسح له الطريق لبلوغ كرسي منصب رئيس الدرك، وبالتالي رئاسة الدولة الإثيوبية.

لم يهنأ منجستو بمنصبه كثيرا، فسرعان ما اندلعت مقاومة عنيفة ضد حكومة الدرك، قادها الحزب الثوري الشعبي الإثيوبي، فقرر منجستو القضاء عليها بأي ثمن، فحشد قواته العسكرية والبوليسية، وأطلقها للقضاء على كافة قوى المعارضة العسكرية والمدنية، فقامت بارتكاب أعمال وحشية رهيبة،عرفت بـ" الإرهاب الأحمر".

وانقض منجستو على المنظمات المدنية الطلابية فأعدم واعتقل وسجن الكثير من منسوبيها.

واستخدم أساليب وحشية كالإعدامات الجماعية، والاغتيالات، وسجن عشرات الآلاف من دون محاكمة، واعتمد التجويع والترحيل القسري كأساليب لإخضاع المناوئين، وعمد منجستو استخدام سياسة "الإرهاب الأحمر" في اريتريا، التي كانت تنظيماتها المسلحة تكافح من أجل الاستقلال عن إثيوبيا.

تمكنت حكومة الدرك بقيادة منجستو من تحقيق السيطرة واحتواء المعارضة بصنفيها (المسلحة / المدنية)بعد قتل الآلاف من الأثيوبيين، وذلك بفضل المساعدات العسكرية الضخمة التي حصلت عليها من دول المعسكر الاشتراكي، كالاتحاد السوفييتي وليبيا وكوريا الشمالية، إلا أن فشلها في بناء اقتصاد زراعي، وسوء الإدارة والفساد والعنف التي اتسمت به، وحرب الاستنزاف التي ظلت تشنها عليها الحركات المسلحة في اريتيريا، أججت الاحتجاجات ضدها وضد شخص منجستو في نهاية الأمر.

في السنوات الاخيرة من عقد الثمانيات تعرضت أثيوبيا إلى جفاف قاتل، لم تضع له حكومة منجستو أية خطط لمواجهته على ما يبدو، مما أدّى إلى انهيار الإنتاج الزراعي ووفاة مليون مواطن إثيوبي على الأقل، كما هرب الآلاف المواطنين لدول الجوار بسبب التجنيد الإجباري والقمع السياسي الذي مارسه منجستو ضد الشعب، ونتيجة لذلك فقد نشطت قوى المعارضة المسلحة مرة أخرى، واستخدمت تكتيكات جديدة أدت إلى هزيمة ساحقة لقوات منجستو، ففي عام ١٩٩١ تمكنت قوات الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية الإثيوبية من دخول العاصمة أديس أبابا والاستيلاء على السلطة، ففر منجستو إلى زيمبابوي، وفي عام ٢٠٠٨ تمت إدانته و٧٢ من أعضاء حكومته بأرتكاب جرائم ضد الإنسانية وحكم عليه بالإعدام هو وثمان عشر منهم، بينما حكم على الباقين بالسجن المؤبد، إلا أن زيمبابوي رفضت تسليمه قائلة بأنه لعب دورا رئيسيا محمودا أثناء كفاح شعب زيمبابوي من أجل الاستقلال، وهكذا تخلص طاغية الإرهاب الأحمر من قضاء بقية حياته مسجونا أو أن ينهيها بالإعدام، مثلما فعل هو بالآلاف الأبرياء من مواطنيه، إلا أن العدالة الإلهية ستكون بانتظاره في يوم ما.

الفريدو ستروبسنر (١٩١٢ – ٢٠٠٦).

رئيس جمهورية باراغواي (تقع في أمريكا اللاتينية) من عام ١٩٥٤ حتى الإطاحة به عام ١٩٨٩، في حكم دام ٣٥ عاما، ويعتبر من أطول فترت الحكم في الأنظمة الجمهورية العسكرية، حكم بلاده حكما ديكتاتوريا حديديا وارتكب جرائم ضد الإنسانية بحق الآلاف من مواطنيه.

ولد لعائلة من أصل ألماني، التحق بالجيش الوطني عام ١٩٢٩، وشارك في الحرب البارغواية البوليفية التي اندلعت ما بين أعوام ١٩٣٢-١٩٣٥، ثم الحرب الأهلية عام ١٩٤٧، تدرج في المناصب العسكرية حتى شغل منصب رئيس أركان الجيش عام ١٩٥١.

استمرت الحرب الأهلية إذ لم يتمكن الرئيس "هيجينو" من إيقافها، مما أدى إلى اعتباره جزءا من المشكلة لا جزءا من الحل، فانقلب عليه الجنرال "فيليبي مولاس لوبيزفي" وأصبح رئيسا للجمهورية، ثم أقصي عن السلطة بانقلاب جاء بالجنرال "فيدريكو شافيز" للسلطة.

وفي عام ١٩٥٤ نفذ "الفريدو ستروسنر" انقلاب ضد شافيز أوصله إلى سدة الحكم، وظل رئيسا للبلاد لثلاثة عقود ونصف.

كان ستروسنر مناهضا للشيوعية التي كانت منتشرة في أمريكا اللاتينية، وقد حضي بدعم الولايات المتحدة، إلا أنه لم يكن ديمقراطيا فقد عمد إلى ممارسة الديكتاتورية للحفاظ على سلطته، وجمع بين رئاسة الدولة وقيادة الجيش، وقمع المعارضة السياسية بكل قوته، فتحولت معظم أحزاب المعارضة إلى مجرد ديكورات لتجميل صورة نظامه في الخارج، بينما تغلغل أنصار ستروسنر في كافة دوائر ومؤسسات الدولة، بل وأصبح ولاء الرئيس والانضمام إلى حزبه المسمى "كولورادو" والجمعيات والأحزاب السياسية الموالية له شرط أساسي للحصول على فرصة عمل أو التمتع برعاية صحية متميزة أو غيرها من الخدمات الحكومية، وحرص ستروسنر على اضافة لمسات شرعية على حكمه، من خلال تنظيم ثمان انتخابات شكلية طوال سنوات رئاسته الطويلة، فكانت الانتخابات إجراء روتيني كل خمس سنوات، وكان دائما الفائزوبنسبة تتراوح بين ٩٠%-٩٨% من الأصوات!

وخلال حكم ستروسنر تحولت البرغواي إلى نقطة لتهريب الأسلحة والمخدرات، وجعل ستروسنر بلاده ملجأ لكبار مهربي الهيروين في العالم، ومجرمي الحرب، والمجرمين الدوليين، مقابل عمولات وخدمات، أمثال مهرب الهيروين الفرنسي "أوغست ريكور" و"جوزيف منجلي" وهو طبيب مشهور على مستوى العالم ومجرم دولي مطلوب للمحاكمة بسبب إجرائه تجارب جينية على الأطفال.

وأدت الممارسات الديكتاتورية والتعسفية لنظام سترويسنر والتي بررها بإعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية لضمان الأمن القومي إلى مصرع عدد يتراوح ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ من المواطنين، واختفاء ما بين ٤٠٠-٥٠٠ شخص على الأقل.

فقد كانت حكومته تمارس الاختطاف، والتعذيب، والقتل، والاختفاء القسري، من دون أية محاكمات، بمنهجية وروتينية طوال فترة حكمه الطويلة، وألقيت العديد من جثث الضحايا في مناطق خارج العاصمة ومنعت السلطات الاقتراب منها، وتورد بعض منظمات حقوق الإنسان شهادات مروعة عن أساليب القتل الوحشي التي مارسها نظام سترويسنر، منها شهادة القس "كورونيل"، الذي قال: إن المعتقلين كانوا يحشرون في مكان زنزانة مليئة بالبراز، وكانوا يعذبون بوضع الكهرباء في فتحة الشرج، وقبل قتلهم تقطع أوصالهم حتى الموت، وتشير التقارير أن الرئيس سترويسنر كان يستمع إلى الآم المعتقلين على الهاتف مستمتعا ومطالبا بالمزيد من التعذيب!

كما مارس سترويسنر انتهاكات فضيعة ضد السكان الهنود في المناطق الشرقية من البلاد، التي اتخذتها الشركات متعددة الجنسيات مقرا لمصانعها وإدارة أعمالها، واستولت على أراضيهم ومزارعهم، وقررت حكومة سترويسنر ترحيلهم من مدنهم وقراهم، إلا أنهم لم يقبلوا بمغادرة أرضهم وقاوموا تعسف نظام سترويسنر، الذي رد على تمردهم بارتكاب المجازر والإبادة الجماعية والسخرة ضدهم.

في شهر أبريل من عام ١٩٨٧ بدأت حملة انتخابات جديدة في البارغواي، دشنت قوى المعارضة حملات انتخابية قوية، ونظمت احتفالات واجتماعات حاشدة، بينما رشح حزب كولورادو الرئيس ستروسنر على جري عادته منذ استيلائه القسري على الحكم.

شعر نظام ستروسنر بالخطر من الحملات الانتخابية القوية للمعارضة، فشن اعتقالات تعسفية ضد قادتها و أنصارها ومؤيديها، وضيق الخناق على أنشطتها الانتخابية والجماهيرية، بينما تمتعت حملت الرئيس بحماية الأمن والحرية الكاملة، وكما هو متوقعا فقد حصد ستروسنر ٨٩% من الأصوات في انتخابات لم تعترف بها معظم المنظمات الحقوقية حول العالم، واتهمت نظام ستروسنر بالتزوير والتضييق على المعارضة لكي يتمكن حزب الرئيس من الفوز.

في عام ١٩٨٨ زار البابا يوحنا بولس الثاني البارغواي، والتقى الكثير من الشخصيات السياسية والدينية والروحية، إلا أنه لم يمنح إلا وقت محدود لرئيس البلاد الفريدو ستروسنر، مما عزز من قوة المعارضة لنظامه الذي بدأ يتصدع جراء الشيخوخة السياسية وتراجع الاقتصاد وتخلف مرافق البلاد.

في عام ١٩٨٩ وبعد ستة اشهر من أداء ستروسنر اليمين الدستورية لفترة رئاسية ثامنة تسارعت أنباء ومعلومات من القصر الجمهوري تؤكد بأن ستروسنر يسعى لتوريث الحكم لأحد أبنائه، الأمر الذي دفع الجنرال "اندريس رودريغيز" للقيام بانقلاب عسكري ناجح، تمكن من إزاحته عن الحكم بعد خمسة وثلاثين عاما قضاها في السلطة المطلقة، إلا أنه تمكن من الفرار إلى البرازيل، وفيها قضى السبعة عشر عاما الباقية من حياته، وفي أسابيعه الأخيرة طلب العودة لوطنه ليموت فيه، ولكن طلبه رفض من قبل

السلطات، تحت تهديد الاعتقال والمحاكمة في حال عودته، وتوفي في أغسطس من عام ٢٠٠٦ ودفن في البرازيل.

بعد رحيله عن الحكم تم تغيير أسماء الشوارع والمطارات والمدن التي سماها باسمه.

وفي عام ١٩٩٢ كشف عن خمسة أطنان من الوثائق السرية لأجهزة الاستخبارات في عهده ستروسنر، أدت إلى الكشف عن مصير عدد كبير من المفقودين الذين اختفوا أثناء حكمه.

وفي الآونة الأخيرة أدانت محاكم البرغواي ستروسنر في جريمة وفاة امرأة اسمها "سيليستينا بيريز"، عندما كانت معتقلة مع زوجها، حيث كان الجلاوزة يعذبونها تعذيبا نفسيا فضيعا من خلال إسماعها تسجيلات يومية لعمليات تعذيب زوجها، وتوفيت نتيجة ذلك، وحكمت المحكمة ببيع بعض أملاك ستروسنر المصادرة لجمع مبلغ ٩٨٠ ألف دولار لعائلتها كتعويض.

وتقدر ثروة الديكتاتور الفريدو ستروسنر بـ ٥٠٠ مليون دولار، مودعة في حسابات بأسماء أشخاص آخرين في بنوك سويسرا، لم تتمكن حكومة البرغواي من استرجاعها حتى الآن.

حسـن حــبري

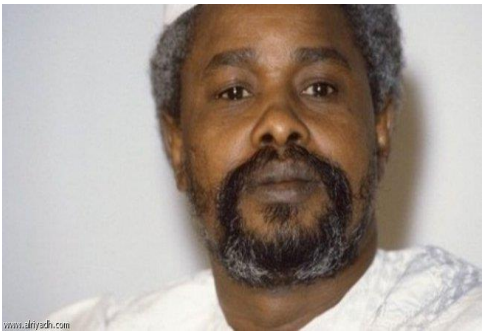

رئيس جمهورية تشاد من عام ١٩٨٢ حتى الإطاحة به عام ١٩٩٠، في عهده خاضت تشاد حرب متقطعة مع ليبيا، تمكنت من كسبها بدعم من الولايات المتحدة.

ولد في مدينة "فايا لارجو" شمال تشاد عام ١٩٤٢، بعد إكمال تعليمه الابتدائي حصل على وظيفة إدارية صغيرة في إحدى دوائر الحكومة، أعجب به رؤساءه فرشحوه للابتعاث لفرنسا لإكمال دراسته، فدرس في معهد للدراسات العليا في باريس، ثم واصل دراسته الجامعية في كلية العلوم السياسة حتى تخرج منها وعاد إلى تشاد عام١٩٧١، ليعين نائبا في إحدى المحافظات، إلا أنه ترك العمل في الحكومة والتحق بجبهة التحرير الوطنية التشادية المعارضة، وترقى في مناصبها حتى أصبح قائد جيش التحرير الوطني التشادي الثاني، إلا أنه اختلف مع بعض قيادات الجبهة فانشق عنها ليؤسس القوات المسلحة الشعبية عام ١٩٧٤.

ظهر اسم حبري كشخصية ثورية وسياسية تشادية عندما خطف مقاتلوه ثلاث أوربيين كرهائن، وطلب فدية مقابل الإفراج عنهم، ولم يفرج عنهم إلا بعد مفاوضات عسيرة.

في عام ١٩٧٥ قتل الرئيس التشادي "طمبلباي" وأصبح "فيليكس مالوم" رئيسا للجمهورية، واستأنف القتال ضد المعارضة، التي انضم إليها نصف الجيش التشادي بعد انشقاقات متتالية، فاتفق الرئيس "فيليكس" مع قادة المعارضة على تشكيل حكومة شراكة وإنهاء النزاع، وعين حبري رئيسا للوزراء وذلك عام ١٩٧٨.

إلا أن الصراع على السلطة لم ينتهي، مما أدى إلى هروب الرئيس "فيليكس" عام ١٩٧٩، فعين بدلا عنه "جيكوني عويضي" وسرعان ما خاض صراعا مكشوفا ضد القوى الطامعة بالسلطة وفي مقدمتها رئيس الوزراء حسن حبري، الذي دبر انقلابا ناجحا ضده وتمكن من الاستيلاء على الحكم عام ١٩٨٢.

وقد مارس حبري منذ تسلمه قيادة بلاده الكثير من الفضائع بهدف إنهاء المعارضة ضد نظامه والاحتفاظ بالسلطة، ومارس التطهير العرقي ضد بعض القبائل في جنوب البلاد، وذلك من خلال جهاز الشرطة السرية التي فوضها بالقضاء على المعارضة، فكانت تقبض على المعارضين وتقوم بتعذيبهم بوحشية وبأساليب مروعة، كحرق بعض أجزاء الجسم بالكهرباء، ورش الغاز السام على العينين والأذنين والأنف، وإجبار المعتقلين على شرب المياه القذرة، ووضع أفواههم حول أنابيب عوادم السيارات حتى يموتوا بالاختناق أو يتعرضوا لأمراض خطيرة سرعان ما يموتوا بسببها.

ووفقا لهيومن رايتش فإن أكثر من ١٢٠٠ مواطن تشادي قتلوا في حفلات التعذيب التي أقامتها الشرطة السرية، علاوة على تعرض ١٢٠٠٠ مواطن آخر للتعذيب خلال سنوات حكم حبري، بينما تقول لجنة حكومية للتحقيق في الجرائم التي ارتكبت في عهده بأن عدد الضحايا يصل إلى ٤٠ ألف على الأقل، وما لا يقل عن ٢٠٠ ألف تعرضوا للتعذيب.

في هذا الصدد يقول مسئول سابق: إن حسن حبري كان طاغية وجلاد متعطش للدماء، وكنا نعلم ذلك ولكننا اخترنا أن نغظ الطرف عن هذه الحقيقة.

بعد ثمان سنوات قضاها في الحكم، وتحديدا في عام ١٩٩٠، كان حبري يقود حكومة ضعيفة وغير قادرة على القيام بمهامها، إضافة إلى تخلي الحكومة الفرنسية عن دعم نظامه بسبب منحه امتيازات التنقيب عن النفط لشركات غير فرنسية، علاوة على أنه لم يتمكن من إنجاز أية إصلاحات فعالة، ولم يستطع إنهاء حالة الصراعات المسلحة في بلاده، فكان دعم نظام تسلطي يشكل إحراجا كبيرا للدولة الفرنسية، الأمر الذي ساعد المعارضة على الإطاحة به، حيث قام "إدريس بيبي" وهو قائد ميليشيات مسلحة معارضة بتنفيذ انقلاب ضده بالتعاون مع ضباط في الجيش، ونجح الانقلاب وفر حبري إلى الكاميرون ثم استقر في السنغال، إلا أن الكثير من الدعاوى رفعت ضده، ففي بلجيكا رفعت عليه قضية ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وفي ٢٠٠٦ طالب البرلمان الأوربي السنغال بتسليم حبري إلى بلجيكا لمحاكمته، وبسبب الضغوط التي مورست على الحكومة السنغالية قامت باعتقاله على ذمة محاكمة ستعقد في أراضيها بعد تشكيل محكمة خاصة لهذا الغرض سينشئها الاتحاد الأفريقي بالتعاون مع الأمم المتحدة وبعض البلدان الأوربية، بينما صدر بحقه حكما غيابيا بالإعدام في تشاد عام ٢٠٠٨ لإدانته بارتكاب

جرائم ضد الشعب التشادي، في حين أمرت المحكمة ببيع ممتلكاته لتعويض بعض ضحاياه، وإذ لم يكفي ثمنها للإيفاء بمبلغ التعويض المقدر بالملايين فيجب على الحكومة أن تكمله من الخزينة العامة للدولة، فيما تتهم الحكومة التشادية الرئيس المخلوع بالاستيلاء على ١٥ مليون يورو، أخذها معه قبل فراره، حولته إلى رجل من كبار ملاك العقارات في داكار عاصمة السنغال.

وقد حكم على حبري بالسجن المؤبد في السنغال عام ٢٠١٦، إلا أن أرواح ضحاياه لن ترتاح إلا بعد أن تنزل به عقوبة السماء جراء طغيانه وجبروته.

خورخه رفائل فيدلا (١٩٢٥ـ ٢٠١٣).

رئيس الأرجنتين، من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨١، حكم بلاده بالحديد والنار، وخلف وراءه آلاف الضحايا.

ولد لأسرة من الطبقة المتوسطة، سار على نهج والده ككولونيل في الجيش، فبعد إكمال دراسته التحق بالكلية العسكرية الوطنية، ثم أصبح ضابطا في الجيش، الذي تدرج في مناصبه حتى أصبح من كبار قادته.

في عام ١٩٧٦ كان من ضمن ثلاثة قادة انقلبوا على رئيسة الأرجنتين إيزابيل بيرون (أول رئيسة جمهورية في أمريكا اللاتينية، في عام ١٩٧٤ تولت مسئولية الحكم باعتبارها نائبة لزوجها الرئيس خوان بيرون، الذي أقعده المرض عن ممارسة مسئولياته، وتوفي لاحقا) وشكلوا مجلس حكم عسكري، إلا أنه سرعان ما انقلب على رفقائه وأصبح الحاكم المطلق للبلاد.

أظهر فيدلا بعد استيلائه على الحكم تجرؤا لا يوصف على سفك الدماء لكي لا تضيع السلطة من بين يديه، فلم يكن يكتفي بتصفية المعارضين فقط، بل وبقتل أطفالهم مهما كانت أعمارهم.

وكان نظام حكمه أحد الأنظمة الرئيسية في أمريكا اللاتينية التي أنشئت ما عرف بـ "شبكة قمع المعارضين" التي كانت تعمل على تبادل المعلومات عن المعارضين والمناوئين ما بين أجهزة استخبارات الأنظمة أعضاء الشبكة، والتعاون على تصفيتهم والقضاء عليهم.

وبحسب المنظمات الإنسانية والحقوقية والمحاكم الأرجنتينية والدولية فإن نظام فيدلا تسبب بمقتل ثلاثين ألف مواطن أرجنتيني (منهم العديد من الأطفال)، لم يعثر على جثث اغلبهم بعد سقوطه، فقد كان جلاوزته يرمون بالجثث في حفر عميقة ومقابر مجهولة وحتى في البحر، كما اختطفت أجهزته القمعية ما يقدر بـ ٥٠٠ طفل من ذويهم، خاصة من الأسر المعارضة للنظام، فقد كان الجلاوزة يجمعون المعتقلات الحوامل في سجون خاصة، بانتظار ولادتهن التي تتم في مراكز ولادة سرية داخل المعتقل، وفي كثير من الأحيان كان الجلاوزة يقتلون الأم بعد ولادتها مباشرة، ثم يسلم الأطفال إلى أسر موالية لنظام فيدلا.

في مقابلة صحفية مع فيدلا من سجنه، صرح طاغية الأرجنتين السابق أن حملة القمع التي أشرف عليها كانت الثمن الذي تعين على الأرجنتين أن تدفعه للبقاء كجمهورية.

واعترف فيدلا للصحفي "سيفيرينو رياتو" الذي نشر كتاب عن مسيرة الأرجنتين السياسية، صدر عام ٢٠١٢ ان القوات المسلحة الأرجنتينية أثناء حكمه قتلت ثمان آلاف من معارضيه.

وأضاف قائلا: (كان لا بد أن نتخلص من عدد كبير من البشر، ذلك كان الثمن الواجب دفعه، لم يكن هناك أي حل آخر إن كنا نريد كسب الحرب ضد المخربين المعارضين).

ويقول مؤلف الكتاب: إن جثث الضحايا كانت تُخفى عن الأنظار أو يتم إبادتها، حتى يتجنب النظام احتجاجات المنظمات الدولية.

وتقول مصادر حكومية: إنه تم إحصاء ٣٥٠ معسكرا سريا للتعذيب والتصفية على كافة الأراضي الأرجنتينية أنشئت خلال حكم الديكتاتوري السابق خورخه رفائل ڤيدلا.

لقد دام طغيان ڤيدلا حتى عام ١٩٨١، حين انقلب عليه الجيش ووضع تحت الإقامة الجبرية، ثم حكم عليه بالسجن مدى الحياة، وبموجب عفو أصدره الرئيس الأرجنتيني الأسبق كارلوس منعم عام ١٩٩٠ أفرج عنه، وفي سنة ١٩٩٨ وجهت له تهم أخرى، بموجبها حكم عليه بالسجن خمسين عاما، وفي عام ٢٠١٣ توفي في محبسه المؤبد عن ٨٧ عام، وقد أعلنت الحكومة الأرجنتينية بأنه سيدفن من دون أية مراسم عسكرية (بصفته رئيس وعسكري سابق) لإدانته بارتكاب جرائم ضد الإنسانية.

لقد مات مدانا بقتل الآلاف من أبناء شعبه ورحل وملايين اللعنات تطارد روحه إلى الأبد.

عبد الحميد الثاني... السلطان الأحمر (١٨٤٢ـ ١٩١٨).

عبد الحميد الثاني، السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، حكم من عام ١٨٧٦-١٩٠٩، حيث خلع وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى وفاته.

في عهده وقعت مجازر الأرمن المروعة، التي راح ضحيتها الآف البشر معظمهم من المدنيين، ولقب بسببها بالسلطان الأحمر والقاتل الكبير.

ففي عهده ارتكبت أبشع الجرائم ضد الأرمن، معظمها كان بأوامر مباشرة منه، من ضمن ذلك مجزرة مدينة عرفة، التي كان الأرمن يشكلون ثلث سكانها، حيث قتلت القوات العثمانية أكثر من سبعة آلاف إرميني، ١٥٠٠ منهم أحرقوا في إحدى الكنائس، كما ويتهم السلطان عبد الحميد بتصفية مئات الآلاف من الأرمن واليونانيين والآشوريين لدوافع دينية و اقتصادية وسياسية وعسكرية متنوعة ومتداخلة، وما بين ١٨٩٤-١٨٩٦، ارتكبت مجازر رهيبة بحقهم راح ضحيتها عشرات الآلاف، عرفت فيما بعد بالمجازر الحميديه نسبة له.

(كما شهدت الأعوام ما ين ١٩١٤-١٩٢٠ تنفيذ عمليات إبادة بحق السيريان والآشوريين وبعض العرقيات الأخرى، سميت بمذابح "سيفو" راح ضحيتها ما بين ربع إلى نصف مليون إنسان).

في عام ١٩٠٨ وقعت مجزرة "كيليكية" بولايتي حلب، راح ضحيتها ما يقارب ٣٠ ألف ارميني.

إلا أن أحداث المجازر الرهيبة التي ارتكبتها الدولة العثمانية بقيادة السلطان عبد الحميد ضد الأرمن بدأت قبل الحرب العالمية الأولى بقليل، حيث تظاهر المواطنون الأرمن في اسطنبول ومدن الأناضول الأخرى، مطالبين بإصلاحات سياسية، وإطلاق الحريات، وإنهاء التمييز ضد الأقليات العرقية، وتفعيل مواد الدستور العثماني المتعلقة بها، إلا أن السلطان عبد الحميد رد عليها بالقمع الشديد، وخلال عشرة أيام من التظاهرات قتل ما ين ٥٠-١٠٠ ألف متظاهر أرميني.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى بدأت القوات العثمانية بتنفيذ خطط الإبادة ضد الأرمن، ففي أثناء الحرب العالمية الأولى احتلت الجيوش الروسية مناطق في جنوب شرق تركيا بمساندة من ميلشيات إرمينية موالية لها، ثم احتل الروس مدينة العمادية، ثم بلدة راوندوز، ثم بلدة خانقين، وقد قامت الميلشيات الأرمينية بقتل خمسة آلاف من أهالي راوندوز وخانقين وتو ابعهما لكون سكانها منحازين للحكومة العثمانية في حربها ضد الروس، وقد ظل الروس في هذه المدن حتى سقوط نظام الحكم القيصري عام١٩١٧.

انتشر خبر مجازر الميليشيات الأرمينية في كافة أنحاء تركيا، وقد أدى الهلع والرعب إلى نزوح أعداد هائلة من السكان في المدن القريبة من خطوط التماس بين القوات العثمانية والروسية.

الحكومة العثمانية من جهتها وبأوامر مباشرة من السلطان عبد الحميد بدأت بتنفيذ المجازر ضد الأقلية الأرمينية كرد على مجازر الميليشيات الأرمينية الموالية للروس، وكحماية للمناطق العثمانية التي تقطنها أكثرية أرمينية من خطر الانفصال عن الدولة العثمانية عن طريق إبادة وتهجر سكانها وتغيير تركيبتها الديمغرافية من خلال إسكان مواطنين موالين لها. (لقد تحولت الدولة العثمانية إلى كيان ضعيف أطلقت عليه أوربا بالرجل العجوز، ونتيجة لهذا الضعف نالت العديد من الشعوب التابعة لها استقلالها كاليونان والرومان والصرب والبلغار وغيرهم، كما ظهرت حركات انفصالية بين العرب والبوسنيين، والأرمن كانوا من ضمن الشعوب التي سعت للاستقلال عن العثمانيين، وكانت علاقتهم بالحكومة العثمانية سيئة، لجهة مسيحيتهم وعدم ولائهم للدولة العثمانية، ورغبتهم الصريحة في الانفصال وتكوين دولة قومية مستقلة وذات سيادة).

بدأت الميلشيات الكردية الموالية للعثمانيين بإبادة مئات القرى الأرمينية الواقعة شرق تركيا المعاصرة، فقتل عشرات الآلاف من الأرمن، واجبر مئات القرويين الارمن على العمل كحمالين في الجيش العثماني ثم أعدموا جميعا.

وفي أبريل ١٩١٥ أمرت السلطات العثمانية بجمع أهم الشخصيات الأرمينية في اسطنبول وإعدامها في الساحات العامة.

بعدها طردت السلطات العثمانية كافة العائلات الأرمينية من إقليم الأناضول، فتشرد مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن، وكان مصير الرجال الإبادة الشاملة، أما النساء والأطفال فأجبروا على السير مئات الأميال بأتجاه روسيا والدول الأوربية الأخرى في ظروف قاسية، مما أدّى إلى موت معظمهم في الطريق.

عن هذا المأساة يروى أحد المراسلين الأمريكيين مشاهداته: (خلال ستة أسابيع شاهدنا أبشع الفظائع تقترف بحق الآلاف من الذين جاؤوا من المدن الشمالية ليعبروا من مدينتنا، وجميعهم يروون نفس الرواية: قتل جميع رجالهم في اليوم الأول من المسيرة، بعدها تم الاعتداء على النسوة والفتيات بالضربة وسرقن واختطف بعضهن.. حراسهم كانوا من أسوأ العناصر،كما سمحوا لأي من كان من القرى التي عبروها باختطاف النسوة والاعتداء عليهن، لم تكن هذه مجرد روايات بل شاهدنا بأم أعيننا هذا الشيء يحدث علنا في الشوارع).

استمرت جرائم الإبادة ضد الأرمن حتى عصر الجمهورية التركية، ففي عام ١٩٢٢ هاجمت القوات التركية مدينة ازمير وأحرقت الاحياء الأوربية بأكملها، وارتكبت مجازر بحق السكان تسببت في هلاك مائة ألف معظمهم من الأرمن.

ويتفق معظم المؤرخون أن عدد القتلى الأرمن لا يقل عن مليون نسمة، إضافة إلى تشريد مليون آخرين، صحيفة نيويورك تايم في عددها الصادر بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩١٥ ذكرت أن ما يقارب المليون شخص من الأرمن أهلكتهم القوات التركية.

وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى طاردت القوات البريطانية عدد من العسكريين العثمانيين لمحاكمتهم في جرائم الابادة بحق الارمن، إلا أن معظمهم تمكن من الهرب والاختفاء، فحكم عليهم بالإعدام غيابيا، ما عدا قائد واحد فقط يدعى "حاكم يوزغت"، حيث أعدم بعد إدانته بإبادة مئات الأرمن.

الرحلة الخامسة

سياحة في بعض الأنظمة الديكتاتورية في العالم

لقد سنت الأنظمة الاستبدادية والديكتاتورية والطاغوتية قوانين وأعراف تتعارض مع بديهيات حقوق الإنسان في عصرنا الراهن، حتى أن بعضها يتسم بالغرابة والطرافة لبعده التام عن الحضارة والإنسانية، وكان من نتائجها صنع ثقافة اجتماعية ووطنية شاده ومعزولة ومعادية للثقافة الإنسانية المعاصرة، علاوة على كافة الثقافات والأعراف والنظم الفرعية والمحلية الأخرى في معظم أنحاء العالم، وخلق تيارات وقوى سياسية عدوانية ومتطرفة، مستعدة لممارسة الإرهاب والعنف لتحقيق أهدافها، سواء داخل وطنها أو خارجه، وهذا ما يعانيه العالم اليوم من عدة بلدان تعج بالقوى والتيارات المتطرفة والمتشددة ككوريا الشمالية والعراق و أفغانستان وباكستان، حيث أصبحت هذه البلدان وأمثالها بؤر توتر وبث للقلاقل وتصدير للعنف والثقافة المعادية للحضارة الإنسانية العالمية.

ويتفاوت حجم ومستوى قمع كل نظام بدرجته في سلم الطغيان،فإن كان النظام استبداديا كان قمعه محدودا، وإن كان دكتاتوريا كان قمعه كبيرا، وإن كان طاغوتيا (أي أعلى مراتب الطغيان وأشدها فتكا وتدميرا) كان القمع أعظم وأخطر وأكثر هولا.

وخلال الرحلات السابقة سافرنا في أربع رحلات متتالية في سيرة أعتى طغاة الشعوب، من الذين كتبت سيرتهم بدماء شعوبهم، وسودوا صفحات التاريخ بشنيع أفعالهم، وفي هذه الرحلة سنقوم بسياحة سريعة في سيرة أبرز الأنظمة الديكتاتورية وقادتها، وسنستعرض عجيب قوانينهم وغريب صنائعهم ووحشية أتباعهم، وذلك في الصفحات القادمة إن شاء الله.

النظام الشيوعي في كوريا الشمالية.

يعاني الشعب الكوري الشمالي من ديكتاتورية النظام الشيوعي الحاكم في بيونغ يانغ، الذي حول كوريا الشمالية إلى بلد من أكثر البلدان عزلة وبؤسا، حيث يعيش الإنسان الكوري الشمالي في ظل نظام حكم ديكتاتوري تولتاري فاشي قمعي لا حدود له، قائما على استعباد البشر والاستخفاف بحياتهم، فالكائن البشري ليس له أية قيمة أو حقوق، والفرد والمجتمع خدم مطيع للنظام الشيوعي الذي تقوده عائلة كيم إل سونغ، أول زعيم للبلاد، منذ نشوء النظام الشيوعي في عام ١٩٤٥.

في كوريا الشمالية يحكم بالإعدام على القاتل والسارق على حد سواء، بل كل من يحاول الهرب من البلد يمكن أن يعدم فورا وبشكل علني ومن دون أية محاكمة، والمعروف إن الإنسان الكوري ليس له حق السفر إلى خارج البلاد إلا بشروط عسيرة ومعقدة، حتى إن الانتقال للعيش من مدينة لأخرى يحتاج إلى إذن حكومي، مما حول البلاد إلى معتقل حقيقي في ظل قمع النظام وديكتاتوريته وممارسته للاضطهاد الذي لا حدود له.

في هذه البلاد الموحشة تحظر حظرا شاملا الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية والنقابات العمالية، وحيازة الكتاب المقدس من دون تصريح قد تسبب بعقوبة السجن أو الإعدام.

في مؤشر حرية الصحافة حصلت كوريا الشمالية على المرتبة الأخيرة في تقرير منظمة مراسلون بلا حدود لعام ٢٠١٢، المعروف إن كافة الصحف مملوكة للدولة، ومحظور افتتاح صحف خاصة، وكافة الأخبار المحلية والدولية تصل للصحف ووسائل الإعلام الحكومية الأخرى من خلال وكالة الأنباء المركزية الكورية فقط.

في منتصف التسعينيات حدثت مجاعة رهيبة في كوريا الشمالية راح ضحيتها مليون مواطن ولم تنته إلا بعد أن قبلت الحكومة مساعدات خارجية.

من القوانين الغريبة التي أصدرها رئيس كوريا الشمالية كيم جونغ اون وأمر الشعب الكوري العمل بها هو تحديده لأشكال قصات الشعر! بحيث تحدد حرية اختيار قصة واحدة من ضمن ١٨ قصة للإناث مسموح بها في البلاد، وأمر القائد الملهم كيم كونغ بأن يكون للمتزوجات قصات محددة، لكي يعرفن بها أنهن متزوجات، وأن لا يسمح لغير المتزوجات بها!، وبالعكس، فقصات النساء العزباوات لا يسمح للمتزوجات بها! أما الذكور فقد منع عليهم صبغ الشعر والقصات الغربية، والالتزام بالقصات المتعارف وعددها عشر قصات فقط! وتقضي جميعها أن لا يكون طول الشعر أكثر من ٥ سنتيمترات.

يمنع في أسواق كوريا الشمالية استيراد آلاف السلع الاستهلاكية لأسباب مختلفة سياسية وعقائدية و اقتصادية، فالبيبسي مثلا لن تراه في أسواق بيونج بيانج، ويمنع في أسواق كوريا الشمالية استيراد وبيع أجهزة

الراديو والتلفزيون، والأجهزة المسموح بشرائها معدة مسبقا لاستقبال ترددات القنوات الحكومية فقط، ومختومة بتحذير يمنع العبث بها، ومخالفة التحذير تعتبر جريمة جنائية خطيرة.

والاستماع مثلا إلى راديو كوريا الجنوبية يعرض المرء إلى المحاكمة قد تقود إلى الإعدام!

أما الانترنت فغير مسموح به في كوريا إلا لعدد قليل من المسئولين من خلال اتصال مستأجر من الصين، نسبة استخدام الانترنت في كوريا الشمالية تقارب الـ ٠% ، وفي الإحصائيات الأخيرة: إن نسبة امتلاك الهواتف الذكية لدى الكوريين الشماليين لا تزيد عن ٥%، حيث يتطلب الحصول على هاتف ذكي تصريح حكومي وإجراءات معقدة! وليس هذا فقط بل إن الاتصال بين المواطنين والأجانب السائحين يغضب السلطات في أغلب الأحيان!

وبسبب قلة الغذاء في البلاد وضعف الرعاية الصحية و انتشار الفقر وقلة المداخيل فقد أدّى هذا إلى قلة أحجام الصبيان الكوريين الشماليين، فوفقا لتقرير مركز استيطاني للاجئين في كوريا الجنوبية فإن حجم الصبيان في سن المراهقة من كوريا الشمالية أقل بخمسة بوصات طولا و٢٥ رطلا وزنا مقارنة بنظرائهم الجنوبيين، وطبقا لتقرير صادر عن مجلس الاستخبارات القومي (مؤسسة بحثية أمريكية) فإن التخلف العقلي الناتج عن سوء التغذية سيفقد ربع المجندين في كوريا الشمالية أهليتهم وكفاءتهم، ويضيف التقرير: إن كثرة الإعاقات الذهنية الناتجة عن الجوع لا سيما بين الشبان من المحتمل أن تشل النمو الاقتصادي لكوريا الشمالية حتى لو انفتحت اقتصاديا أو اتحدت مع كوريا الجنوبية في دولة واحدة، وكتب عالم إغاثة في مذكراته التي دونها عقب زيارته لبعض المدارس والمراكز التعليمية في كوريا

الشمالية عام ٢٠١٠: (تبدو الحضانات ومدارس الأطفال والمدارس الداخلية في حالة مزرية. وإمكانية الوصول إلى الطعام محدودة للغاية، فضلاً عن أن الأطفال عرضة لأخطار اجتماعية ونفسية).

حتى عام ٢٠٠٦ كان ٧٠% من الأطفال يعانون من سوء التغذية، و٢٣% منهم يعانون من نقص الوزن، وواحد من كل ثلاث أمهات يعانين من سوء التغذية، وفي ٢٠١١ قالت صحيفة صنداي تلجراف البريطانية: إنها التقت أربعة كوريين شماليين نجحوا في تخطي الحراسة الأمنية الشديدة على الحدود مع الصين، وتحدثوا عن عودة نقص المواد الغذائية في بلادهم ووصول البلاد إلى مستوى المجاعة، قال أحدهم: إن الناس يضطرون إلى الذهاب إلى الجبال لجمع النباتات البرية لغليها وشرب حسائها، في محاولة يائسة للهروب من الجوع، مبينا أن الناس فقراء جدا، وبعضهم يضطر إلى أكل روث الحيوانات عندما لا يستطيع الحصول على الأرز أو الذرة.

في عام ١٩٩٤ عندما توفي رئيس البلاد السابق كيم جونغ إل، نشرت صحيفة "ديلي إن كيه" الالكترونية عن معاقبة بعض المواطنين في العمل الإلزامي في معسكرات العمل لأنهم لم يحزنوا كما يجب على وفاته! حيث إن بعضهم لم يبكوا أثناء حضورهم مراسيم الحداد! وبعضهم اتضح أن حزنهم لم يكن حقيقيا!

عند المقارنة بين الكوريتين فإن عدد سكان كوريا الجنوبية ٥٠ مليون نسمة، أي: أكثر من ضعف عدد سكان كوريا الشمالية، ومتوسط دخل الفرد في الجنوبية أعلى ٢٠ مرة من متوسط دخل الشمالية، والأهم فإن متوسط العمر في الجنوبية أعلى ب٢٢ مرة من الشمالية!

وتنشر الصحف بين الحين والآخر تقارير عن الحياة في هذه البلاد الكئيبة، منها صحيفة دايلي ميل البريطانية التي نشرت تقريرا عن نظم التعذيب المعتمدة في معسكرات الاعتقال التي يبلغ عدد نزلائها ما بين ١٥٠٠٠٠ و٢٠٠٠٠٠ فردا وعائلاتهم، رواها بعض الناجيين الذين تمكنوا من الفرار من جحيم الحياة في كوريا الشمالية، إذ يورد التقرير قصة شاب سقطت منه سهوا ماكينة خياطة، وتعذر إصلاحها، فما كان من مدير المصنع إلا أن أرسله إلى معسكر العمل رقم ١٤، وهناك قطعت إصبعه الوسطى من يده اليمنى! باستخدام سكين مطبخ كبيرة!

وتعتبر هذه العقوبة وحشية ومرعبة بالنسبة لنا إلا أنها في نظر هذا العامل الشاب الذي يبلغ من العمر٢٢ عاما فقط عقوبة خفيفة بل مخففة! لأنه كان يتصور أنه سيتم قطع يده كلها! وهو ما جعله يشعر بالشكر والامتنان!

وتحدثت شاهدة أخرى عن حضورها لجريمة إجبار إحدى الأمهات على إغراق طفلها الرضيع! من خلال غمر رأسه بالماء، وتضيف: ظلت الأم تتوسل للحارس كي يتركها، لكنه كان يستمر في ضربها، ما دفع بالأم ويداها ترتعشان إلى أن توجّه وجه الطفل صوب الماء. وبعدما أنزلته توقف صراخه وصعدت فقاعة، في تأكيد على مفارقة الرضيع الحياة.

ويروى شاهد آخر عن و اقعة إعدام شخص ملأ فمه بالحجارة حتى لا يتلفظ بأي عبارة تنتقد النظام قبل موته الوشيك قد يسمعها المتفرجون! بعدها وضع حبل حول عينيه وآخر حول صدره وثالث حول خصره ثم أطلق عليه الرصاص، ليفارق الحياة على الفور.

ويتحدث شاهد عن إجباره على مشاهدة مقطع فيديو لإعدام والدته شنقا وشقيقه رميا بالرصاص!

ويتحدث الشهود عن أمر قائد المعسكر المساجين بإلقاء الحجارة على جثامين المعدومين حتى يتساقط جلدها.

ويقدم للسجناء لحم الفئران لاتقاء إصابتهم بمرض مميت نتيجة نقص التغذية.

ومن مهازل العائلة الحاكمة في كوريا الشمالية أن الزعيم الراحل كيم ال سونغ جلس ذات مرة على كرسي في مكان عام في العاصمة، فتم منع الناس من الجلوس عليه بعد موته! وأحيط بصندوق زجاجي وأصبح جزءا من إرث الزعيم الخالد!

وتورد الصحافة العالمية أخبارا غريبة ومرعبة عن كوريا الشمالية، يصعب تصديقها لولا تواترها، منها ما يلي:

- يحظر على المواطنين مشاهدة القنوات الأجنبية، ومن يخالف يعدم، وقد أعدم ما لا يقل عن خمسين مواطنا بتهمة مشاهدة قنوات كورية جنوبية.
- حظر اجراء المكالمات الدولية دون تصريح حكومي، وقد شهد عام ٢٠٠٧ إعدام أحد المدراء الحكوميين لإجرائه مكالمة دولية دون إذن مسبق.
- امتلاك سيارة خاصة يحتاج إلى تصريح حكومي خاص، وأغلبية التصاريح تمنح للمسئولين الحكوميين.
- لا بد من الحصول على تصريح للإقامة في العاصمة بيونغيانغ.
- في عام ٢٠١٣ أعدم ثمانون مواطنا مسيحيا على خلفية نشاطاتهم الدينية المسيحية.

- مدة حكم الرئيس الكوري المدونة في الدستور مدتها ستين عاما.
- الموسيقى الغير كورية والأفلام الإباحية من المحظورات وتقود للمحاكمة.
- يحظر على المدرسين والطلاب وعموم المواطنين استخدام اللون الأحمر تحت طائل المحاكمة.

ليبيا... جمهورية الكتاب الأخضر.

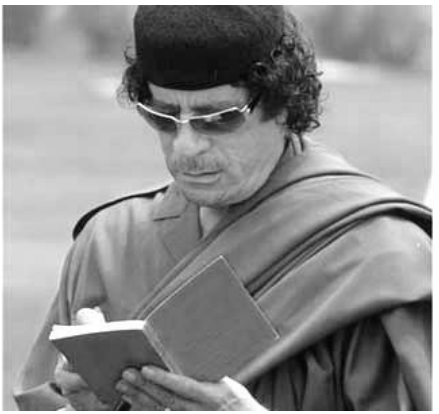

بدأت مأساة ليبيا مع العقيد معمر القذافي، عندما نجح في تنفيذ انقلاب ضد النظام الملكي عام ١٩٦٩، في السنوات السبع الأولى كان النظام في ليبيا تقليديا إلا أنه من دون هوية أو رسالة واضحة، في عام ١٩٧٧ قرر القذافي إلغاء المؤسسات الحكومية والوزارات وحل مكانها ما أطلق عليه سلطة الشعب، التي يمارسها عبر المؤتمرات واللجان الشعبية والنقابات والاتحاد المرتبطة بها، وبالتالي ألغي في ليبيا مسمى الوزارات والنظم الإدارية التقليدية، وفعليا قضى القذافي على الشكل الطبيعي للدولة وجاء بشكل قبيح دمر ليبيا، وكان القذافي على الرغم من ادعائه أنه لا يمسك بمنصب رسمي ولا يمارس سلطة فعلية، وأن السلطة الوحيدة هي سلطة الشعب من خلال اللجان الشعبية إلا أنه في الو اقع كان الحاكم الفعلي والمطلق للبلاد، فمن الناحية العملية كان المؤتمر الشعبي العام لا يجتمع سوى مرة واحدة في السنة، مما أضعف من صلاحياته ونفوذه، وكان يصدر قرارات في بعض الأحيان تتعارض مع توجيهات وآراء قائد الثورة فيضطر إلى إلغائها!

ومنذ وصول القذافي إلى الحكم وهو يصدر المراسيم والتشريعات التي تعكس استبداده ودكتاتوريته وبعد قوانينه عن الثقافة المعاصرة، منها منع الإضرابات والاعتصامات والتظاهرات، ما عدا تلك التي تنظمها السلطة، بل ويعاقب من يتخلف عنها، ففي عام ١٩٧٢ أصدر العقيد القذافي أمرا موجها إلى دوائر ومؤسسات وشركات الدولة ينص على: (إخراج العاملين والموظفين في المسيرات والتظاهرات التي تنظمها السلطة، ومعاقبة المتخلفين عن ذلك والرافضين للمساهمة فيه).

كما أصدر القذافي مراسيم وأوامر بحظر الأحزاب السياسية بشكل مطلق، وتأميم الصحف ومنع إنشاء صحف مستقلة، يقول القذافي في أخضره: (أنا أشهد بنفسي أن كل الصحف الحرة هي صحف مرتشية وبذلك تكون صحفاً فاسدة). ووفقا لمقالة الأمين العام للاتحاد الليبي للمدافعين عن حقوق الإنسان شارف الغرياني فإن القذافي وجه بما نص: (نعدم حتى الأبرياء بقصد إرهاب الجاني الحقيقي الذي قد لا يكون معروفاً في تلك اللحظة.. من يريد أن يتحدى الثورة إذا كان في الداخل هذا أمر مفروغ منه، سنداهم هذا الموقع وندمره حتى لو كان مسجداً، وإذا كان في الخارج علينا أن ننتقل إليه في الخارج فنهاجمه وننفذ فيه حكم الإعدام).

في عام ١٩٩١ صدر القانون رقم (٥) بشأن تطبيق مبادئ الوثيقة الخضراء المستمدة من الكتاب الأخضر، جاء في مقدمتها (إن الكتاب الأخضر دليل البشرية نحو الخلاص النهائي من حكم الفرد والطبقة والطائفة والقبيلة والحزب، من أجل إقامة مجتمع كل الناس فيه أحرار متساوون في السلطة والثروة والسلاح واستجابة للتحريض الدائم للثائر الأممي معمر القذافي صانع عصر الجماهير).

الكتاب الأخضر كتاب ألفه القذافي يقول فيه: إنه المحصلة النهائية لكفاح الشعوب ونضالها ضد أنظمة الاستغلال والعبودية، وإنه يقدم حلولا لجميع المشاكل والإشكاليات المجتمعية في ليبيا والوطن العربي والعالم.

وقد أصبح هذا الكتاب من أهم مؤسسات دولة القذافي، حيث أسس له مركز أسماه "المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر" ودعمه بملايين الدولارات من قوت الليبيين، فكان التقرب منه أو العمل فيه مصدر رزق لآلاف الكتاب العرب والأفارقة، يقول الكاتب المصري جمال عيد: (خمسمائة دولار حصلت عليها نتيجة محاضرة متواضعة عن حرية التعبير على الانترنت في مؤتمر هزيل حول الإعلام الإلكتروني، عقد بمقر المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، كنا أكثر من مائة مشارك، إقامة وتذاكر سفر، ومقابل مادي ضخم، ماذا لو كنت كتبت مقالا يمدح أو يثني على هذا الكتاب الساذج؟).

وقد حفل الكتاب بعدد من الأفكار الغبية كقول مؤلفه في إحدى الصفحات: إن من ضمن الاختلافات بين الرجل والمرأة أن الرجل لا يحمل! وإن السود في العالم يتكاثرون بلا حدود لأنهم يمارسون الخمول في جو حار دائم!

في عصر الفضائيات والإعلام الخاص، والتقدم الهائل في وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات، في ليبيا القذافي يمنع فتح أي محطة تلفزيونية أو إذاعية خاصة، وبطبيعة الحال فإن أغلب الصحف العربية والدولية ممنوعة من دخول جمهورية الكتاب الأخضر، وحرية التعبير في هذه الدولة ليس لها وجود.

يقول القذافي في خطاب له عام ١٩٧٣:

(أنا لا أقبل أن واحدا يسمم أفكار الناس وهو ليس بقادر على قبول التحدي... هذه حصلت في الجامعة وحصلت في الشارع... وعليه أنا أقول لكم أي واحد نجده يتكلم عن الشيوعية أو فكر ماركسي أو إلحادي سوف يوضع في السجن، وسأصدر الأمر لوزير الداخلية بتطهير أي مجموعة من هؤلاء الناس المرضى).

ويروى أن القذافي عندما زار إيطاليا ذات مرة نصح برلسكوني بإلغاء جميع الأحزاب السياسية قائلا:

(لو كان الأمر بيدي لألغيت الأحزاب السياسية ومنح الشعب الإيطالي السلطة المباشرة ووقتها فإنه لن يكون هناك يمين ولا يسارولا وسط فالنظام الحزبي يجهض الديمقراطية).

وبدلا من إنفاق ثروات الشعب الليبي وفوائض النفط المليارية على ليبيا أنفق القذافي ٤٠% من عائدات النفط على الأسلحة والإنفاق العسكري، بما فيها دعم وتمويل عشرات الحركات الثورية المسلحة في أربعين دولة عربية و افريقية وآسيوية وأوربية أيضا، ما أسفر عن تجميد وقطع علاقات مع أكثرمن خمسين دولة من مختلف القارات.

بينما ظلت البنى التحتية طوال عهد القذافي رغم عوائد النفط في حالة يرثى لها من الضعف، فمعظم المدارس بنيت في عهد الاحتلال الإيطالي بينما ١٠% منها فقط بنيت في عهد القذافي، واكبر مستشفيات ليبيا بني في العهد الملكي، ولم يسلم الاقتصاد من جنون القذافي، فقد أمر بإنشاء نهر صناعي أسماه "النهر الصناعي العظيم" كلف الخزينة مئات الملايين، وكان ناتجة محدودا جدا إذا ما قيست بتكاليفه، حسب رأي أغلبية الخبراء، إذ

كان على الدولة الليبية إنشاء محطات تحليه وتنقية وسدود لتوفير احتياجات السكان من المياه والري بدلا من عنه، ومعظم المؤسسات العامة الليبية كانت خاسرة وتعتمد على دعم الدولة للبقاء، ومعظم البنى التحتية الأخرى ضعيفة ومهترئة، والقطاع الخاص الليبي ليس له وجود، فكل الأنشطة الخدمية والإنتاجية والاقتصادية والشركات الكبرى مملوكة للدولة، مما نتج عنه بيروقراطية مرعبة، وفساد مالي وإداري شامل وراسخ، وكان لهذا الأثر السلبي الكبير على كافة أصعدة ومسارات الحياة في ليبيا.

انتهج القذافي كغيره من الحكام الديكتاتوريين سياسة اغتيال وإعدام وسجن المعارضين لحكمه، وكان أخطر ما أمر به القذافي هو اغتيال الإمام اللبناني الشهير موسى الصدر، حيث تتطابق الروايات أنه دخل في جدل ديني حاد مع القذافي، فخرج بعده الصدر متهما إياه بالكفر، بينما كان القذافي خانقا عليه، وسرعان ما أصدر أمرا لجهاز مخابراته بتصفيته مع مرافقيه، المعروف إن الصدر فقد في ليبيا، ويستحيل أن لا تعرف حكومة القذافي عنه شيئا، وهي التي تحكم ليبيا بالعسف والقهر.

وفي عام ١٩٩٦ وقعت مجزرة سجن أبو سليم، حيث أمر القذافي بتصفية ١٢٠٠ سجين سياسي، بعد أن تمردوا على إدارة السجن وخطفوا أحد الضباط، وبعد مفاوضات معهم وعدت الإدارة بتحسين ظروف اعتقالهم وأن يقدموا إلى المحاكمة لإنهاء وضعهم ومعرفة مصيرهم، وبعد إفراجهم عن الضابط تلقت إدارة السجن أوامر مباشرة من القذافي بإعدامهم، فجمعوا في الباحة وأطلق عليهم وابل من الرصاص قتل على إثرها ١٢٠٠ سجين، وكانت هذه الإعدامات الشرارة التي انطلقت منها ثورة السابع عشر من فبراير ٢٠١١ التي أطاحت بحكمه.

خلال حكم القذافي تعرضت ليبيا إلى الكثير من المعانات في ظل دولة الكتاب الأخضر، فقد دخلت في حرب خاسرة مع تشاد ما بين ١٩٧٨- ١٩٨٧، وقبلها اشتباكات عسكرية مع حكومة أنور السادات عام ١٩٧٧، أدت إلى تعرض ليبيا إلى قصف الطائرات الحربية المصرية، وقام القذافي بشن هجمات واعتداءات ضد الولايات المتحدة وعدد من حلفائها، مما أدّى إلى شن الطائرات الأمريكية غارات على طرابلس عام ١٩٨٦، وفي عام ١٩٨٨ انفجرت طائرة مدنية أمريكية فوق سماء بلدة لوكربي في اسكتلندا، واتهمت فيها ليبيا، وطلبت الولايات المتحدة تسليم اثنين من مواطنيها متهمين بتنفيذ الانفجار، ونتيجة لرفض القذافي تسليم مواطنيه، وهما عنصرا استخبارات ليبية، فرض على ليبيا حظر جوي ومجموعة من العقوبات الاقتصادية والتجارية والسياسية، كما اتهم القذافي بمحاولة اغتيال الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز عام ٢٠٠٣.

في عام ٢٠٠٩ وخلال تقديمه اعتذار للعاهل السعودي عبد الله بن عبد العزيز عن ما حصل بينهما عام ٢٠٠٣ قال عن نفسه: أنا قائد أممي وعميد الحكام العرب وملك ملوك أفريقيا وإمام المسلمين. مكانتي العالمية لا تسمح لي أن أنزل لأي مستوى آخر!

وللقذافي ألقاب أخرى عديدة غير ما ذكرها في ملاسنته الشهيرة فهو ملك ملوك أفريقيا! وأمين القومية العربية! وعميد الحكام العرب! وإمام المسلمين! والمفكر والقائد الامي! وغيرها الكثير.

والاسم الرسمي لجمهوريته "الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى"!

في هذه الجماهيرية العظمى لا دستور ولا قانون ولا نظام حكم متعارفا عليه وواضحا، بل إن كل شيء فيها هو القذافي نفسه!

يتحدث أحد العمال المصريين عن طرابلس عاصمة الجماهيرية وحاضرتها فيقول: (في طرابلس لن تجد أماكن مثل "سيتي ستارز" و "جنينة مول" و "كارفور" و "سبينيس".. إلخ.

كل هذه الأشياء لا مكان لها في جماهيرية القذاف، فهي مظاهر رأسمالية مستغلة لا مكان لها في مجتمع اشتراكي مثل المجتمع الليبي.

أما محلات مثل كنتاكي وبيتزاهت و هارديز وماكدونالدز فهي بالطبع (خيال علمي) لا مكان لها على أرض جماهيرية القذافي، فكلها رموز للإمبريالية الأمريكية العفنة.

البنوك في طرابلس لا تزال تسير بنظام عفا عليه الزمن وأعتقد أنه لا مثيل له في أية من دول العالم الآن، فأغلب البنوك لا تزال غير مربوطة بشبكة واحدة.

بمعنى: إنه أن كنت تتعامل مع أحد فروع بنك ما، فلا يجوز أن تتعامل مع فرع آخر لنفس البنك غير هذا الفرع الذي قمت بفتح حسابك فيه).

ويضيف: (ناهيك عن ندرة ماكينات الصراف الآلي لدرجة أنك تستطيع أن تعد عدد هذه الماكينات المتواجدة في طرابلس كلها على أصابع يديك الواحدة.

طبعا استعمال ال "visa card" و "master card" لا مجال له في ليبيا، فالأغلب الأعم من المحال سواء الكبرى أو المتوسطة لا تمتلك الجهاز اللازم لاستعمال مثل هذه الكروت.

باختصار فإن التكنولوجيا البنكية والتي ينعم بها العالم كله والتي جعلت الحياة أسهل كثيرا لم يكن لها وجود في جماهيرية القذافي، ولا أدري

هل كان ينتوي أن يقوم بتطوير هذا القطاع الهام والحيوي أو إنه كان يعتبر أن تلك التسهيلات الحياتية جزء من الرأسمالية المتعفنة أيضا؟).

وكان يعتمد في الجماهيرية العظمى تقويم سنوي نادر، فقد أضاف القذافي مسميات جديدة للأشهر الميلادية وأمر باعتمادها، فمثلا أغسطس (هنيبعل)، ويوليو (ناصر)، سبتمبر(الفاتح)، وأمر باعتماد تقويم إسلامي جديد يبدأ من وفاة النبي (ﷺ)، وكان تدريس أفكاره الواردة في الكتاب الأخضر جزءا مهما من المناهج المدرسية.

****

في عام ٢٠٠٣ أطيح بحكم طاغية العراق صدام حسين، بعد ذلك بعدة أشهر أعلن القذافي بأنه سينهي كافة برامج تسليحه الغير تقليدية، مما أثار إعجاب الغرب، وقد تحسنت علاقاته مع الدول الغربية، وزال خطر غزو ليبيا أو تعرضها لحرب على شاكلة حرب على العراق التي أسقطت نظام صدام، إلا أن معمر القذافي لم يكن يتصور أن الخطر الذي سيقضي عليه سيكون من شعبه الذي حكمه أربعين عاما، ففي عام٢٠١١ اندلعت انتفاضة فبراير، وسرعان ما انضم لها الآلاف من أفراد الجيش والأمن والقادة السياسيين والمواطنين، وتحولت إلى حرب أهلية طاحنة، وخلال ثمانية أشهر من النزاع المسلح، تمكن جيش الثورة من الانتصار وإسقاط نظام حكم القذافي، الذي قبض عليه مختبئا بالقرب من أنبوب صرف صحي، وقتل بعد عدة ساعات، وعرضت جثثه على الجمهور لخمسة أيام، ثم دفن، وقتل في هذه الحرب عدد من أبنائه وقادته وأنصاره، وهكذا كانت نهاية هذا الرجل الذي دمر وطنه وأذل شعبه وحطم بلاده لمدة أربعين عاما من الاستبداد والديكتاتورية، وهذه هي النهاية الطبيعة لكل الطغاة على وجه هذه الأرض، يقول د. شوقي العقباوي، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر:

(الطغاة أنواع يأتي في مقدمتها النوع الذي ينتمي له القذافي، وهو المريض العقلي المصاب بالبارانويا، حيث يرى نفسه مختلفا عن كل البشر والأفضل عنهم، وهو لديه استعداد للإصابة بهذا المرض من بداياته، ومع نجاح ثورته عام ١٩٦٩ زادت حالته، خصوصاً مع التفاف الناس حوله وسيطرته علي أموال ليبيا، فأصبح كل شيء تحت يديه ورهن إشارته، فتحول إلي عملاق مريض له منطقه الخاص، الذي تجسد في قناعاته وآرائه الغريبة التي حواها كتابه «الكتاب الأخضر» يتسم بالعنف الشديد تجاه من يخالفه الرأي، لذلك كان رفضه التام للثورة المخالفة له، واستخدامه العنف الشديد معها، إلى أن انتهت حياته بهذا الشكل المأساوي الذي يكون عادة في انتظار كل طاغية).

كوبا الشيوعية.

كوبا الشيوعية فيها من القوانين القاتلة للكائن البشري الكثير، فطلاب الطب يحظر عليهم بعد التخرج افتتاح عيادات خاصة وعليهم العمل فقط في مستشفيات الدولة.

ويحظر بيع أجهزة استقبال القنوات الفضائية ومعداتها، ويمنع في الجزيرة الشيوعية الانترنت إلا بتصريح خاص ولا ينطبق إلا على عدد محدود جدا من المواطنين (٣,٤ % فقط من المنازل في البلاد تحتوي خدمة الانترنت وفقا لاحصائيات ٢٠١٦).

يمنع على المواطن الكوبي السفر إلا أن بتصريح خاص لا يحصل عليه إلا القليل، ومن يحصل على تصريح ويغادر الجزيرة ولا يعود فإنه يعتبر هاربا وتصادر أملاكه ولا يسمح له بالعودة مرة أخرى.

جحيم الحياة في كوبا كان له وقع رهيب على شعب هذه الجزيرة، ففي عام ١٩٨٠ لجأ ١٠٠٠٠ كوبي دفعة واحدة لسفارة البيرو طالبين اللجوء السياسي، وكانت وقعة أذهلت العالم،، نظرا لكثرة العدد، وقد سمحت لهم

حكومة كاسترو لهم بالمغادرة، بل وسمح لمن أراد من الكوبيين بمغادرة الجزيرة، فغادر أكثر من ١٢٥ ألف كوبي إلى الولايات المتحدة ودول أخرى، ووفقا للإحصائيات فإن عدد الكوبيين في الخارج مليون ونصف ضمن عدد سكان كوبا البالغ ١٢ مليون نسمة.

بعد تنازل كاستروا عن السلطة وتولي شقيقه راؤول، حدث بعض التحسن الطفيف في حياة السكان المكبلين بقوانين وأنظمة القمع الشيوعية، فقد أصدر راؤول قرارا بالسماح بدخول أجهزة الكمبيوتر المكتبي والمحمول، وقرارا آخر بالسماح للكوبيين بشراء وبيع سيارتهم، بعد حظر مفروض على بيع وشراء السيارات امتد نحو ٥٢ سنة!، فخلال تلك العقود لم يكن مسموحا ببيع وشراء سوى السيارات الموجودة في كوبا قبل ثورة ١٩٥٩ بعد الحصول على تصريح حكومي، وبموجب القانون الجديد سيكون مسموحا للتجار الكوبيين استيراد بعض أنواع السيارات وعرضها للبيع،

وسيتمكن المواطن الكوبي من بيع وشراء أي سيارة بدون إذن رسمي، إلا أن القانون الجديد لا يخلو من القيود الغريبة أيضا، فالمواطن الكوبي لا يسمح حله باقتناء سيارة جديدة إلا كل خمسة سنوات، والأجانب لن يسمح لهم باستيراد سوى سيارتين طوال فترة إقامتهم.

وإلى وقت قريب كانت صالونات الحلاقة وورش الحدادة والبقالات الصغيرة مؤسسات حكومية، وكان العاملين فيها موظفين حكوميين، حتى بدأت الحكومة الجديدة بقيادة راؤول بإجراء إصلاحات اقتصادية من ضمنها تخصيص المنشئات الصغيرة التي كانت تحت طائلة التأميم منذ عام ١٩٦٨.

طالبـــان.. إمارة الرعب

رحلتنا في هذه الصفحات لنظام مقبور، تفضل الله تبارك وتعالى على شعب أفغانستان بالخلاص منه، طالبان حكمت أفغانستان من عام ١٩٩٦ واستمر حكمها لخمس سنوات وسقط نتيجة الحرب الأمريكية على أفغانستان عام ٢٠٠١، وخلال نصف عقد من حكمها مارست هذه الحركة كافة أشكال القمع والاضطهاد والتسلط ضد الشعب الأفغاني، لا سيما النساء، حيث سنت طالبان قوانين رهيبة ضد المرأة، منها عدم السير في الشوارع من دون ارتداء العباءة الزرقاء، ومنعها من ارتداء أحذية ذات كعب عال، وسماع خطوات النساء ممنوع! وأي رجل تكتشف الشرطة أنه يسترق سمع خطوات أي امرأة يعاقب بالجلد والسجن!

ومنع النساء من التحدث بصوت مرتفع في الأماكن العامة، ومنعهن من الجلوس في شرفات منازلهن، كما فرضت طالبان طلاء كافة نوافذ الطوابق الأرضية والأولى أو سترها منعا لرؤية النساء من خلالها.

تصوير النساء الفوتوغرافي أو السينمائي ممنوع، عرض صورهن في الصحف والمجلات والكتب ممنوع.

إسقاط أسماء النساء من كافة الأماكن العامة كالحدائق والشوارع. ومنع النساء من الظهور في الإذاعة والتلفزيون.

في أكتوبر ١٩٩٦ نفذت حركة طالبان حكما بقطع يد امرأة لأنها كانت تضع طلاء أظافر! وخلال حكم الطالبان عوقبت مئات النساء لمخالفتهن قوانين طالبان.

في إحدى أيام طالبان اكتشفت الشرطة أن امرأة تقوم بتدريس الفتيات في شقتها فتم ضربها وإلقاؤها من أعلى السلم لتكسر ساقها ثم حكم عليها بالسجن.

من قوانين طالبان إنه في حال استقلت امرأة سيارة أجرة برفقة محرم ولم تكن تغطي وجهها بالكامل فإنها تعاقب مع مرافقها والسائق.

إذا قبض على امرأة وهي تقوم بغسل ملابسها في أحد الأنهار فإنه يتم اقتيادها لمنزلها ويقبض على زوجها ويعاقب.

ولم يكن مسموحا بمعالجة المرأة من قبل طبيب إلا بوجود محرم، وبسبب هذا القانون توفيت الكثير من النساء الأفغانيات.

وشهدت أفغانستان طالبان زيجات لمئات الفتيات دون سن الخامسة عشرة، حيث إن المرأة ومن سن الثامنة لا يسمح لها الاتصال بالرجال إلا من المحارم، مما سبب مشاكل عويصة في المجتمع الأفغاني، كانت من حلوله زواج الفتيات القاصرات.

كانت قوانين هذه الحركة مدمرة للحياة الإنسانية على غرار نظيراتها من أنظمة الحكم الطاغوتية التي ابتليت بها البشرية منذ وجودها، وكان قانون القتل من بديهيات القوانين والأنظمة التي كانت تصدرها طالبان، فزيارة القبور والتبرك بها جزاءه الإعدام في شريعة طالبان، يروي أحد رجال الدين الباكستانيين أنه دخل أحد الأضرحة فوجد لوحة مكتوب عليها: (كنت

قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكِّر الآخرة). مع لوحة أخرى مكتوب عليها: من جاء إلى هذا القبر متوسلاً به أو مستشفعاً به أو مستمداً به فجزاؤه القتل.

منعت طالبان الرجال من إطالة الشعر وحلق اللحية، والعقوبة سجن المخالف حتى يقص شعره الطويل وتنمو لحيته.

وحرمت سماع الموسيقى في كل مكان، ومن يكتشف أن عنده شريط موسيقى أو فيلم سينمائي يتعرض لعقوبة السجن، ولن يخرج إلا بكفالة خمسة أشخاص.

ومنعت الرقص واستخدام الطبول في حفلات الزفاف، وحظرت السينما والمسرح وسائر الفنون، ومنعت التلفزيون وأمرت الأفغان البوذيين بارتداء ملابس تميزهم عن المسلمين، وخلال سنتها الرابعة في الحكم أقدمت على تدمير تمثال بوذا الأعظم في أفغانستان.

وأمرت الأفغان بإغلاق المتاجر وتعطيل كافة الأعمال بما في ذلك قيادة السيارات في أوقات الصلاة، والتوجه لأدائها في المساجد، ومن يرصد يقود سيارته أو لم يغلق متجره فإنه يعاقب بالسجن ولا يخرج منه إلا بكفالة خمسة أشخاص.

ومنعت طالبان تربية الحمام وسائر أنواع الطيور وعقاب المخالفة السجن وذبح الطيور.

ووصل طغيان قوانين طالبان بأنها منعت اللعب بالطائرات الورقية، وحظرت الصور في كل مكان كالفنادق، ولافتات المتاجر، والسيارات، وحظرت استيراد الكاميرات والألعاب البلاستكية المصورة ومنعت التصوير منعاً تاما

ص إلا أن يكون بغرض الحصول على جوازات السفر وما شابهه من الوثائق المهمة.

ومن تعاميم حكومة طالبان أنه يمنع تشغيل الأولاد المرد في مختلف دوائر الحكومة لما قد يسببونه من خلق للفتنة.

ويوضح تعميم حكومي طالباني المواد الممنوعة من الاستيراد ودخول أراضي إمارة أفغانستان الإسلامية منها: لحم الخنزير، الشعر وكل ما هو مصنوع من الشعر البشري، دشات التلفاز، أجهزة تشغيل السينما والأفلام، الآلات الموسيقية والمعازف، طاولات البلياردو، الشطرنج، أوراق الكتشينة، أشرطة الكاسيت الغنائية، اللوبستر (حيوان بحري)، صبغ الأظافر، التماثيل، كتالوجات الموديلات إن كانت بها صور لأي كائن حي ذي روح، اللوحات الفنية والمصورة، بطاقات المعايدة بمناسبة الكريسماس، بطاقات التهنئة إن كانت بها صور ذوات الأرواح.

وقد أطيح بطالبان في نهاية الأمر، إلا أنها تحولت من حكومة إلى حركة مسلحة، ولا زالت لاعبا أساسيا في أفغانستان، وما زالت تشن عملياتها العسكرية التي قتل جرائها الآلاف من الأفغان، حيت تطالب طالبان بعودتها إلى الحكم مرة أخرى، ولا يعرف بعد مستقبل الشعب الأفغاني في مستقبل أيامه، فإما الحكم الرشيد وإما عودة طالبان بكل ما تمثله من قمع وطغيان ورعب.

ديكتاتوريات من هنا وهناك

الحبيب بورقيبه وزين العابدين بن علي.

الحبيب بورقيبه، رئيس تونس من ١٩٥٧ إلى ١٩٨٧، أول رئيس جمهورية بعد الاستقلال، وقد مارس أشكالا من التسلط، فقد أمر بمنع ارتداء الحجاب في دوائر الدولة ومن ضمنها المدارس، ومنع تعدد الزوجات، وحارب فريضة الصيام، وأقر القوانين التي تجيز التبني والإجهاض، وألغى تعدد الأحزاب والحريات الأساسية، وأمر بإغلاق الصحف المستقلة، وغيب مؤسسات المجتمع المدني، وحكم تونس بقبضة بوليسية محكمة، حتى هرم، فانتزع السلطة منه زين العابدين بن علي وجلس على كرسي الرئاسة، وظل يحكم تونس بنفس سياسات سلفه، حتى احتلت تونس في عام ٢٠١٠ المرتبة (١٤٤) في قائمة مؤشر الديمقراطية من أصل (١٦٧)، وإضافة إلى ذلك فقد عانت تونس في عهد بن علي من تراجع مؤشر الاقتصاد، وشيوع الفساد، حيث استولى أقرباؤه على الكثير من مقدرات البلاد، فيما كان الشعب التونسي يعاني من البطالة والفقر وتراجع الحريات والحقوق المدنية، الأمر الذي دفع بالشاب محمد البوعزيزي لحرق نفسه احتجاجا على كارثية الأوضاع التي يعيشها.

وعلى أثر ذلك اندلعت الاحتجاجات ضد حكم الرئيس زين العابدين، سرعان ما تحولت إلى انتفاضة شعبية عارمة، سقط فيها عشرات التونسيين برصاص الأمن، ولكنها انتصرت في النهاية، حيث غادر بن علي تونس فارا لا يعرف إلى أين يتجه! (حتى استضافته السعودية لتوفر له الملاذ والمأوى).١

١) ما بين القوسين إضافة من الناشر لتوثيق ما طرأ من أحداث تلت الثورة التونسية.

آخر شاه لإيران .. محمد رضا بهلوي (١٩١٩ـ ١٩٨٠).

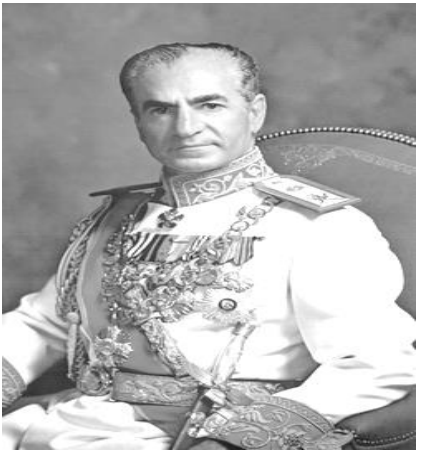

خلف محمد رضا والده رضا بهلوي، الذي حكم إيران كإقطاعية له ولأسرته، وكان من مؤيدي هتلر، حيث زوده بالنفط والغاز، وبسبب موقفه هذا دخلت القوات الروسية إيران مما تسبب في عزله عام ١٩٤١، ونفي إلى جنوب أفريقيا، يقول الكاتب والباحث الإيراني مسعود بهنود في كتابه *القتلى أثر نزاع على القوة *: إن رضا شاه في حين عزله كان يملك ٢٠٠ مليون دولار في البنوك البريطانية، كذلك كان يملك أراضي كثيرة في إيران، خاصة في المنطقة الشمالية، حيث كانت ٧٠٠٠ قرية مسجلة باسمه ثم تحولت هذه الثروة إلى ابنه).

لم يتعظ محمد رضا من مصير والده، وبدلا من أن يحكم بلاده بالرشد والعدل، حكمها بالديكتاتورية والتعسف، مما دفع برئيس الوزراء محمد مصدق إلى العمل على تقليص سلطاته، ونجح في ذلك، إلا أنه تمكن من استعادتها مرة أخرى، بيد أنه لم يتعظ مرة أخرى وعاد إلى ديكتاتوريته

واستبداده، فقد ألغى الأحزاب السياسية، وحكم بلاده بالشرطة السرية التي قتلت وصفت آلاف المواطنين، ودخل في مواجهة سافرة مع رجال الدين في قم، وعلاوة على القمع السياسي كان نظامه يقمع الحريات الدينية والاجتماعية، كالحجاب، وألغى العديد من التقاليد والبروتوكولات الدينية التي تمارسها الحكومة، كالقسم على القرآن الكريم، كما استبدال التقويم الهجري القمري بالتقويم الفارسي الوثني، مما أجج مشاعر الكراهية ضده.

وبسبب فساد نظامه دخل في طاحونة الفقر ملايين الإيرانيين، علاوة على أن نهجه التغريبي السافر وغير المتوازن أجج الشعب الإيراني ضده، حتى بلغ السيل الزبى، ففي نهاية السبعينات حيث خرجت التظاهرات المليونية ضده، وعجزت دولته عن احتوائها، مما أدّى إلى سقوطه للمرة الثانية والأخيرة، وفراره إلى مصر، حيث عاش فيها عاما واحدا فقط وتوفي بعدها جراء إصابته بالسرطان عام ١٩٨٠.

صابر مرادوف نيازوف (١٩٤٠ـ ٢٠٠٦).

أول رئيس لتركمستان بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، تولى السلطة عام ١٩٩٠ حتى وفاته، كان ديكتاتوريا نرجسيا بشكل غير عادي، من مراسيمه حظر الموسيقى المسجلة على أشرطة الكاسيت! ومنع الرجال من إطالة شعر الرأس.

ولكونه نرجسيا فقد سخر موارد الدولة الفقيرة لإشباع رغباته الدفينة، فقد أمر في سنة من سنوات حكمه ببناء قصر من ثلج! في بلده الذي تغطي الصحراء القاحلة نصف مساحته.

وكان يوم ميلاده مناسبة وطنية، ولفرط هيامه بذاته سمى أيام الأسبوع وأشهر السنة باسمه وأسماء أسرته، فشهر يناير أسماه "تركمانباشي" (أي والد كل التركمان)، وشهر سبتمبر أسماه "روكهاناما" (اسم كتاب ألفه وأمر بتدريسه في المدارس)، ولأنه ابن بار بوالدته المتوفاة! فقد قرر أن يغير شهر ابريل إلى اسمها "جوبانورسولطان!"

(استمر تداول مسميات الشهور التي وضعها هذا الديكتاتور طوال فترة حكمه، وبعد وفاته عادت إلى سابق عهدها).

ومن الطبيعي القول: إن قسم ليس بالقليل من أموال الدولة وضعها في حسابات مصرفية بإسمه وبأسماء أسرته، وبنى لنفسه تماثيل ذهبية على طوال البلاد وعرضها، وأطلق لقبه المفضل على مرافق البلاد الرئيسية كالمطارات والأبراج والطرق وحقول النفط والغازوغيرها.

وكان من افتتانه بنفسه أنه ادعى أن النبي نوح ينزل عليه بالوحي كل يوم أربعاء! واصدر تعاليم هذا الوحي في كتابه *روكهاناما* الذي أصدره في جزأين، ومن طرائفه أنه فرض على شركات الغاز الأجنبية أن تترجمه إلى لغتها إذا ما أرادت العمل في تركمنستان، وعليه فقد ترجم كتابه إلى أكثر من عشرين لغة، كما فرض اختباره على طالبي إصدار رخصة قيادة السيارة!

اسياس افورقي.. من مناضل إلى دكتاتور.

كان اسياس افورقي من كبار مناضلي حرب التحرير الاريترية (١٩٦٠-١٩٩٣) التي انتهت باستقلال اريتريا، وعين افورقي أول رئيس جمهورية، وبدلا من أن يتجه إلى إعمار بلده وإسعاد شعبه بعد عذابات الاستعمار الإثيوبي وحروبه، مال إلى الاستبداد ثم إلى الديكتاتورية فغدا ديكتاتورا لا يهمه سوى بقاءه في منصبه، وسخر ثروات البلاد له ولحزبه و أتباعه، فكان أن أصبح الشعب الاريتري يعاني من الديكتاتورية بكل ما يلازمها من قمع واضطهاد، في امتداد لمعاناته من الاحتلال الإثيوبي، وكأنه لا بد أن يظل شعبا معذبا لا يهنأ بعيش ولا يرتاح من عناء.

منذ أن أصبح افورقي رئيسا لبلاده المستقلة حديثا، عين نفسه رئيسا للمجلس التنفيذي الذي له صلاحيات سن التشريعات والقو انين، وعين نفسه أيضا قائدا أعلى للقوات المسلحة، وهو أيضا رئيس للوزراء، وألغى مشروعية وجود كافة القوى السياسية على الساحة عدا حزب الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة الذي يرأسه.

وفي ذلك يقول افورقي في اجتماع عام: (من يريدون أن يشاركوا في الحكم فعليهم أن يحلوا تنظيماتهم ويأتوا على مستوى الأفراد).

وما جناه افورقي بحق شعبه كثير، فقد حرم الآلاف من اللاجئين الاريتريين من العودة إلى بلادهم بعد التحرير وقيام الدولة المستقلة، فظلوا في دول اللجوء، بينما أمر افورقي بان يمنح المقاتلون المسرحون من الجبهة الشعبية ممتلكاتهم وأن يسكنوا في مناطقهم وقراهم.

وبسبب استبداد وديكتاتورية نظام فورقي فإن الاريتريين استمروا في الهروب من بلادهم، فسابقا كانوا يهربون من الاحتلال الإثيوبي والحرب، واليوم يفرون من جحيم نظام افورقي الديكتاتوري، ووفقا للإحصائيات فإن العدد الكلي للاجئين الاريتريين مليون في السودان، وفي إثيوبيا بلد الاستعمار والاحتلال السابق ٣٠٠ ألف!، وهذه طبعا مفارقة مضحكة مبكية، وفي إسرائيل ٤٠ الف، وفي اليمن ٣ آلاف، بينما سكان الداخل لا يزيدون عن ٣ ملايين نسمة.

وعلى صعيد القمع الداخلي تشير تقارير منظمات حقوق الإنسان إلى انتهاكات واسعة النطاق على مختلف الأصعدة والميادين لحقوق وحريات الشعب الاريتري، فسجون افورقي تحوي آلاف المعتقلين، منهم قادة سياسيون وزعماء مجتمع ووزراء سابقون وأعضاء كبار في الجبهة الشعبية، يقبع معظمهم في السجون منذ سنوات الاستقلال الأولى.

الصحف المستقلة محظورة منذ ٢٠٠١، وكل صحفي ينتقد النظام مصيره الاعتقال أو النفي خارج البلاد، والقنوات الفضائية الخاصة ممنوعة، لا برلمان، ولا نقابات، ولا مؤسسات مجتمع مدني، والخدمة العسكرية إجبارية من سن الثامنة عشرة حتى الخمسين ومن دون مقابل! وعلى الجنسين.

وسفر أي مواطن ممنوع لأي غرض كان قبل أداء الخدمة العسكرية، ويحتاج السفر إلى إذن أمني وإجراءات بيروقراطية حتى بعد إنهاء الخدمة العسكرية.

ويحتكر الديكتاتور الاريتري ثروات بلاده الضئيلة مع أتباعه، بينما يعاني شعبه من الفقر والعوز، وتعتبر اريتريا من أفقر دول إفريقيا.

من أشهر معسكرات نظام افورقي معسكر "ساوا" للتجنيد"، حيث تشير تقارير الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية ووكالات الأنباء بأنه يمارس ضد المجندين من الذكور والإناث كافة أنواع الإذلال والقهر والبطش، وتتعرض المجندات إلى الابتزاز والتحرش الجنسي والاغتصاب، ويتم قتلهن إذا ما حملن أو يقمن بقتل أنفسهن تخلصا من عار حمل السفاح، كما أن آلاف الشبان لم يعودوا من المعسكر رغم انتهاء مدة خدمتهم، ويعتقد أنهم نقلوا إلى معسكرات أخرى تابعة للجيش، ويستخدمون في أعمال السخرة من دون مقابل، والشبان والشابات الرافضين لدخول معسكرات التجنيد يعتقل ذويهم لإجبارهم على العودة، ورصدت حالات انتحار لصبيان اريتريين حتى لا يلتحقوا بها.

ومن ممارسات الديكتاتور افورقي رفضه اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية للبلاد، على الرغم من أنها لغة يتحدث بها نسبية كبيرة من السكان، ومحاربة شعائر الدين الاسلامي، كمنعه أداء الصلاة في معسكرات الجيش، وممارسته للتغيير الديمغرافي لضمان إسكان القبائل الموالية له في المناطق الأكثر رخاء، وتهجير القبائل المعروفة بعدم ولائها له في المناطق النائية.

ومن قوانين نظام افورقي القمعية هو منع أي مواطن من استلام مجرد هدية من مواطن آخر يعيش في الخارج ما لم يكن كلاهما دافعي لضريبة ٢% المفروضة على كل مواطن اريتري.

ولا يزال نظام افورقي الديكتاتوري يحكم بلاده الفقيرة المعزولة ويذل شعبه المسكين، إلا أن حياة الشعوب تظل أطول من حياة جلاديها وسوف تشرق شمسها يوما دون شك.

أوغستو بينوشيه (١٩١٥ـ ٢٠٠٦).

قائد جيش تشيلي بتعيين من الرئيس سلفادور الليندي، إلا أنه انقلب عليه بدعم وتحريض من الولايات المتحدة عام ١٩٧٣.

تسبب انقلابه بمقتل الرئيس التشيلي المنتخب سلفادور الليندي، وعند استتباب الأمر له ولشركائه وأعلنوا قيام المجلس العسكري الحاكم، وبموجبه حظروا الأحزاب السياسية وعلقوا العمل بالدستور وحلوا الكونجرس ومارسوا كافة أشكال التسلط السياسي، وفي عام ١٩٧٤ أعلن بينوشيه نفسه رئيسا لتشيلي، فأصبح حاكما مطلقا ومارس من خلال استفراده بالسلطة كافة أشكال القمع والاضطهاد.

ونتيجة لديكتاتورية بينوشيه فقد أصبح أحد أعلامها الذي يضرب به المثل، فها هو الكاتب الكولومبي "غارسيا ماركيز" الحائز على جائزة نوبل يكتب كتابا عن نظام بينوشيه، يورد فيه رو ايات وقصص عن فظائعة الذي يمارسها ضد شعبه عنوانه *مهمة سرية في تشيلي*.

واستوحت من انقلابه وغدره برئيسه المنتخب الروائية التشيلية المشهورة "إيزابيل أليندي" روايتها* *بيت الأرواح*.

وكان بيونشيه من أعداء الكتاب والمؤلفين والمبدعين، فكان يأمر بسجنهم ونفيهم وحرق كتبهم.

وخلال سبعة عشر عاما من وجوده على قمة هرم السلطة، تسبب بيوتشيه بتصفية وتشريد المعارضين والمثقفين اليساريين، وقتل أكثر من ٣٠٠٠ مواطن تشيلي، واختفاء أكثر من ألف، وتعرض ما لا يقل عن ٢٨ الف مواطن للتعذيب، وهروب الآلاف من البلاد.

في عام ١٩٨٣ تعرض بيونشيه لمحاولة اغتيال لكنه خرج منها بجروح طفيفة، إلا أن المعارضة السياسية والشعبية لنظامه استمر زخمها وهال أمرها حتى اجبر على الموافقة على ترك الرئاسة عام ١٩٩٠، بعدما أجبرته نتيجة استفتاء على غادرة منصبه، إلا أنه ظل محتفظا بمنصب قائد الجيش، وأصبح شيخا في الكونجرس، بموجب امتياز سياسي قديم يحظى به رؤساء السلطة التنفيذية في تشيلي، وأصبح بذلك متمتعا بحصانة ضد المحاكمة أو المحاسبة، إلا أنه في عام ١٩٩٨ سافر إلى لندن، وهنالك ألقي القبض عليه بتهم ارتكاب جرائم ضد الإنسانية، إلا أنه رحل إلى تشيلي، وفيها بقي تحت الإقامة الجبرية حتى توفي عام ٢٠٠٦.

رحل بيونشيه من دون أن يحاكم على سنوات ديكتاتوريه، وعن الدماء التي أريقت في عهده، وتاركا ملايين الدولارات من أموال التشيليين مودعة في الخارج، يقول عنه الرئيس البرازيلي السابق "لولا دا سيلفا": إن بينوشيه كان رمزا لفترة رعب في تاريخ أميركا الجنوبية.

وأصدرت منظمة العفو الدولية بياناً قالت فيه: إن وفاة أوجستو بينوشيه يتعين ألا تغلق أشد الصفحات سوادا في تاريخ شيلي.

و أثناء تشييع جنازة بيونوشيه قام أحد الأشخاص بالبصق على نعشه، وعندما ألقي القبض عليه قال: إنه ابن الجنرال كارلوس بر اتس، الذي قتله بيونشيه في بداية عهده.

من أقواله: لا تتحرك ورقة شجرة في هذا البلد إذا لم أحركها بنفسي، فليكن هذا واضحا.

الخاتمة

هناك الكثير من الأنظمة الديكتاتورية التي لم نتطرق لذكرها على صفحات هذا الكتاب، ويمكن القول: إنها ديكتاتوريات تقليدية، بمعنى كونها ذات ممارسات ديكتاتورية واستبدادية اعتيادية، بحيث إنها متشابهة فيما بينها، فلا حاجة لتكرارها فهي لن تكون أكثر إثارة مما ذكرناه، وهي كثيرة كنظام الرئيس الاوزبكستاني إسلام كريموف، والرئيس البيلاروسي ألكسندر لوكاشينكو، وغيرهما الكثير، إلا أن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد هذه السياحة الطويلة في سير أعتى طغاة التاريخ هو: كيف يمكن تقليص الطغيان في العالم بمختلف مستوياته؟

في حقيقة الأمر إن الطغيان حالة ملازمة في الذات البشرية، بل وفي الكون، فعندما تفيض البحار وتهاجم أمواجها الهائلة المدن والسواحل فإنها في حقيقة الأمر تطغى، وإذا طغت البحار دمرت و أفسدت، وكهذا هو و اقع الحال في الحياة الإنسانية، فإن الإنسان مجبول على شهوة التملك والاستفراد والتحكم، ولأنه لا بد من وجود منافسين له، فلا بد له إذن من قهرهم حتى يستطيع التحكم بهم وكسر إرادتهم، ويكون هو المستفرد الوحيد، وهذا هو الطغيان بدرجاته و أنواعه.

الدول المتقدمة تمكنت بعد مئات السنوات من علاج هذا الصراع الذي كلفها ضحايا بالملايين من خلال الديمقراطية وسيادة العقد الاجتماعي (الدستور) وترسيخ كافة القيم والنظم التي تجسدها في المجتمعات المتقدمة، وضمنت لنفسها بذلك انحلال الطغيان و انكماش عوامل ظهوره مجددا، ما دامت بنيتها الحضارية مزدهرة ومتقدمة تقوم على الحرية والتنافس الإيجابي على السلطة والموارد.

إن الطغيان لا يمكن القضاء عليه بالمطلق لأنه قد ينشا نتيجة لعوامل متداخلة ومتشابكة في أي مجتمع بشري، إلا أنه يمكن التقليص من فرص بروزه كقوة مدمرة للمجتمع، إلا أن الاعتقاد بأن مشكلة الطغيان محصورة فقط في الأنظمة السياسية التسلطية فمتى ما سقطت حلت كل المشاكل هو خطأ فادح، فالنظام السياسي هو جزء من عدة أنظمة تسير البيئة الإنسانية، فإنشاء نظام سياسي قائم على الانتخابات المدنية والتداول السلمي على السلطة لا بد أن يتزامن مع إصلاح البيئة التي سيزرع فيها، وهذا يتطلب إصلاح بقية الأنظمة الأخرى، كالنظام الثقافي، والنظام الديني، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، لا بد من إصلاح البيئة وتطويرها وتهيئتها لكي تنمو فيها قيم الحرية والتعددية والتنوع وحقوق الإنسان والحريات المدنية وإزالة الممارسات الطاغوتية بدرجاتها المختلفة وتهذيب نظمها الثقافية والقانونية، وتصحيح كافة مظاهرها وممارساتها، حتى يمكن إخماد الطغيان كمنظومة شمولية متغلغلة في أعماق البيئة ونقطة ارتكاز لنظمها ومؤسساتها المختلفة، لأنه لا سبيل إلى إزالته من الحضارة الإنسانية مطلقا، بيد أنه يشبه الفيروس الضعيف الذي لا يظهر تأثيره إلا عندما تضعف مناعة الجسد.

إن الطريق طويل أمام الشعوب العربية والمسلمة للتخلص من الطغيان، لأنه متجدر في قيمها الدينية وممارساتها الاجتماعية ونظمها القانونية والسياسية، ولم تنفع في القضاء عليه كل الثورات التي لم تنقطع في بلداننا العربية ودول العالم الثالث منذ عقود، فالشعب الاريتري مثلا تخلص من الاحتلال الأثيوبي، وبدلا من أن ينعم بدولة آمنة مستقرة عاد ليعاني من حكم نظام الجبهة الشعبية بقيادة أسياد افورقي، الذي مارس عليه كافة صنوف القهر والديكتاتورية، وفي ليبيا انقلب العقيد القذافي على

النظام الملكي ووعد الشعب الليبي بالحياة الكريمة، إلا أنه دمر ليبيا ولم يحقق لها سوى الفساد والطغيان، وهذا هو شأن الكثير من البلدان في العالم الثالث، تسقط أنظمة وتأتي أخرى واعدة شعوبها بالازدهار والرخاء فلا تجد هذه الشعوب سوى البؤس والشقاء، وجوهر الخلل هنا يكمن في البيئة التي يجب أن يعاد بناؤها، لتنمو فيها أشجار الحرية والديمقراطية وتذبل في أرضها نباتات الطغيان والديكتاتورية والاستبداد.

ليس أمام شعوبنا العربية وبقية شعوب العالم إلا الحرية بكل ما فيها من نور رباني سرمدي لا ينطفئ أبدا، ولا بد للحرية من تضحيات جسمية، ولا بد لها من إصلاح شامل، وتهيئة عميقة، وتعاون مثمر، وتضافر جهود مخلصة، لتغدو البيئة العربية حية وعصرية ور اقية، تتدفق في أبنائها الحيوية ويغمرهم النشاط ويكون طابعهم الإيجابية والتفاؤل والأمل، وحتى شروق شمس الحرية، ستظل شعوب العالم تحارب الطغيان والديكتاتورية؛ حتى بزوغ نور الحرية الذي لا ظلام بعده.

رائد قاسم
في ٢٣ سبتمبر٢٠١٦

بعض المصادر والمراجع:

٢٧- القرآن الكريم.
٢٨- دولة الموحدين (د. علي محمد الصلابي).
٢٩- مجلة (دراسات إيرانية) العدد رقم (١٣).
٣٠- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ابن بطوطة).
٣١- المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ابن عذاري).
٣٢- أبو عبد الله الشيعي (د. علي حسن الخربوطلي).
٣٣- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية (محمد عبد الله عنان).
٣٤- تاريخ الدولة الصفوية (د. محمد سهيل طقوس).
٣٥- ضياء الخافقين (السيد جمال الدين الأفغاني).
٣٦- الدولة العثمانية (د.حسن الضيقة).
٣٧- أخبار المهدي بن تومرت (أبي بكر بن محمد الصنهاجي).
٣٨- المهدي بن تومرت (د.عبد المجيد النجار).
٣٩- سيرة احمد باشا الجزار(مؤلف مجهول).
٤٠- كنت ابن للرئيس صدام (د. لطيف يحيى).
٤١- المسيحية والسيف (المطران برتولومي لاس كازاس).
٤٢- المغول في التاريخ (د. فؤاد عبد المعطي الصياد).
٤٣- قيم الحرية والتعددية في الشرق العربي (رائد قاسم).
٤٤- تاريخ الطبري (محمد بن جرير الطبري).
٤٥- البداية والنهاية (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير).
٤٦- الكامل في التاريخ (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير).

٤٧- قصة الحضارة (ويل ديور انت وأريل ديور انت).
٤٨- تاريخ سلاطين بني عثمان (عزتلو يوسف بك آصاف).
٤٩- ويكيبيا (موسوعة على الانترنت).
٥٠- المعرفة (موسوعة على الانترنت).
٥١- تاريخ إيران السياسي (د. آمال السّبكي).
٥٢- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد (عبد الرحمن الكواكبي).

الفهرس

الرحلة الرابعة:
سياحة في سير أعتى طغاة القرنين العشرين والحادي والعشرين

أدولف هتلر	٣٩١
فلاديمير لينين	٤١٥
جوزيف ستالين	٤٢١
فرانسوا دوفالييه	٤٣٣
أنور خوجه	٤٣٧
عيدي أمين	٤٤١
موبوتو سيسي سيكو	٤٤٧
نيكولاى تشاوسيسكو	٤١٥
بول بوت	٤٦١
بوكاسا... آكل لحم البشر	٤٦٧
اندريا موسلينى	٤٧٥
صدام حسين	٤٨٩
سلوبودان ميلوسوفيتش.. جزار البلقان	٥٢١
منغستو هيلا مريام.. طاغية الإرهاب الأحمر	٥٢٩
الفريدو ستروبسنر	٥٣٣
حسن حبري	٥٣٩
خورخه رفائل ڤيدلا	٥٤٣
عبد الحميد الثاني... السلطان الأحمر	٥٤٧

الرحلة الخامسة
سياحة في بعض الأنظمة الديكتاتورية في العالم

النظام الشيوعي في كوريا الشمالية	٥٥٥
ليبيا... جمهورية الكتاب الأخضر	٥٦٣
كوبا الشيوعية	٥٧٣
طالبان.. إمارة الرعب	٥٧٧
دكتاتوريات من هنا وهناك	٥٨١
الحبيب بورقيبه وزين العابدين بن علي.	٥٨٣
آخر شاه لإيران .. محمد رضا بهلوي .	٥٨٥
صابر مرادوف نيازوف.	٥٨٧
اسياس افورقي.. من مناضل إلى دكتاتور.	٥٨٩
أوغستو بينوشيه .	٥٩٣
الخاتمة	٥٩٧
بعض المصادر والمراجع	٦٠١
المحتويات	٦٠٣

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية و أفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعي نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017